ديوان الأمير شكيب أرسلان

وهو ما أمكن العثور عليه من شعر أمير البيان

في خمسين سنة

وقف على طبع القسم الاكبر من هذا الديوان

وتصحيح ملازمه

فقيد الشرق والاسلام المرحوم الامام

السيد محمد رشيد رضا

منشئ المنار

سنة ١٣٥٤ — ١٩٣٥

مطبعة المنار بمصر

تصدير ديوان

امير البيان

-*-*-※-*-*-

(لما علم شاعر الاقطار العربية وشيخ الادباء
الاستاذ خليل بك مطران بقرب ظهور ديوان صديقه
وعشير صباه صاحب العطوفة الامير شكيب أرسلان
أحب أن يضع له كلمة التصدير التى تثبتها فى صدر الديوان،
قال الاستاذ حفظه الله) :

هذا ديوان امير البيان ! أفي حاجة أنا الى تسمية صاحبه بعد هذا النعت الذي نعته به الاجماع في الأمة العربية ؟

أتيح لى أن أصدره بهذه الكلمة وفي النفس داع من الود القديم؛ وباعث من الاعجاب والاكبار ، فانتهزت الفرصة السانحة ، مغتبطا بها ،ولا أبرىء اغتباطى من أثر فيه للاثرة فان حظى من الفخر بهذا التصدير أضعاف حظ الصديق الكريم .

بدأ الامير شكيب أرسلان حياته الأدبية بنظم الشعر فاشتهر به ولما يعدُ السابعة عشرة من عمره . وقد طبع فى ذلك الوقت ديوانا جمع به أوائل شعره وسماه (الباكورة) فتوسم مطالعوه أن ناظمه يرقى حثيثا الى مقام لا يرام بين شعراء العربية . ولو ظل الأمير معنيا بذلك الفن الرفيع لصدق فيه ما ظنوه كل الصدق .

غير أن شأنا آخر من الشئون الضخام التى هي أشد اغراء للرجل البعيد المطمح فى مطالب العلياء صرفه وشيكا عن الهيام فى مسابح

الخيال والضرب في آفاقه الايقمة الى منازلة الحوادث والايام في معترك الحقيقة .

ففي هذا المفترق الأول من السبل التى يواجه بها المرء مستقبله آثر الأمير الترسل ومضى فيه متدفقا تدفق الينبوع الصافي مجلجلا أحيانا جلجلة السيل الكثير الشعاب . وما زال حفظه الله منذ خمس وأربعين سنة يتحف قراء العربية فى مشارق الارض ومغاربها بكتب قيمة يقتبسون من أنوارها هدى أو يفيدون من مختلف الآراء المنبثة فيها ما يهيء لهم من أمرهم رشدا ، الى رسائل متنوعة يجتلون محاسن أغراسها وأزهارها ويجتنون ما يغذى العقول ويفكه القلوب من أطايب ثمارها ، الى فصول ومقالات تنشرها المجلات الدورية والصحف اليومية في كل قطر فما ينقضى يوم من أيام تلك البرهة الا ّ وله في كل منها قلائد تزهى بها صفحاتها أو فرائد تزخر بها أنهارها . ولو تفرغت طائفة من حملة الاقلام جم عديدها فياضة قرائحها فيما يشاء الله من مسائل السياسة والاجتماع والأدب ومباحث التاريخ والاخلاق لكتابة ما كتب من تلك الفصول والمقالات لتعذر عليها أن تأتى مجتمعة بما أتى به ذلك العلم الفرد .

على أن الذين تتبعوا كما تتبعت آثار الامير شكيب قد تبينوا منذ الساعة الاولى سر المزّية التى امتاز بها شعره ونثره جميعا فأحلاّه الذروة المنعية الرفيعة التى حلها بين الافذاذ المبرزين من متقدمين ومتأخرين .

ذلك السر هو أنه ملك اللغة من أول أمره ولا اتغالى اذا قلت انه جمع معجمها فى صدره بله ما استظهره من اساليب بلغائها ورواه من

روائع فحول شعرائها وفي أثناء وروده تلك الموارد من فصح العربية كان يرى وجوه الانطباق بين المصطلحات القـــديمة والمصطلحات الحديثة ويتبين كيف تصرف المتقدمون فيما وصل اليهم من الاصول ليفرعوا عليها المعانى الجديدة التى تعلق بها تصرفا لم يناف سلامة القول ولم ينابذ مقتضى البلاغة على تحول الاحوال وتعدد العهود

فلما اتسقت له هذه الخصال وتوافرت لديه تلك الاسباب وأفاض من واسع علمه بالعربية على ما أكسبته الخبرة آنا بعد آن من مزكونات المبتدعات الحديثة ومقتضيات الاخوال العصرية ما دق منها وماجل بين حسى ومعنوى ، عدل غير مبطىء عن تشبثه الاول بالمحض الخالص من الاساليب المأخوذة عن الصميم من القديم ولم ير له بعد ذلك مكتوب الا وهو مطبوع بطابع السلاسة والانسجام والغزارة مع الحرص على شرف المفردات ورصانة التراكيب مجتمعا كل أولئك في طابع الامير شكيب

تلك غاية لم يدركها غير هذا العبقرى في الترسل ولو قد رامها في الشعر لادركها كما قدمت . غير انه اذا كان قد رضى لنفسه في الشعر أن يكون المقل المجيد فلا مشاحة فى انه انفرد بين المترسلين بانه المكثر المجيد .

وان من ينظر جملة الى صنيع الامير شكيب ليجد بحرا زاخرا في الادب ليست اللؤلؤات المنظومة فيه الا شقائق للآلىء المنثورة منه في كل جانب

القاهرة ٢٥ مايو ١٩٣٦ — خليل مطران

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾

هذا ديوان شعرى من أيام الصغر إلى أيام الكبر ، تتجلى فيه روحي حدثاً وشاباً ، وكهلا وشيخاً ، ويعرف منه القارىء انها روح لم تزل يشبه بعضها بعضا فى جميع أدوار الحياة ، لم يكن غرضى من نشر هذا الديوان إظهار فصاحة أفاخر بها ، ولا إثبات براعة أتعلق بأسبابها ، ولا حشد كلمات أتوخى إرسالها ، ولا تسيير شوارد يقال : من ذا قالها؟ لاسيما وقد بلغت السن التى يضعف فيها التفكر فى المفاخرة ، ويقوى التذكر للآخرة ، ولكنى قصدت جمع هذا الديوان لخصال ثلاث :

(إحداها) ان الشعر لقائله ، كالولد لناجله . فأخشى من بعد انصرافي من هذه الدنيا أن ينسب إلي مالم أقله ، ويلحق الناس بخاطري مالم ينجله ، ويعزى اليه من قداح الفكر مالم يجله ، فلقد وقع لي من هذه الأماثيل جم في أثناء حياتى ، فكيف تكون الحال بعد وفاتى ، والشاهد حينئذ يكون قد صار بعيداً ، والثبت إذ ذاك يصبح مفقوداً . وكما أنه يجوز أن ينسب إلي مالم أقله يجوز أيضا أن ينسب كلامي إلى سواي ، وأن يختلف الناس في ملكى له بما قد أهملت من دعواي ، فرأيت الأصلح لأمري - والمرء مسئول عن نفسه في الحياة وبعد الرحيل ، ومطالب بأن يثبت الحقائق عن نفسه وأن يحتاط لذلك قبل أن يصير تحت الرمل المهيل - أن أجمع ما وجد

في يدي من أشعاري ،وأن أجتهد فى أن لاينسب أثري إلى غيري ولا ينسب إليَّ غير آثاري

(الخصلة الثانية) أن بعض هذه القصائد متعلق بوقائع تاريخية مشهورة ، وبعضها متضمن لمبادىء سياسية مأثورة ، فنشرها حصة من التاريخ يتميز فيها من اعتدل عمن اعتدى، ويعرف من ضل ممن اهتدى ، فلم يزل الشعر وهو الخيال المجسم أحسن قيد للحقائق ، ولم تزل الوقائع التاريخية تأخذ من الوزن والقافية أثبت المواثق، وكم من واقعة تاريخية نشدها المؤرخون فى أقوال المنشدين ، وكم من رجل لم تخلده التواريخ وجعله الشعر من الخالدين

(الثالثة) انه كان لي أصدقاء وأتراب، واخوان ترافقنى عليهم الحسرات الى التراب ، ومن الأعلام من لم أعرفه بوجهه ، ولكنى عرفته بآثاره ، وقطفت من نُوَّاره، مثل الشيخ أحمد فارس صاحب الجوائب، وعبد الله باشا فكرى الشاعر الكاتب ،فأما الذين رثيتهم من أصحابى فهم عبد الله باشا فكرى، ومحمود باشا سامي ،وأمين باشا فكرى، ومحمد بك فريد وكامل بك الأسعد وأحمد باشا تيمور والشيخ عبد العزيز شاويش ، وأحمد بك شوقى، والشيخ عبد القادر الشيبى ، والحاج عبد السلام بنونه ، وأخي نسيب ، وغيرهم ممن كانوا غرة في جبين الدهر ، وكان ذكرهم عبيراً يأخذ منه كل زمن ما يأخذ الروض من الزهر ، أفرغ الله عليهم سجال عفوه ورضوانه ، وحياهم في آخرتهم برَوحه وريحانه ، فقد أحببت أن أبث أرواحهم الزكية الوجد الذى أجده من فراقهم ، وأن أنشر بعد طي أجسادهم ما أعرف من محاسن أخلاقهم ، فأكون وفيتهم بعض حقوق الوفاء ، وأديت اليهم من الأمانة ما فيه للنفس شفاء

هذا وقد كنت في السابعة عشرة من العمر طبعت في بيروت أوائل شعري في ديوان سميته (الباكورة) ولم يكن بقي منه إلا نسخ نوادر فراجعته في هذه المدة الأخيرة فلم أجده دون أن ينسب إلي، ولا أصغر من أن يقيد علي، بل قد رأيت الشباب أشعر من المشيب، ووجدت أحسن القريض، ماجاء في العهد الغريض، ولذلك ألحقت بديواني هذا أكثر ما كنت نشرته في الباكورة، بحيث قد نظم هذا الديوان حاشيتي العمر، وجمع ما قدم وما حدث من نتائج الفكر، والله أسأل أن يتداركني بلطفه؛ ويسددني بفضله، وأصلي وأسلم على محمد خاتم أنبيائه وسيد رسله، الهادي لأقوم سبله؛ وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

جنيف ١٢ ربيع الاول سنة ١٣٥٤ — شكيب أرسلان

القسم الاول من الديوان

المراسلات السامية

أريد بها ما دار بيني وبين أمير الشعراء فى وقته محمود سامى باشا البارودى رئيس نظار مصر سابقاً . وذلك لما كان فى منفاه بسيلان على إثر الحادثة العرابية . وقد كانت فقدت من عندى بعض هذه المراسلات فاضطررت الى طلب مجلة الزهور الأدبية من مصر ، لانها كانت قد نشرتها وهكذا عثرت عليها كلها ما عدا قصيدة ميمية كنت بعثت بها الى محمود سامى سنة ١٩٠٢ من طبرية حيث كنت أبدل الهواء . وأما جواب محمود سامى على هذه القصيدة فقد وجدته بين أوراقى ، ولنبدأ الآن بالمراسلات التى وجدت فى مجلة الزهور ، ولا بأس بأن ننشر المقدمة التى صدرها بها شاعر القطرين خليل بك مطران ، وهو قوله عن صاحب هذا الديوان :

حضريُّ المعنى ، بدويُّ اللفظ ، يحب الجزالة ، حتى يستسهل الوعورة . فاذا عرضت له رقة وألان لها لفظه ، فتلك زهرات ندية ملية شديدة الريّا ساطعة البهاء كزهرات الجبل

نبغ منذ طفولته فى الشعر ، وكان أبكر الفتيان فى نشر ديوان له(١) وجاء ديوانه فى وقته آية

غير أنه لم يلبث أن ترك الشعر وانصرف الى الترسل فحبس فيه ما أوتيه من العبقرية فهو الآن فى مذهبى امام المترسلين

على أنه قد يدعوه داع من النفس أو من الطوارىء فينظم ، ينظم كما ينثر ، فياض الفكر غير تعب ، لكن نظمه يحمل فى عهده الآخر أثراً من نثره ؟

خليل مطران

---

(١) نظمت الشعر المطبوع المطبوع فى الجرائد وأنا ابن ١٤ سنة ونشرت الجزء الأول من ديواني المسمى « بالباكورة » وأنا ابن ١٧ سنة ومذ ذاك الوقت لم أهتم لجمع شعري ولا لنشره إلى أن عنت لي هذه الفكرة في هذه الأيام للاسباب التي أوردتها فى المقدمة

قالت الزهور

استشهد الأمير شكيب فى بعض كتاباته أولا وثانياً بأبيات للبارودي على غير معرفة شخصية سابقة، فكتب محمود سامى باشا الى الأمير بالمقطوعة الآتية. قال:

أشدتَ بذكرى بادئاً ومعقباً ... وأمسكتُ لم أهمسْ ولم أتكلم
وما ذاك ضناً بالوداد على امرئٍ ... حبانى به لكن تهيبتُ مقدمى
فأما وقد حق الجزاء فلم أكن ... لأنطق الا بالثناء المنمنم
فكيف أذود الفضل عن مستقره ... وأنكر ضوء الشمس بعد توسم
وأنت الذى نوهت باسمى ورِشتنى ... بقولٍ سرى عنى قناع التوهم
لك السبق دونى فى الفضيلة فاشتمل ... بحلتها فالفضل للمتقدم
ودونكها يا ابن الكرام حبيرة ... من النظم سدّاها بمدح العلا فمى

فأجابه الأمير

لك الله من عانٍ بشكر منمنم ... لتقدير حق من علاك محتم
وشهمٍ أبيِّ النفس أضحى يرى يداً ... تذكر فضل أو جميل لمنعم
رأى كرماً منى تذكر قوله ... فدل على أعلى خلالا وأكرم
ولو كان يدرى فاضل قدر نفسه ... رأى ذكره فرضا على كل مسلم
أيعجب من تنويه مثلي بمثله؟ ... لعمرى الذى قد شق فى شعره فمي
ومهما يكن من أعجم فبفضله ... يرى ثقفياً فى الورى كل أعجم
اذا مطرَ الغيثُ الرياضَ بوابل ... فأىُّ يد للطائر المترنم؟
اذا ما تصبت بالعميد صباحة ... بوجه فما فضل العميد المتيم؟
وهل ينكر الاحسان الا لئامة ... وينكر حسناً غير من طرفه عمي؟
وهل فى شهود الشمس أدنى مزية ... وقد جاء ضوء الشمس لم يتكتم؟
رويدك لا تكثر لدهرك تهمة ... ولا تيأسنْ من أهله بالتوهم

فما زال من يدرى الجميل ولم يكن   لتـأخـذه فى الحق لومة لوّم

وأنت الذى لو أنصف الدهر لم يكن   لغيرك فى العلياء صدر التقدم

جمعت العلى من تِلْدِها وطريفها   فجاءت كعقـد فى ثنـاك منظم

غدت خطتىْ إما يراع ومخذم   وانك قطب فى يراع ومخذم

ولم أر كفاً مثل كفك أحسنت   الى المجد إرعاف المداد مع الدم

جمعتهمـا جمـع القـدير بكفه   الى محتـد سام الى المجـد ينتمي

ولو كان يُرقى المرء ما يستحقه   اذاً لبلغتَ النـيرات بسـلم

وأنت الذى يا ابن الكرام أعدتها   لأفصح من عهد النواسى ومسلم

وأنشرت ميت الشعر بعد مصيره   لأعظم نشراً من رفات وأعظم

وأشهد ما فى النـاس من متأخر   يدانيك فيه لا ولا متقدم

ولو شعراء الدهر تعرض جمـلة   بمنجدهم من كل حيٍّ ومُتهم

لأبصرت شخص البحتري منك مُحترا   وخلق أبى تمام غير متمم

لك الآبدات الآنسات التى نأت   وأنست عكاظ الشعر بل كل موسم

لكم أسهرت جفن الرواة وخالفت   حظوظك منها شُرَّدٌ غير نوّم

شغفت بها طفلا فأروى بديعهـا   ولم أرو من وجدى بها نار مضرم

ولا عجب انى أحن صبابة   فيسرى الهوى بالقول للمتـكلم

أفي كل يوم فيـك وجد كأنه   طوى جانحاً منى على نار ميسم

أحمّل ريح الهنـد كل تحيـة   فكم من صباً منهـا عليـك مسلّم

وقد طالمـا حدثت نفسى وعاقنى   ترددها ما بين : أُقدِمْ وأُحجِم

حلفت بمـا بين الحطيم وزمزم   وبالروضة الزهرا أليّـةَ مُقسم

لألفيت عندي دوس مشتجر القنا   وخوضى في حوض من الطعن مفعم

أقل بقلبى في المواقف هيبـة   وأهون من ذاك المقام المعظم

وهبْ أنني بازٌ* قد انقضَّ أشهبٌ ... فهل يطمع البازي بلُقيان ضيغم؟
ولكنَّ لي من عفو مولاي ساتراً ... فها ءنذا منه به بتُّ أحتمي
أمحمود سامي إن يك الدهر خائناً ... وطال عليك الزجر طائر أشأم
فما زالت الأيام بؤسا وأنعما ... وحظ الشقا بالمكث حظ التنعم
ولولا الصدى ما طاب ورد ولا حلا ... لك الشهد إلا من مرارة علقم
عسى تُعتب(١) الأقدار والهمُّ ينجلي ... وينصاح صبح السعد في ذيل مظلم
وأهديك في ذاك المقام تهانئاً ... حبيرة مسدٍ في ثناك وملحم

***

ثم كتب محمود سامي باشا إلى الأمير شكيب بهذه القصيدة :

أدّي الرسالة يا عصفورةَ الوادى ... وباكرى الحي من قولى بإنشاد
ترقبى سِنَةَ الحرّاس وانطلقي ... بين الخمائل في لبنان وارتادى
لعل نغمة ود منك شائقة ... تهز عطف شكيب كوكب النادى
هو الهمام الذى أحيا بمنطقه ... لسان قوم أجادوا النطق بالضاد
تلقى به أحنف الأخلاق منتديا ... وفي الكريهة عمراً وابن شداد
أخي وداداً وحسبي انه نسب ... خالى الصحيفة من غِل وأحقاد
أفادنى أدبا من منطق شهدت ... بفضله الناس من قار ومن باد
عذب الشريعة لو أن السحاب همى ... بمثله لم يدع فى الأرض من صاد
سرت بقلبيَ منه نشوة ملكت ... بحسنها مسمعي عن نغمة الشاد
يا ابن الكرام عدتنى منك عادية ... كادت تسد على عينى بأسداد
فاعذر أخاك فلولا مابه لجرى ... في حلبة الشكر جري السابق العادى
وها كها تحفة منى وإن صغرت ... فالدر وهو صغير حليُ أجياد

---

*) فيه لغتان أشهرهما انه منقوص كالقاضي والثانية انه كالباب اهـ مصححه
١) أعتبه أزال عتبه أي أرضاه

فأجابه الأمير شكيب

هل تعلم العيس إذ يحدو بها الحادى ... ان السُّرى فوق أضلاع وأكباد
وهل ظعائن ذاك الركب عالمة ... ان النوى بين أرواح وأجساد
تحملوا ففؤادى منذ بينهم ... فى إثرهم نضوُ تأويب(١) وإيساد(٢)
يرتاد منزلهم فى كل قاصية ... وحجبه لو درى أحرى بمرتاد
بين الجوانح ما لو أنت جائبه ... أغناك عن الف أغوارٍ بأنجاد
وفي الفؤاد كشطر الكف بادية ... في جنبها تيه موسى ليس بالباد
كم بت أنشد أحبابي وأُنشدهم ... في الهند يا شد ما أبعدت إنشادى
ولو أناجي ضميرى كنت مُسمعهم ... قولى كأنهم في الغيب أشهادى
من كان دون مرامي العيس منزعه ... فلى هوى دون أمواج وأزباد
دون الخضارم إن ضل الحبيب سُرًى ... فان وجدىَ نعم القائف الهادى
هوًى بأروع لو ان الزمان درى ... لما أحل سواه الصدر بالنادى
سامي الأرومة في أعراقه نسب ... في المجد لا يشتكي من ضعف إسناد
أرق من شمأل الوادى شمائله ... وعند شد الليالى صخرة الوادى
من معشر لو يقيس الناس شأوهمُ ... الى العلا افتقروا فيه لأرصاد
يا من لنا ردُّه من فائت عوض ... يُمحى به وزر أحقاب وآماد
ان يحجبوك فما ضرَّ النجوم دجًى ... ولا زرى السيفَ يوما طيُّ أغماد
لا بأس ان طال نجز السعد موعده ... فأعذب الماء شربا في فم الصادى
عسى لياليك قد سُلّت ضغينتها ... وقد صفت كأسها من سؤر أحقاد
واستأنف الدهر سلما لا يكدرها ... فالدهر قد يرتدى حالات أضداد
لو كان يُسعِد قوم قدر فضلهم ... ما لاق مثلك أن يحظى باسعاد

---

(١) سير النهار (٢) سرى الليل

وكتب محمود سامي إلى الأمير من جزيرة سيلان:

ردّى التحية يا مهاة الأجرع ... وصِلي بحبلك حبل من لم يقطع
وترفقي بمتيم علقت به ... نار الصبابة فهو ذاكى الأضلع
طرب الفؤاد يكاد يحمله الهوى ... شوقا اليك مع البروق اللمّع
لا يستنيم الى العزاء ولا يرى ... حقا لصبوته اذا لم يجزع
ضمنت[1] جوانحه اليك رسالة ... عنوانها في الخد حمر الأدمع
فتى يبوح بما أجنّ ضميرُه ... إن كنتِ عنه بنجوةٍ لم تسمعي
أصبحت بعدك في دياجر غربة ... ما للصباح بليلها من مطلع
لا يهتدى فيها لرحلى طارق ... الا بأنّةِ قلبيَ المتوجع
أرعى الكواكب في السماء كأن لى ... عند النجوم رهينةً لم تُدفع
زُهر تألقُ في السماء كأنها ... حبب تردّد فى غدير مُترَع
وكأنها حول المجرّ حمائم ... بيض عكفن على جوانب مشرع
وترى الثريا فى السماء كأنها ... حلقات قرط بالجمان مرصّع
بيضاء ناصعة كبيض نعامة ... فى جوف أدحىّ[2] بأرض بلقع
وكأنها أكرٌ توقّد نورها ... بالكهرباءة في سماوة مصنع
والليل مرهوب الحمية قائم ... فى مسحه كالراهب المتلفع
متوشح بالنيرات كباسل ... من نسل حام باللجين مدرّع
حسب النجوم تخلفت عن أمره ... فوحى لهن من الهلال باصبع
مازلت أرقب فجره حتى انجلى ... عن مثل شادخة الكميت[3] الأتلع

---

(١) كذا في الاصل ولعلها ضمت من الضم ، وكتبه مصححه

(٢) محل بيض النعام (٣) الكميت من الخيل ما خالط حمرته سواد ؛ والأتلع الطويل ؛ والشادخة الغرة

وترنحت فوق الأراك حمامة … تصف الهوى بلسان صب مولع

تدعو الهديل(١) وما رأته وتلك من … شيم الحمائم بدعة لم تسمع

ريا المسالك حيث أمت صادفت … ما تشتهي من مجثم أو مرتع

فاذا علت سكنت مظلة أيكة … واذا هوت وردت قرارة منبع

أملت عليّ قصيدة فجعلتها … لشكيب تحفة صادق لم يدّع

هي من أهازيج الحمام وإنما … ضمنتها مدح الهمام الأروع

هو ذلك الشهم الذى بلغت به … مشكاته حد السماك الأرفع

نبراس داجية وعُقلة شارد … وخطيب أندية وفارس مجمع

صدق البيان أعضّ جرول باسمه(٢) … وثنى جريرا بالجرير(٣) الأطوع

لم يتخذ بدر المقنّع آية … بل جاء خاطره بآية يوشع

أحيا رميم الشعر بعد هموده … وأعاد للأيام عصر الأصمعي

كلِم لها في السمع أطرب نغمة … وبحجرة الاسرار أحسن موقع

كالزهر خامره الندى فتأرّجت … أنفاسه بالعنبر المتضوع

يعنو لها الخصم الألد ويغتذى … بلبابها ذهن الخطيب المصقع

هي نجعة الأدب التى من أمّها … ألقى مراسيه بواد ممرع

ملكت هوى نفسى وأحيت خاطري … وروت صدى قلبي ولذت مسمعي

فاسلم شكيب ولا برحت بنعمة … تحنو اليك بأيكها المتفرع

فلأنت أجدر بالثناء لمنة … أوليتها والبر أفضل ما رُعي

أرهفت حدى فهو غير مفلّل … ورعيت عهدى فهو غير مضيّع

وبثقت لى من فيض بحرك جدولا … غمر البحار بسيله المتدفع

---

(١) صوت الحمام ، والهديل هو ذكر الحمام أيضاً (٢) الجرول الأرض ذات الحجارة وهو لقب الحطيئة (٣) حبل البعير

عذبت موارده فلو ألقت به ... هِيمُ السحاب دلاءها لم تقلع
وزهت فرائده فصارت غرة ... لجبين كل متوّج ومقنع
هو ذلك النظم الذى شهدت له ... أهل البراعة بالمقال المبدع
أبصرت منه أخا أياد خاطبا ... وسمعت عنترة الفوارس يدعي
وحلمت أني في خمائل جنة ... ومن العجائب حالم لم يهجع
فضل رفعتَ به منار كرامة ... صرف العيون عن المنار لتبّع
فمتى أقوم بشكر ما أوليتنى ... والنجم أقرب غاية من منزعي
فاعذر إذا قصر الثناء فاننى ... رزتُ المقال فلم أجد من مقنع
لا زلت ترفل في وشاء سعادة ... وحبير عافيـة وعيش أمرع

فأجابه الأمير

أَتُرى يحلُّ هواكِ بين الأضالع ... ويحل لى بسواك ذرف الأدُمع
وأبيت أُشرك فيكِ في دين الهوى ... وأكون للتوحيد أول مدّع
وتظل تشرد بي لغيرك صبوة ... هي من سجونك في المحل الأمنع
وأسيم فى روض الحسان موزعا ... قلبا وَهى بالحمل غير موزع
قلب عليـك تختمت أبوابه ... ما نحوه لسواك طرقة مطمع
إني طويت عن النسيم شغافه ... أن جاءني من غير تلك الأربع
وحجبت عن كل العواطف حجبه ... الا الحنين لبدر ذاك المطلع
وأبحت الا فى الغرام هوادةً ... ومنعت الا أنّة المتوجع
أضحت تغايَر فى هواك جوارحي ... حتى ليغضب ناظرى من مسمعي
وأغار من طرفى لغيرك ناظراً ... لمحا ولو شيم البروق اللمع
ولو استطعت الشمس ذُدْت لعابها ... عن وجنتيك ولو سعت فى برقع

ولقد اغار لهاجس من خاطر … من سر مهجة راهب متورع
يمشي اليك ولو بأعمق قلبه … ويشير بالافكار لا بالاصبع
درّعت حسنك بالكمال وفتية … من حول خدرك حاسرين ودرّع
في كلة تذر الضراغم عندها … من ذلة أمثال عُفر الأجرع(١)
ما للمطامع في الوصال ودونه … حذر الشريعة والرماح الشرّع
نفسي الفدا لمقنّع(٢) هجرت له … أجفانهن شفار كل مقنّع(٣)
تتهافت الاوهام عن حجراته … ويرد خاطره المتيم إذ يعي
ذاك الحمى إلا على من أمّه … مني بممتنع الوجيب مشيّع(٤)
أكنهتُ بالاقدام سرّ ضميره … وحللت بالأقدام قلب المصنع
هي زورة تحت الظلام وردتها … فرداً بلا عضد، بلى قلبي معي!
فنظرت من ذاك الهلال لنيّر … وعلقت من ذاك الغزال بأتلع
وأسغت في نهل الشفاه وعلّها … ما ليس يعذب بعده من مكرع
بتنا كأنا خطرة في خاطر … أو وهلة حات فؤاد مروّع
نبهت بالأغزال هاجع حبها … وحماتها من غافلين وهجّع
وسقيتها كأس الهوى دهقا ولم … يحلُ الهوى إلا بكأس مترع
متمليين من العناق كأننا … قوس خلا لزيادة من منزع
أروي غريب حديث أحوال الجوى … والراح ليس يطيب غير مشعشع
وصلٌ أعاد الشمل أي موصّل … لكن أعاد القلب أي مقطع
عاطيتها صرف الهوى، وعفافنا … طول التلازم لم يُشب من موضع
كانت مضاجعنا تنث كمالنا … لو كان يوجد منطق للمضجع

---

(١) الاجرع الرمل المستوي لا ينبت شيئا والاعفر الذي يعلو حمرته بياض
(٢) أي ذات القناع (٣) الذي عليه بيضة الحديد (٤) القلب الشجاع

والليل يكتم ما ينمُّ بسره … أرجُ النسيم سرى بمسك أضوع
وترى المجرَّة في السماء كأنها … در تناثر من سماء مُضرع (*
حتى إذا شق الدجنَّة شوقها … للقا ذُكاء وشاب فَود الأسفع
ورأيت أسراب النجوم تتابعت … بفرارها مَصْعَ(١) النعام الأمزع(٢)
ما كان أحوجنا بذاك لآية … تأتى لنا في عكس آية يوشع
زحزحت عنها ساعدي وتركتها … دون الكرى من تحت عبء مُضاجع
وطلعت أعثر بالسيوف ولو درى … أهل السيوف مقامتي لم أفزع
أيقولُ مهجى الكماةُ وما لهم … فخرٌ سواي إذا اغتدوا في مجمع
وترى تخونُ الخيلُ فارسها وهل … يُردى الحسينُ على يد المتشيع؟
أو مَن لهم مثلي إذا عبس الوغى … وتضاحكت أنياب ثغر المصرع
وتشاجرت سمر القنا وتجاذبت … بذوائب والسيف شبه الأصلع
ولقد بذذتُ السابقينَ فمن لهم … بوقوف سير بالمكارم مُوضع(٣)
وبلغت مُن سامي الفخار وجاءني التـ … ـقريظ من «محمود سامي» الأرفع
خنذيذ(٤) هذا الدهر واحد أهله … مقدام حلبته الأغر الأبتع
القائلِ الفُصح التى عن مثلها … يُثنى المقفّع في بنان مقفع
لو جاء في العصر القديم لما روى … إلا قصائده لسان الأصمعي
قد قاد مملكة الكلام وحازها … أخذ الأعزة للذليل الأضرع
إن يعصه قول فلم يك لفتةً … حتى يذلل مستقيم الأخدع(٥)

(*) أي ذات ضروع (١) مر خفيفا (٢) المسرع من مزع
(٣) أوضع أسرع (٤) الشاعر المفلق والخطيب المفوه والسيد الحليم والشجاع البهمة والرجل الجواد (٥) عرق في صفحة العنق يقال رجل شديد الاخدع أي ذو عتو وشدة

سهل البيان عصيّه للمحتذى ... فلأنت منه بين عاص طيّع
خلقت له عليا اللغات فلو هفا ... نحو الركاكة جاء كالمتصنّع
تغدو المعانى حوّماً حتى إذا ... سامين فكرته هبطن بموقع
ما زال يُبدع قائلا حتى يرى ... بدْعاً على الايام إن لم يبدع
إن أجدبَتْ أرض الخلائق بالثنا ... نخلاله للحمد أمجد مرتع
أو حار قوم في الشعاب فانه ... رب المضىّ على المضىء المهيع
أضحى يطارحنى القريض وهل ترى ... من أصبع يوما يقاس بأذرع
أملى إلي قصيدة فأذابنى ... خجلا وهيبة خاشع متصدع
يا ابن الغطارفة الأُولى لم ينتموا ... إلا بأزهرَ في الندّى سَميذع(١)
لا غرو أن يُرتجْ علي بحضرةٍ ... إن قابلت شمس الضحى لم تسطع
فلو أنّ سحبان الفصاحة قائمٌ ... في بابها ما قال غير متعتع
فهناك ما بَهر الخواطر هيبةً ... وزرى بعارضةِ الخطيب المصقع
كلُّ العقائل في حماك وصائفٌ ... والمنشآت(٢)من الجواري الخضَّع
فاسلم رعاك اللهُ سابغَ نعمة ... وأعاد عيشك للزمان الأمرع
واعذر إذا قصّرتُ عن حقٍّ فلو ... أمليتُ أسود مقلتى لم أقنع

(انتهى النقل عن مختارات الزهور)

***

وكنت سنة ١٩٠٨ شاتياً في طبرية عند ابن عمي الامير أمين المصطفى أرسلان حيث كان قائمقام في تلك البلدة فأرسلت إلى محمود سامي باشا فى مصر قصيدة ميمية من بحر الخفيف فقدت من بين أوراقى وكان

---

(١) السيد الكريم الموطأ الاكناف (٢) استخدام بديعي لان الجواري المنشآت هي السفن وقد نقلت هنا لمعنى الانشاء في الادب

قدفقد إحدى كرائمه فكان موضوع القصيدة التعزية والتسلية وانى أتذكر منها بعض أبيات :

لا تخل كنت في الفجيعة فردا   كلُّ قلب لجرح قلبك دامِ

ومنها في المديح

إن أزالوك عن رآسة حُكم   لم تزل صدرَ دولة الافهام

ومما أتذكره من هذه القصيدة وصف طبرية وغورها

في ضفافِ الأردُنّ يجري على الغو   ر كساق يدير كأس المدام

وتباشير للربيع أضاءت   في عِرارٍ دنٍ زهره وبشام

ومنها

وسلامي على الخليل وشوقي   وعلى حافظ بديع النظام

الثريا التى تقدمتْ عليها   بضئيل السُّهى وشبه القَتام

***

فأجابني محمود باشا سامي بهذه القصيدة :

حيِّ مغنى الهوى بوادي الشآم   وادعُ باسمي تجبك وُرق الحمامِ

هن يعرفنني بطول حنيني   بين تلك السهول والآكام

فلقد طالما هتفن بشدوي   وتناقلن ما حلا من هيامي

ولكم سرت كالنسيم عليلا   أتقرّى ملاعب الآرام

في شعار من الضنى نسجته   بخيوط الدموع أيدي الغرام

كلما شمت بارقا خلت ثغرا   باسما من خلال تلك الخيام

والهوى يجعل الخِلاج يقينا   ويغرّ الحليم بالاوهام

خطرات لها بمرآة قلبي   صورٌ لا تزول كالاحلام

ما تجلت على المخيلة إلا   أذكرتني ما كان من أيامي

ذاك عصر خلا وأبقى حديثا   نتعاطاه بيننا كالمدام
كلما زحزحت بنانة فكري   عنه ستر الخيال لاح أمامي
يا نسيم الصبا فديتك بلّغْ   أهل ذاك الحمى عبير سلامي
واقض عني حق الزيارة واذكر   فرط وجدي بهم وطول سَقامي
أنا راض منهم بذكرة ودٍّ   أو كتاب إن لم أفز بلمام
هم أباحوا الهوى حريم فؤادي   وأذلوا للعاذلين خطامي
أتمناهم ودون التلاقي   قذفات من لُجِّ أخضرَ طام
صائل الموج كالفحول تَراغى(١)   من هياج وترتمي باللغام
وترى السفن كالجبال تهادى   خافقات البنود والاعلام
تعتلي تارة وتهبط أخرى   في فضاء بين السها والرُّغام
هي كالدهم جامحات ولكن   ليس يثني جماحها بلجام
كل أرجوحة ترى القوم فيها   خشعا بين ركع وقيام
لا يفيقون من دُوار فهاو   ليديه وراعف الانف دام
يستغيثون فالقلوب هوافٍ   حذر الموت والعيون سوام
في دعاء يحدنه بدعاءٍ   لجلال المهيمن العلّام
ذاك بحر يليه برٌّ ترامى   فيه خوصُ المطى مثل النعام
فسوادي بمصر ثاو وقلبي   في أسار الهوى بأرض الشآم
أخدع النفس بالمنى وهي تأبى   وخداع المنى غذاء الانام
فمتى يسمح الزمان فألقى   بشكيب ما فاتني من مرام
هو خل لبست منه خلالا   عبقات كالنَّور في الاكمام

---

(١) أي تتراغى أمواجه في صيالها كالفحول اذا رغى واحد من هنا وواحد من هناك وحذفت احدى التائين للتخفيف ؞

صادق الود لا يخيس بعهد   وقليل في الناس رعي الذمام
جمعتنا الآداب قبل التلاقي   بنسيم الارواح لا الاجسام
وبلغنا بالود ما لم ينله   بحنان القربى ذوو الأرحام
فلئن لم نكن بأرض فانّا   لاتصال الهوى بدار مقام
وائتلاف النفوس أصدق عهدا   من لقاء لم يقترن بدوام
ألمعيٌّ له بداهة رأي   تدرك الغيب من وراء لثام
وقريضٌ كما وشت نسمات   بضمير الأزهار إثر الغمام
هزني شعره فأيقظ مني   فكرة كان حظها في المنام
سمتها القول بعد لأيٍ فبضّت   بيسير لم يرو عود ثُمام
فارض مني بما تيسر منها   رب ثمد فيه غنى عن جمام
ولو انى أردت شرح ودادي   واشتياقى لضاق وسع الكلام
أنا أهواك فطرة ليس فيها   من مساغ للنقض والابرام
وإذا الحب لم يكن ذا دواع   كان أرسى قواعداً من شمام
فتقبل شكري على حُسن ود   رحت منه مقلداً بوسام
أتباهى به إذا كان غيري   يتباهى بزينة الأنعام
دمت فى نعمة يرف حلاها   فوق فرع من طيب أصلك نام

القسم الثاني

(في مساجلات شعرية ، ومفاكهات أدبية)

لما طبعت ديواني المسمى بالباكورة وأنا اذ ذاك ابن سبع عشرة سنة بعثت به من بيروت الى المرحوم عبدالله باشا فكرى باشارة الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده وكان في بيروت ؛ وذلك مع كتاب مني مصدر بأبيات ما عدت أتذكرها جيدا وانما أذكر منها الآن ما يلي :

إذا ما رمت من مهديك كفؤاً ... لقد أنفدت لؤلؤ كل بحر
فكيف يقوم عندك نزر شعر ... يذيب الرعب منه كل شطر ؟

ومنها :

جعلتُ القول في سيف ورمح ... وعفت النظم في قدّ وخصر
فانى عاشق غرر المعالى ... ولي نفس فداؤك نفس حر
إذا فكرتُ يوما في كلام ... يكون بمدح (عبد الله فكري)

فأجابنى على ذلك بما يلي وهي في (الآثار الفكرية)

أتت تختال في حِبَرٍ وحبْر ... على العشاق لا كِبَرٍ وكِبْر
منعّمة الشبيبة لم يرعها ... مشيب فى العذار أقامَ عذري
سعت نحوى على سَحَرَ تريني ... بدائع نظمها نفثات سِحر
إلى أن صيرتنى في هواها ... أسير القلب مبتهجاً بأَسري
سرت لي من رُبَى بيروت تهدي ... شذى لبنان معلنة بِسري
تخبّرنى وقد ألفت خبيراً ... قريب العهد من خبَرٍ وخُبر
بان ذوي هواى بها على ما ... عهدت مبرة وكمالَ بِرّ

ألا حيا رُبى بيروت عنى ولبنان الحيا منهلُ قطر
بدَرٍ يملأ الأرجاء دُرا ويمزج تُرب أرضيها بتبر
وحيّا من بها ربّي وحيا زماناً مرّ فيها غير مُر
وحيا حي وافدة أتتنى برياها تضوع بنفح عطر
وسرّت بالتحية من سريٍ حرىً بالوداد عليِّ قدر
سليل كرامة وربيب عز ونسل صيانة ورضيع طهر
وفرع نجابة من عود مجد أثيل الأصل من أثلات فخر
كميٍ من سلالة أرسلان(١) ذؤابة توهه الأسد الهزبر
فتى خطب العلا وصبا اليها فكان لها صباه خير مهر
ومن خطب الحسان فلا شفيع لهن سوى الصبا مقبول أمر
تعلق قلبه من عهد مهد بكسب المجد مجتنباً لخسر
وأولع بالمعالي والمعانى ونظم الشعر لا لطلاب وفر(٢)
ولا لصَبابة فى ورد خد ولا لصُبابة(٣) من خمر ثغر
ولا مستبطئاً وعداً لدعدٍ ولا مستبطناً أمراً لعمر
ولكن لاقتناص شرود معنًى يعنّ وحكمة تبدو وسر
وإن يلعب فما لعب بعيب لعهد صباً وشرخ شباب عمر
ولكن تأنف الهمم العوالي على رغم الصبا سفساف أمر
تحرم قرب أمر فيه إمر وتوجب هجر كل مقال هُجر*

---

(١) يشير إلى معنى أرسلان وهو الاسد وهي لفظة صار يسمي بها العرب مثل العجم
٢) أي عانى الشعر تأدبا لا تكسبا ٣) الصبابة بالفتح الشوق و بالضم البقية من الماء
*)الامر بالفتح الشأن و بالكسر المنكر . والهجر بالفتح مصدر هجر و بالضم القبيح من الكلام

وكتبت للشاعر المشهور المرحوم اسماعيل باشا صبري يوم كان محافظا لثغر الاسكندرية . وهذا منذ ٤٠ سنة

دع عنك ما قال العذول ولاكا هيهات أصبو عن حنيـ ـب ولاكا
قالوا لك اختار السلو وإنما أسلو إذا كان الحبيب سواكا
أما هواك فذاك غير مفارقي ونعيم روحي أن تكون فداكا
في كل يوم لوعة قد غادرت جسمي لقاً دنفاً لأجل لقاكا
وحنين نفس لا هناء لها سوى تذكار شخصك أو شذى ذكراكا
تهفو لتعتنق النسيم لعله قد مر من جهة بها مثواكا
وتود من فرط الغرام جوانحي لو كن أجنحة إلى مرآكا
قد حل حبك فى الفؤاد فما جلا عنه فلا ملك سواك هناكا
ويلومني العذال فيك ولو رأوا ما قد رأيت تتيموا بهواكا
بل لو رأى النساك في قتراتهم تلك الشمائل ما اغتدوا نساكا
يكفيهم منك المحيا طلعة البدر فيها لو سفرت وراكا
قسما بمن برأ الحسان ومن برا عقد القلوب على الحسان ركاكا
إني لأحيا أن تجود بطلعة متبذلا وأموت عند حياكا
وأبيت أرعى البدر فى غسق الدجى إن لم أصبك فقد أصبت أخاكا
لا تحسبن البعد مال بصبوتي بل زاد في التمذيب بُعد مداكا
والله لا يدرى البعاد ولا النوى الا الذى قد ذاق مر نواكا
كم ليلة حيران أرقب نجمها ترد المجرة في السماء عراكا (١)
أحييتها حتى إذا رق الدجى باتت تهاوى في الصفيح دراكا
ذعرت نفور الآبدات كأنما نصب الصباح لصيدهن شباكا

---

(١) يقال اورد إبله العراك اوردها جميعا

ليلي : أما للشهب عندك مربط ... كي لا تفر إذا الصباح أتاكا ؟
كن لي وحقك في المواقف شاهدا ... فلطالما أحييت من أحياكا
جهلوا السريرة جملة وتحدثوا ... ولأنت أعلم يا ظلام بذاكا
من لم يذق بُعد الأحبة لم يزل ... أُولى العجائب أن يخاف هلاكا
فسقى الأحبة والذي حلوا به ... غيث همى لا يعرف الامساكا
وسقى عهودهم العهاد وهز في ... وادي الاحبة أيكة وأراكا
ورعى بوادي النيل عني عصبة ... أضحى لهم حفظ الوداد ملاكا
لا أنس أيامي بأنس لقائهم ... كلا ولا يا نيل طيب هواكا
يا حبذا واديك من متربع ... زاه ونعم الحوم حول حماكا
ورعى بأرضك سيداً اضحت به ... الاسكندرية ثغرك الضحاكا
شهم لعمري ما أفضت بلاغة ... عنه قصرت عن المدى إدراكا
كالبحر من كل الجهات أتيته ... لترى الحقيقة جاء ملء حجاكا
والٍ توشح بالكمال فقل له ... سبحان من ولاك بل أولاكا
أسرت محبته القلوب فقُيدت ... فيها ولكن لا تريد فكاكا
قل للمطاول مثل غاية فضله ... هيهات تظفر بالنجوم يداكا
من يَرْعه في لطفه ووقاره ... يلقى الملائك فيه والأملاكا
مهلاً أيا اسماعيل في طرق العلا ... واستبق فيها فضلة لسواكا
لله ما أهدى فعالك للثنا ... وأضلَّ في ليل المريب سراكا
حسب المزاحم من علاك مناصبا ... ان يستظل بظل فضل رداكا
تاهت بك الاسكندرية بهجة ... بلغت نهاية حظها بنهاكا
لم تدر مثلك في الولاة ولا درت ... تلك المنار الغر مثل هداكا
وإليك يا ملك القريض قصيدة ... وقفت على خجل بباب علاكا
قدمت على اسماعيل وهي عريقة ... في لخم طامعة بنيل رضاكا

بينما أنا ذاهب من سورية الى الاستانة مبعوثاً عن حوران في أيام الحرب العامة نزلت ضيفاً في طرسوس على سعادة الشهم الأمثل محمد بك راسم من كبار أعيان مصر المقيم هناك ، وكانت حصلت حادثة على فتاة حسناء تشتغل في معمله القطني، وضويقت الفتاة لاجل جمالها ، والبك المشار اليه لا يعلم بالواقع فلما بلغه الخبر امتعض ومنع من التعرض لها وجعلها في مأمن من سطوة العاشق ، وصادف وجودي هناك فقلت على سبيل المداعبة:

أقسمتُ إذ طلعت عليَّ شموسها ... وزهت بها الأرجاء وهي عروسها

أعلى محل في الجمال محلها ... وبها فأجمل بلدة طرسوسها

لم أحسد العشاق إلا واحداً ... أحظاه رب العرش فهو جليسها

في مجلس يدع الحليم مرنحاً ... سيان فيه لحاظها وكؤوسها

ما إن رأتها مهجة إلا فدت ... ذاك المحيا نفسها ونفيسها

ومن العجائب وهي ريمة رامة ... تعنو لها غُلْب الرجال وشوسها

هي جؤذر ولكم سبَت من ضيغم ... لا يستبيه من الجيوش خميسها

جارت عليها وهي بعد ظُبيّة ... نكباءُ تصطلم الأسودَ ضروسها

فعدا عليها مذ نعومة ظفرها ... خبباً نعيم الحادثات وبوسها

بعد القصور العاليات رأيتها ... في كسر بيت قصرها ناموسها

بعد الثراء الجم حلة صانع ... ولكل حال في الزمان لبوسها

تمضى لها في الغزل بيض أنامل ... ظلم الذى هو بالحرير يقيسها

القطن يهزأ بالدمقس بكفها ... والخز ودَّ لو انه ملموسها

في الغزل أصبح شغلها ولنا به ... متحركا قطع تضيق طروسها

يرجو الملوك نظيرها لبنيهم ... فيعود رب الملك وهو يئيسها

أحببت عيسى والصليب لأجلها ... حتى يكاد يؤم بى قسيسها

وأخالف الشيخ التميمي الذي ... ماكان يطرب سمعه ناقوسها

لو كان شاهد وجهها وعفافها ... مع حسنها ما آده تقديسها
بطشت بنا وهي الضعيف بذاتها ... بطشات أنور بالعداة يدوسها
هو ذلك البطل الذى في ذكره ... أبداً يضيء من الوجوه عبوسها
عادت به الآمال خضرا نُضَّرا ... من بعد ما عم البسيط يبيسها
أبقى الاله سعوده موصولة ... فيها تغيب عن الديار نحوسها
وأراه كل الكاشحين أذلة ... مخفوضة بذرى علاه رءوسها

وكانت صورة هذه القصيدة وصلت إلى الشام فبعث إلي الاديب الكبير خليل بك مردم بك من سراة دمشق بالابيات التالية على سبيل المداعبة :

ما للصبابة منك هاج رسيسها ... ولنار قلبك عاد فيه حسيسها
عهدي بقلبك والأوانس والدُّمى ... لا تستبيه سعادها ولميسها
شمست عن التهيام نفسك يافعاً ... هل رِيض بعد الأربعين شَموسها
لله فاتنة تملّك قلب من ... تحنى لديه من الرجال رءوسها
فعلت به ألحاظها ما قصّرت ... عن فعله أقداحها وكؤوسها
يا من سُحرت بقوله هل ذاك من ... تأثير عينيها وأنت جليسها ؟
إن كنت أحببت الصليب لأجلها ... وشجا فؤادك قارعا ناقوسها
والروح والانجيل حلفة صادق ... ويمين حق لا يرد غموسها
إني لهجت بذكر يوحنا ومر ... قس وازدهى في ناظري جرجيسها
وشريت تكريس البتول ويوسف ... وحفظت ما قد قاله قديسها
هذا ولولا حب دين محمد ... «من دون كاد» لأمَّ بي قسيسها
هامت بها نفسى لوصفك حسنَها ... حتى كأنْ موهومَها محسوسها

فأجبته بما يلي وهو أيضاً من باب المفاكهة :

والله مذ طلعت علي شموسها ... ريضت لها نفسى وزال شموسها

والشمس ماطلعت علت أنوارها ... وعرا الكواكب والبدور خنوسها
ألقت على قلبي المتيم لحظة ... خضعت لها روحي ولان شريسها
رق الفؤاد لها فصار رقيقها ... وحنى لها رأس العلو رئيسها
تُدعى الأسيرة غير أن غزاتها ... عادت لها أسرى تذوب نفوسها
قد غيبوها في السجون فلم يطل ... أن صار رب الحبس وهو حبيسها
خلصت تجر منه ذيل صيانة ... هي منه في لمعانه طاووسها
وكذا الجمال اذا سرت أجناده ... سالت بأودية القلوب تجوسها
مذ صوّبت نحوي سهام لحاظها ... وَهَنت دروع مفاصلي وتروسها
نفذت لها بين الجوانح نظرة ... فيها يضل الطب جالينوسها
باتت تقلّب في ضعيف بنانها ... أسدا تضيق به الاسود وخيسها
هيهات أطمع بالثبات أمامها ... بل يجذب الصوان مغناطيسها
من ذا يعارضها بملك عبيدها ... مذ فوق عرش الحسن كان جلوسها؟
شاهدت منها منظرا تحيا به ... روح ولو بلغ الفصال نسيسها
وسرقت نظما من مباسم ثغرها ... دررا يعز بمثلها قاموسها
قل للخليل يتيه في فيحائه ... ويروض كل كريمة ويسوسها
ويرود مرجتها عشية سبتها(١) ... وله بكل محطة جاسوسها
ويصيد عفر ظبائها في كنسها ... واليه تجبى جوبر وكنيسها(٢)
أظننت شطر الحب خصك مفردا ... وسواك في اقسامه مبخوسها؟
وحسبت مافي الركب غير «خليلها» ... و«أديب»(٣) ذلك وحده نقريسها

---

(١) في دمشق عادة هي خروج الناس الى المرجة للنزهة عصر السبت

(٢) جو بر قرية من قرى الغوطة لخليل بك فيها بساتين كان يدعونا للنزهة فيها . وفي جو بر كنيس لليهود قديم جداً (٣) الحاج اديب خير من اخواننا

أَوَإن قطعتُ الأربعين أينبغي | أن تستوي غزلانها وتيوسها ؟
أوما علمت الاربعين رجالها | نعم الفوارس اذ يفور وطيسها
وهم الجهابذة الأساتذة الألى | ليسوا أُصيبية تعاد دروسها
وهمو اذا ضمتهمو أعراسها | مثل الضراغم ضمها عِرّيسها*
أيكون مثلي شاعرا وأكون من | لم يجتذبه من الوجوه أنيسها ؟
مازال سلطان الجمال محكما | تأتيه من كل القلوب مكوسها

وبعث لي سنة ١٣٣٤ سعادة خليل مردم بك الشاعر الكبير من عيون أعيان الشام قصيدة رائية من بحر الطويل يلتمس مني فيها أن أجيزه فأجبته بالقصيدة الآتية :

أرى جملة في صفحة الكون لا تُقرا | وعاطفة في النفس تَدري ولا تُدرَى
وناراً بأحناء الاضالع كلما | تخللها برد اليقين ذكت جمرا
هي النار في الاحشاء لكنها هدى | لمن كان لا يرضى بايمانه الكفرا
على ضوئها سار الائمة قبلنا | وهزوا على الاملاك ألوية حمرا
وكم شاهدوها بالحجاز ونورها | يضيء بأعناق الايانق من بُصرى
ولولا سناها ما درى ذو بصيرة | أقلبا حوى بين الجوانح أم صخرا
ولولاه لم تعرف عن الروح سيرة | ولا أثرا عنها قصصنا ولا إثرا
لقد غاب عنها كنهها ومكانها | ولكن على الأكوان آثارها تترى
لها كل آن في البرية مظهر | يخبر أن الله أودعها سرا
يقولون خلق كل ما فيه آية | أجل انما سر الهوى الآية الكبرى
دخان بلا عود وعَرف بلا كبا | وبرق بلا سلك وسرى بلا إسرا

(*) العريس والعريسة مأوى الاسد

فمن يتأمل في البعيد يجد لدى جوانبه أشياء لا تقبل الحصرا
ومن يتروى في دموع يسيلها يخض عندها من بين أعينه البحرا
رأيت على طرس الوجود صحائفا يداول فيها ربها النظم والنثرا
منظمة حبا مشتتة قلى مؤلفة عرفا مخلفة نكرا
جنود من الارواح قد أصبح الهوى لأشكالها سمطا وأصبحت الدرا
لها في صبابات القلوب مذاهب فأشرفها حبا بأشرفها مُغرى
كما هام قلبي بالخليل بن مردم هناك الهوى العذريّ قد صحب العذرا
أجل سراة الشام بيتا وانه لأحدثهم سنا وأكبرهم قدرا
وأرحبهم ذرعا وأطولهم يدا وأكرمهم نجرا وأصدقهم فجرا
وأقسم إني ما رأيت نظيره فتى سبق الاشياخ في قطره خبرا
ولألأ نور المصطفى في نجاره (١) فعم عديا مجد نسبته الزهرا
أتاني قصيد منه يبغي إجازتي وهل لضئيل النجم أن يُقبس البدرا
وكيف يجيز المرء من بان شأوه عليه وهل للفتر أن يعدل الشبرا
وجاد بشعر كدت عند نشيده أشكك هل بالشعر جاد أم الشعرى
يساجلني حر القريض وهل ترى يساجل هذا الترب ذيالك التبرا
إجازة مثلي مثله خالص الدعا بتوفيقه والله يربي له العمرا
واني أرى فيه مذ اليوم مفردا كذاك يرجّى البدر من شهد الشهرا
شهدت به في الحسن بدرا وفي التقى شهدت به سيماء من شهدوا بدرا

أما قصيدة خليل بك مردم بك فهي هذه وهي من أوائل شعره:

أحس بشيء في الحشا يشبه الجمرا أهذا غرام هيجته لي الذكرى؟
أبيت وجنبي لا يلائم مضجعا ودمعي لا يرقى وطرفي لا يكرى

(١) النجار بالكسر الحسب اشير الى ان والدة خليل بك من آل حمزة السادة المشهورين

أصيخ لما يوحى الغرام لمسمعي ... فأنثره طورا وأنظمه أخرى
أأخت الدمى قلبا خلا ونعومة ... وأخت الظبا طرفا كقلبى أو نحرا
أتدرين فوق الحب منزلة لكم ... تقربنى فالحب جرّ لى الهجرا
فعند هبوبى أنت أول خاطر ... وآخره والله أنت اذا أكرى
أمر على الصخر الاصم تعلة ... فألثمه إذ قلبها يشبه الصخرا
وما كنت ممن يعجم الحبّ عوده ... ولكنما يصبو الحليم لها قسرا
« وما أنا ممن تأسر الخمر لبه » ... ولكن سقتنى في نواظرها خمرا
فتور كشعر الصب بالهجر رقة ... اذا هام وجدا أو شعور الشجى المغرى
فلو كان لى شيء من الشعر بين من ... هم أولياء الشعر عرفتها الشعرا
أجزني أمير الشعر بالشعر إننى ... أراني لم أسلك به مسلكا وعرا
رددت عليه حسنه بعد ما زوى ... قرونا فاضحى غصنه بك مخضرا
أعدت لنا عصر النواسى ومسلم ... فبوركت يا عصر القريض به عصرا
فمن مبلغ شيخ المعرة شيخنا ... وأحمد والطائي الالى نظموا الدرا
وشيخ القريض البحتري مع الرضى ... ومهيار من كانوا لأعصرهم فخرا
بأنا رأيناهم جميعا بشخصه ... فقروا عيونا فالقريض لقد قرا

***

إليك أمير السيف والقلم انتهت ... رئاسة كلٍّ فاعملنْ لذا شكرا
بأكنافك العليا تلوذ صيانة ... لقد كنت والرحمن في صونها أحرى
لك الله من شهم قد اجتمعت به ... كرام خصال قد تجاوزت الحصرا
« عفاف واقدام وحزم » ومنعة ... ومجد تسامى رد عين العلا حسرى
إلى ظلك العالى زففت خريدة ... اجازة شعر منكم أبتغى مهرا

حادثة سياسية

استحالت فكاهة أدبية

وفى أيام السلطان عبد الحميد وشى واش بالاستاذ العلامة محمد أفندى كرد علي في دمشق فارسل الوالى ناظم باشا فكبس منزله وعثر على بعض أوراق يعد حفظها يومئذ من الجرائم فجاء من أخبرني بالقصة وأن الكرد علي فرَّ وتوارى في الغوطة فذهبت في الحال الى ناظم باشا وأبديت وأعدت حتى غض النظر عن هذه المسئلة وأبلغت الاستاذ أن يعود آمناً : فعاد الى داره وبعدها جاء هو والاستاذ الكبير الشيخ طاهر الجزائرى ليشكرانى على ماقمت به من تفريج هذه الازمة عن الكرد علي فصرت أداعبه ببعض أبيات ارتجالية في الموضوع فطرب لها الشيخ طاهر واقترح اكمالها قصيدة فأكملتها ثاني يوم وانتشرت في كل نادوهى فى كتاب خطط الشام تأليف الاستاذ الكرد علي

ألا قل لمن في الدجى لم ينم — طلاب المعالى سمير الالم

ومن أرقته دواعي الهوى — فدون الذى ارقته الحكم

فكم فى الزوايا تخبا فتى — طريد الكتاب شريد القلم

يري الارض ضيقاً كشق اليراع — ويهوي على ذا الوجود العدم

وكم ذا بجسرين (١) من ليلة — على مثل جمر الغضا في الضرم

تمنى الاديب بها ندحة — ولوبات يرعى هناك الغنم

وكم سروة تحت جنح الظلام — كسر بصدر الاديب انكتم

(١) قرية في الغوطة للكرد علي بها ملك

يخاف بها حركات الغصون ويخشى النسيم اذا مانسم
وان تشد ورقاء في ايكة تؤرقه فى صوتها والنغم
وكم بات للنجم يرعى اذا اديم السما بالنجوم اتّسم
وطال به الليل حتى غدا يظن عمود الصباح انحطم
ومن ذُعره خال ان النجوم لتهدى الى مسكه عن أمم
اذا ما السماك بدا رامحا توهمه نحوه قد هجم
ولولا الدجى لم يتم النجا وقد امكن الظلم لولا الظلم
ولله در القرى اذ خفته(١) فما بالسهولة يخفى العلم
فجسرين زبدين والاشعرى(٢) ديار بها قد أوى واعتصم
ونحو المليحة (٣) رام الخفا وكم بالمليحة من متهم
ديار أبى أهلها غدره وآواه منها الوفا والكرم
ولا شك رقوا لأحواله طريداً يعاني الجوى والسقم
ليالى كانون فى الاربعين وبرد العشيات أغلى الفحم
بأرض ثراها سماء وماء ففوق السواقي وتحت الدِّيَم
يجول وقد صار مثل الخيال ودق فلولاح لم يقتحم
وفوق الخدود كلون البهار وتحت المآقي كلون العنم
وفي كل يوم سؤال وبحث وانى تولى وأين انهزم ؟
وقد كان فى كبسهم بيته بجلق قالٌ وقيلٌ عمم
فكانت على كتبه غارة كغارات عرب الصفا(٤) بالنعم
وقالوا سينفى الى رودس وقالوا سيجزى بما قد جرم

(١) خفاه مثل اخفاه (٢) أسماء قرى (٣) قرية أيضا كان منها عبد الوهاب الانكليزي رحمه الله وكان متهما بمناوأة الحكومة (٤) عرب الصفا مشهورون بالنهب

وقالوا سيحمله ادهم ... بمرقاه لا تستريح القدم
وبعض بسجن عليه قضى ... وبعض بضرب عليه حكم
وكرد عليّ غدا عبرة ... فغاث ومنه الرجاء انصرم
فيا كرد لا تحزننك الخطوب ... فان الهموم بقدر الهمم
ومن رام ان يتعاطى البيا ... ن توقع ان يبتلى بالنقم
فذى حرفة القول حريفة ... وكم أدركت من لبيب وكم
وكم كتبة أعقبت نكبة ... وكم من كلام اقلب كلم
ومن بالكتابة ابدى هوى ... فان الكآبة منه القسم
فيا كرد صبراً على محنة ... فكم محنة شيبت من لِمم
وصبرا على ورقات لها ... عيون المعاني يبكين دم
وواهاً لباقات زهر غدوت ... لها جامعا ياأخي من قدم
ازاهر تسهر في جمعها ... فلا غرو أن فاح عرف فنم
ومانم الابنشر ذكى ... وطيب يفوق عرار الاكم
فقولوا لواش بكرد علي ... نشرت الثناحين حاولت ذم
فما كان كرد سوى صادق ... لدولته طالما قد خدم
وما وجدوا عنده ريبة ... تعد ولو في صغار اللمم
فهل يطفئون بأفواههم ... من النور ما قد رآه الامم
ومادام ناظم فى شامنا ... فما نستضام ولا نهتضم
ولولا العناية من ناظم ... لما كان شمل لنا منتظم
وقانا دسائس أهل النفا ... ق ورد الوشاة وجلى الغمم
وقد اضحت الشام في عهده ... يصوب عليها . . عهاد النعم
وباتت من الزور فى مأمن ... وحق الامان بباب الحرم

وأطلعني في مرسين صديقي المجاهد الاكبر السيد أحمد الشريف السنوسي على قصيدة همزية قيلت في عمه السيد محمد المهدي رضي الله عنهما فعارضتها قائلا من البحر والقافية :

هل ترى ينتهي عليه الثناء   سيد ينتهي اليه السناء
وتؤدّي له البلاغة حقا   ويوفي أخباره الانشاء
ويجلي القريض صورة معنا   ه ولو بالشعرى أتى الشعراء
قد كفانا من وصفه أنه الـــمهدي   مذ قد تجلت الاسماء
نجل قطب قد كان في الشـــرق   والغرب سراجا بنوره يستضاء
هو بحر الشريعة ابن السنوسي   الذي عنه سارت الانباء
لم يدع في العلوم علما ولم يقـ   ـتله والعلم قتله إحياء
جمع العلم والولاية فاءتمّ   به العالِمون والاولياء
استفاضا لديه نورا على نو   ر وكل على الورى لألاء
فيه لاقى العلم اللدني علما   سهر الليل أصله والعناء
لا يرى العلم في سوى العمل الصا   لح فالعلم آلة ووعاء
فلهذا ترى الطريق السنوسـ   ـيّ على الفعل قام منه البناء
بات فعلا هدى مريد السنوسـ   ـي وأن ليس بالكلام اكتفاء
كلهم عامل لذلك فيهم   تتبارى العقول والاعضاء
كم تولى بالكف سكة حرث   حبر علم حفت به القراء
حققوا سنة المعلم للخير   الرسول الذي به الاقتداء
بث ما بين مطلع الشمس والمغرب   رشدا ضاءت به الارجاء
وزوايا في كل غور ونجد   ليس يسطيع حصرها الاحصاء

وبدا بالبناء في الجبل الاخضر حيث البنية البيضاء (١)

في ذرى السيد الجليل الصحابي سيدي رافع عليه الرضاء

حيث قد لاح ذلك السيد المهـ ـدي بدراً ضاءت به الظلماء

أي فرع لأيّ أصل لعمري قد تحاكى الآباء والأبناء

لا بل الابنُ جاء أوفى علوّاً ولئن فاق من أبيه العلاء

الهمامُ المهديّ والسيد الصا دع بالحق والسحابُ الرواء

أزهر الوجه ناصع اللون لم تنـ ـجب بأبهى من شخصه الزهراء

أكحلُ الطرف مستديرُ المحيّا لاحَ فيه الهدى وجالَ الحياء

أبيضُ الخدّ والثناء وفي أيـ ـمن خديهِ شامة سمراء

أروعيٌّ صلتُ الجبين إذا قابلـ ـتهُ قلت كوكب وضّاء

ربعة قدُّهُ قويٌّ عريض منكباهُ وأذرعٌ فتلاء

واسعُ الثغر باسم عنه درّاً والثنايا في ثغره فلجاء

شثن كف لكن أيديه الشثـ ـنة بالجود سبطة سمحاء

هاشميٌّ أشمٌّ أنف كذا مع شمم الانفِ همة شمّاء

يتجلّى كماله في عيون زيّنتها حواجب وطفاء

يملأ العين هيبةً وجلالا وهو مع ذاك لحظه اغضاء

من رآه يقول هذا هو المهـ ـديّ حقّاً وللهدى سيماء

أشبهُ الناسِ بالنبي ومن يشـ ـبه أباه فليس منه اعتداء

نشرَ الدينَ في بلاد السوا دين جميعا فعمّها الاهتداء

وبأسيافه طرابلس الغرب أُجيرت وبرقة الحمراء

---

(١) زاوية البراعصة المسماة بالبيضاء وفيها ولد السيد المهدي وبقربها مقام سيدي رويفع الانصاري

سوف يدري الطليان أن في السويـــداء رجال حروبهـــم سوداء

في مجال الطعان أُسد محاريـــب ولكن عند المحاريب شاء

ينصرون الاسلام بالسيف والمصــــحف فالقوتان فيهم سواء

يعمرون الأرض التي أورث الله عبـــاداً له هُمُ الصلحـــاء

لم يحلّوا قفراً من الأرض إلا اهـــتز منه حديقة غنّـــاء

فاسأل القروَ والجغابيب والكفْـــرة(*) ينطقْ عمرانها والنماء

واسأل الواح كلها كيف عاشت بالسنوسيِّ تلكمُ الصحراء

ليس يخشى الافرنج مثل السنوســيّ وما هم في خوفهم أغبياء

عرفوا قدره وبعد مراميه فأشهاد فضله الأعداء

كم غدت من سطاه ترجف رعباً دولة ملء أنفهـــا الكبرياء

رد ازر الاسلام صلباً سويا بعد أن كان شفّه الانحناء

وأعاد الاسلام غضاً كما كان عـــليه الأسلاف والقدماء

لم يقم مثله لِارشاد خلق ذلك الحق ليس فيه مراء

﴿ مدحتي لسمو الخديو توفيق باشا ﴾

أول مرة خرجت فيها من سورية كانت رحلتي الى مصر: وكنت في الواحدة والعشرين من العمر، وأقمت بالقاهرة أكثر من شهرين وأنا ملازم أستاذنا الامام الشيخ محمد عبده وتلك الحلقة التي كانت تجتمع بالقرب من قصر عابدين في بيت المرحوم سعد افندي زغلول الذي صار فيما بعد زعيم مصر، ثم برحت مصر قاصداً الاستانة ومررت على الاسكندرية وذهبت إلى سراي رأس التين حيث أكرمني الجناب الخديوي

(*) القرو واحة في الصحراء ومثلها الكفرة ومثلها الجغبوب وقد عمرها كلها السادة السنوسية

يومئذ محمد توفيق باشا بمقابلته، وكنت هيأت قصيدة لسموه لكنني لم أقرأها بحضرته بل سلمتها عند خروجي منها لرجال المعية السنية، في اليوم التالي نشرتها المعية في جريدة الوقائع المصرية وكان محرر الوقائع المرحوم الشيخ عبد الكريم سلمان فكتب فوقها تقريظا جميلا . وليست جريدة الوقائع الآن تحت يدي لأنقل القصيدة برمتها وإنما أتذكر منها الابيات التالية :

أقول لنطقي اليوم إن كنت مسعدي ... إذاً أرقَ أسباب السماء بمصعد

وانظم من القول النفيس فرائدا ... تنزل شِعرَى الأفق في شعر منشد

إذا أنا لم أوف المكارم حقها ... من الشكر في سلك القريض المنضد

فلا شغفت لي بالمكارم مهجة ... ولا عز آبائي ولا طاب محتدي

ولا بلغت بي رتبة من مكانة ... أنال بها لقيا العزيز محمد

وأذكر علياه وذكر محمد ... ألذ كلام قيل بعد التشهد

عزيز حمدت الدهر عند لقائه ... ومن لقيَ التوفيق للسير يحمد

ولا غرو أن حنت لتقبيل كفه ... على البعد نفس تلمس النجم باليد

وشاقت له رب الرقائق طلعة ... لعمرك تذكى الشوق فى قلب جلمد

ومنها :

فدونكها يا غرة الملك غادة ... تميس كغصن البانة المتأود

وإني اذا أهدى العزيز مدائحي ... أبوء بصدق القول غير مفنَّد

ومن رام من إدراك كنهك غاية ... يجد غاية ما تُدن للوصل تُبعد

وإلا فما حاولت إدراك غاية ... بشعرى ولا نظم القصائد مقصدى

ولي من عبث الشباب تقليدا للشعراء :

أرى في غزال الدو منه شمائلا فأهفو اليه كلما مر سانحه
وتخطر قضبان العذيب فتنثنى معاطفه في خاطري وجوانحه
أكاد لمرأى كل غصن أراكة أعانقه من أجله وأصافحه
وأعشق نور البدر ليلة تمه لأن قد بدت منه عليه ملامحه
يقول عذولي شف مسكتك الهوى فأنت لعمري ذاهب الفكر سائحه
فقلت جميع الرشد في سبل حبه إذا لاح لي من ذلك الوجه لائحه
وقالوا أضعت العمر في حب أغيد ومن علق الغزلان ضاعت مصالحه
فقلت لهم يا حبذا ما أضعته بمن حبه كنز تنوء مفاتحه
فدا كل ظبي بين سلع وحاجر لمهجة ظبي في الفؤاد مسارحه
ومهما يعذبني فعذب مذاقه ومهما يؤرقني فاني مسامحه
وما أسعد الليل الذي أنا ساهر وما أقدس الدمع الذي أنا سافحه
وقالوا قطعت الأربعين فما الهوى وقد صاح في فوديك للشيب صائحه
ولم يعلموا ان المهار وإن زكت لتعجز عما طال في الجري قارحه
بلى أنا سلطان الغرام وهذه صحائفه في راحتى وصفائحه
إذا في كتاب الحب طالع مغرم فقلبى مميله ودمعي شارحه
أنا الصب متبولا بذكر حبيبه وشرط المعنّى أن تغيب جوارحه
خليٌّ إذا رام الصلاة تداخلت تحياته مع ذكره وفواتحه

وامتدحني بعض الشعراء المفلقين في جريدة الفتح فأجبتهم بالأبيات الآتية:

يقرظني قومي بأني مدحتهم — كما يمدح الروض الذكي على النفح
ولو انهم قد أنصفوني لما رأوا — بمعرفتي الحق عارفة المنح
إذا لرأوا آثارهم شاهدا لهم — يكاد لديها الطير يهتف بالصدح
شهدت بما شاهدت مامن علاقة — ولا صلة توهى الشهادة بالجرح
ولكن من شأن الفصاحة أنها — إذا بهرت تعطو إلى خلق سمح
سيوف نضاها الله إذ حمس الوغى — ونادى منادي الدين للرمي والنضح
تواصل في جيش الضلال قراعها — فما برحت تشفي الصدور من البرح
تلألأ في قطع من الليل مظلم — سناها فكان الليل أضوا من الصبح
فلا تأخذنكم في الغواة هوادة — وفلوا جموع الشر بالضرب والطرح
لقد خرضوا في الدين والعرض جهرة — ولجوا فعاد القرح ينكأ بالقرح
فليس بغير الكسر حسم لدائهم — وغير العصا والجوز يؤكل بالشقح
وكل ذنوب العالمين مصيرها — الى العفو إلا الشرك ممتنع الصفح
سينصركم من تنصرون كتابه — ويؤتيكم الفتح القريب من الفتح

وإلي هذه الابيات السينية المنشورة في جريدة الفتح عدد ٢٥٨ وقد قدمت عليها هذه الجملة :

إلى الشاعر المفلق النجمي زاده الله ابداعا

قرأت أيها الاخ أبياتك السينية فهاجت بي خاطر الشعر برغم كل هذه الشواده وهذه العوادى ، فأخذت القلم وسالت القريحة بالابيات الآتية والله يشهد أنها وليدة بضع دقائق، إلا أني لا أخالنى إذا أطرقت ونمقت آتي بأحسن منها فخذها على علاتها :

ما أدهشتنا من النجمي قافية — كأنها الغادة الحسناء في العرس

لهـا سوابق قـد جاءت مسلسلة على اطراد كعوب الذُّبّل الدُّعُس
قل فى حبيب وبشار ورهطهما والبحتريّ ولا تضنن به وقس
هيهات أفرق إعجابي بأيهمـا من تلكم النفس أم من ذلك النفس
شعو به تسكر الالباب سائحة كما تسافر بنت الحان بالجُلس
لا يعرف السامع الولهان نشوته من سبكه الجزل أم من نسجه السَّلِس
رَوِيّه العـذب فى تحكيم موقعه من أول الشطر يدرى غير ملتبس
لا يحرم الله حزب الحق طائفة إن تنصلت فى مجال الكر تفترس
قد آن للظلم أن ينجاب عن فرج لم يبرح الفجر مشتقا من الغلَس

﴿ تاريخ مولود عزيز ﴾

وكنت في أوائل سنة ١٩٢٠ مسيحية فى جبل سان مورتز بسويسرة وكان هناك الشهم المفضال عزيز عزت باشا من عيون أعيان المصريين وصهره الامير محمد علي حسن من العائلة الملكية المصرية فولد للأمير مولود سماه (عزت حسن) فنظمت له التاريخ الآتي : —

قل للعزيز أدام الله بهجته وبات يخدم سامي بابه الزمن
اهنأ بسبط به منّ الاله ولا زالت تلازمك الآلاء والمنن
وليهنأنّ الامير الشهم والده أنعم بغصن نضير جاءه غصن
لما تطايرت البشرى بمولده وقرت العين مما تسمع الاذن
أهدى محبك تاريخاً وقال به بعزة قد تجلى وجهه الحسن

تاريخ لزفاف محمد بك ناجى نجل صديقنا المرحوم حنفى بك ناجى من أعيان مصر :

يا أيها الحنفى الذى لو أننى كاتبته بسواد عينى ما كفى

هيهات أقدر أن أوفي واجبا — لثناك ياسلطان أرباب الوفا
مازلت أضرب في البلاد ولم يزل — بحشاك قلب أخ عليّ مرفرفا
أهديت لي البشرى بعقد محمد — تلك البشارة ما ألذ وألطفا
أسعد بها من ليلة فيها جرى — ذاك الزفاف على سميّ المصطفى
يا أيها الخل الذى شوقى له — بعد البعاد أجل من أن يوصفا
يدعو لك اليوم المؤرخ شاعرا — لزفاف نجلك بالبنين وبالرّفا

٥٧٢ ١٩٨ ١٠٣ ١٤٥ ٣٢٠

جواب عالم في بوسنه

وكتبت إلى حضرة الفاضل شاكر افندي مسيحو قتش الهرسكى من أعضاء مجلس العلماء بسراي بوسنة وذلك فى جواب كتاب منه

لما حللتُ بأرض بوسنا — وانجلت تلك المنابر
أيقنت اني وسط ربع — بات بالاسلام عامر
ولقيت من ألطافكم — ما تستبين به السرائر
مانال ماقد نلته — منكم لعمرى أى زائر
فأنا الحقيق بأن أتيه — اذا أردت وأن أفاخر
قد كنت طول إقامتى — ضيفا تحف به الجماهر
ألقى الحنوّ على الوجوه — عليّ مثل الشمس ظاهر
ان الوجوه من الرجال — لنعم عنوان الضمائر
ورأيت وجهك كيفما — أقبلت ينظر وهو سافر
والعطف إن حل الفؤاد — غدت تؤكده النواظر
فأنا محبك ما حييت — وشاكر أبدا لشاكر

﴿ ذكرى شاعر الألمان الحكيم ﴾

ولما زرت فى فرانكفورت بيت غوته شاعر ألمانية الاكبر وقدموا لي الدفتر المعتاد أن تكتب فيه أسماء الزائرين كتبت الأبيات الآتية ارتجالا مع تضمين البيت الاخير :

مذ قيل هذا بيت (غوته) زرته ... إذ كان للشعراء كعبة قاصد
هذا أمير الشعر عند قبيله ... منه لجيد الدهر عقد فرائد
طأطأت رأس قريحتى فى بابه ... ولكم رأت عتباته من ساجد
إن لم يكن من أمتى وعشيرتى ... فالناس في الآداب أمة واحد
(أو فاتنا نسب، يؤلف بيننا ... أدب أقمناه مقام الوالد)

وبعد أن ذهبت من فرانكفورت استدعت البلدية الاستاذ المستشرق هوروفيتس الذى كان يدرس العربية نفسها في كلية عليكر في الهند وله ترجمة إلى الالمانى لديوان الكميت فيما أتذكر وغيره فترجم هذه الابيات ونشر الترجمة في جرائد ألمانيا ومهدلها بمقدمة جاء فيها بالاطراء الزائد وقال : هذا إكرام شاعر الشرق لشاعر الغرب

﴿ زيارة قبر سيف الله ورسوله وقائد جيوش العرب والاسلام الاكبر ﴾

ولما زرت مقام سيدنا خالد بن الوليد رضى الله عنه في مدينة حمص وذلك منذ ثلاثين سنة فأكثر كتبت على حائط المقام هذين البيتين :

مغيبك سيفَ الله فى غمدك الثرى ... دليل بأن الله لا شك واحد
فلو أن فذًّا خلدته فتوحه ... لما كان فى الاقوام إلاك خالد

﴿ ما أنشد في حفلات تكريم كبار الشعراء ﴾

منذ نحو من ثلاثين سنة قام بعض أدباء مصر بحفلة تكريمية لحافظ ابراهيم الشاعر المشهور. وكتب لي بعض الاخوان من مصر الى سورية يقترحون علي إرسال بعض أبيات لتقرأ في الحفل، ومن جملة ماذكروا لي من محاسن حافظ انه يحب السوريين، وكان ذلك قبيل عيد الأضحى. فأرسلت أبياتا ليست عندي نسختها الآن وإنما انا أملي منها ما أتذكره وهو:

ورهطٍ دعَوني أن أجيب نداءهم ... فلما دَعوني لم يروني بِقُعْدُد [1]

أإِخوانَنا الداعين بي لأجيبهم ... اليكم تروا مني اهتزاز المهنَّد

حلفتُ بما بين الحطيم وزمزم ... وأقسمت بالبيت العتيق المشيد

وبالطائفين (٢) العاكفين بهذه الليـــالي تراهم من ركوع وسجَّد

يؤمون مثوى للخليل ومرقدا ... تلألأ نورا بالنبي محمد

مشاة وركبانا على كل ضامر ... ومن فوق قضبان الحديد الممدد

فما فى حديث الحج لين وقد غدا ... يجيء على شرط البخارى بمسند

لعمرى لقد أحيت قريحة «حافظ» ... عهود أغان للسريج ومعبد (٣)

يقولون لي شيِّد عن الشام ذكره ... ألم يك ولّى الشام شطر التودد ؟

فقلت لهم أُثنى عليه بصالح ... عن العُرب طرًّا اذاك أصلي ومحتدى

وما عربيٌّ بَيِّن الضاد نطقه ... بشامى ولا مصري ولا متبغدد

---

(١) القعدد الجبان (٢) اختلف في جواز القسم بغير الله تعالى، ونقل بعضهم عن ابن عباس جوازه، وانه استشهد على ذلك بقوله تعالى (لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون) في سورة الحجر (٣) ابن سريج ومعبد مغنيان مشهوران ترجمهما صاحب الأغانى

ومنها خطابا لحافظ :

وقبلى قد أولاك «سامى»(١) شهادة ومثلى بمحمود السجية يقتدي
فأنت إمام النثر غير مدافع وأنت أمير الشعر من بعد أحمد(٢)

***

وأقيمت حفلة لشاعر القطرين خليل بك المطران فأرسلت إلى الحفلة بالأبيات الآتية . وذلك سنة ١٩١٢

لك يا خليل من القلوب مكان هو فوق ما بسمائه كيوان
لم يختلف أحد عليك كأنما لك كل أرباب النهى خلان
كل الخواطر فى ولائك خاطر وجميع ألسن عارفيك لسان
ويرى التكلف فى سواك وإنما شرع عليك السر والاعلان
يكفيك ما بين العناصر أنك ال وطنى لا بغض ولا شنآن
عجباً له جمع القلوب على الولا قلم بكفك ساحر فتان
وإذا تجرد للنضال فانه لأعز ما نصرت به الاوطان
هيهات يبلغ شأو فتكاك بالعدى من في يديه صارم وسنان
قد زين الادب الذى أوتيته جما أن الاخلاق فيك حسان
ووفاء طبع ما تخلف عن أخ وزماننا إخوانه خوان
تالله في الاجياد منك قلائد غر وفى الآذان منك جمان
لو جئت في عصر القريض لما علت يوما بنابغة لها ذبيان
ولئن عداك موازنوك فكم فتى مذ خف عنك علا به الميزان
أو كانت الدنيا قسوس فصاحة بحذا عكاظ فانك المطران

---

(١) أي محمود باشا سامي البارودي الذى قرظ حافظا في تلك الحفلة
(٢) من شاء يفهم أن حافظا هو أمير الشعراء بعد المتنبي ، ومن شاء يفهم أنه ثان لشوقي

القصيدة التي بعثت بها من امريكا إلى المهرجان الذي أقيم لأحمد شوقي أمير الشعراء سنة ١٩٢٧ مسيحية و تلاها في المحفل شاعر القطرين خليل المطران ، وكان نظمي هذه القصيدة في البحر قبل وصولي إلى نيويورك : —

نادِ القريحةَ ما استطعت نداءَها ... إنّ الحقوق لتقتضيك أداءها

مهما ينلْ منها الجمودُ فإن من ... إعجاز أحمد ما يفجّر ماءَها

مهما تراكمت الغيوم بأفقها ... فاليوم عندك ما يعيد جلاءَها

لا تعتذر عنها بكرّ نوائب ... سدّت عليها نهجها وسواءها

فألذّ ما همت السحاب اذا مَرَت ... هوجُ العواصف دَرّها وسخاءها

والخلْقُ يستوري الزنادَ وإنما ... تُرى الصوارم بالصقال مضاءها

والرمح يكسب بالثقاف متانةً ... والخيل يُظهر عدوُها خيلاءَها

حاشا القرائح أن تضنّ بِرَدْفها ... ما دام شوقي كافلاً أنواءها

الشاعر الفذ الذى كلماته ... ضمنَ النبوغُ على الزمان بقاءها

أنست فصاحته أوائلَ وائل ... وغدت هوازن مع ثقيفَ فداءها

في كل كائنة يزفُّ قصيدةً ... توتي جميع الكائنات بهاءها

غدت المعاني كلها ملكاً له ... فأصاب منها كل بكر شاءها

وكسا اللسان اليعربيَّ مطارفاً ... هيهات ينتظر الزمان فناءها

ستخلد الاوطان من تكريمه ... ذكرى تطبق أرضها وسماءها

لو أنصفت لغة الاعارب قدره ... صلّت عليه صباحها ومساءها

من كل موضوع أصاب شواكلا(١) ... بلغت بمقتلها الصدورُ شفاءها

يبكي «شكسبير» على أمثالها ... ويبيت «غوته» حاسداً علياءها

---

(١) يقال أصاب شاكلة الرمية أي خاصرتها

ولو أن آلهة الفصاحة عندهم ... أدركن شوقى خففت غُلَواءها
صنَّاجة الشرق الذى نَبراته ... تجلو المشارق عندها غمّاءها
في كل حرف من حروف يراعه ... وَتَرٌ يثير سرورها وبكاءها
ما حل بالاسلام بأس ملمة ... إلا ورجّع شعره أصداءها
يبدى فظاعتها ويوسع هولها ... وصفًا ويذكر داءها ودواءها
كانت قصائده لبعث بلاده ... صُورًا أراد من البلى إحياءها[1]
وأرى الليالي لا تعزز أُمّةً ... إن لم يكن سوّاسُها شعراءها
كم أثبت التاريخ في صفحاته ... أُممًا غدا انشادُها انشاءها
ضلت لعمرى في الحياة قبيلةٌ ... لم تصطحب أفعالُها أسماءها
والعرب لا تبدا بجمع جموعها ... إلا سمعت نشيدها وحداءها
أكرم بأحمد شاعراً وافى لنا ... في روح أحمد[2] حاملا سيماءها
أتلو قصائده فتملأُ مهجتى ... فرحا يزيل همومها وعناءها
وأظلُّ مفتخرًا بها فكأنّ لي ... دون الانام ثناءها وسناءها
نحلت له نفسى مودة وامق ... وفّى عهادُ[3] عهودها إنماءها
نعزو إلى لخم متانة أصلها ... وتمزّ من ماء السماء صفاءها[4]
لا ترتجي منها النمائم ثلمةً ... كلا ولا توهى الهنات بناءها
ناشدت شعرى أن يفي بمودتي ... وأراه يعجز أن يجيء كفاءها
قد صار عهدى بالقريض كأنه ... دِمَنٌ تقاضتها الرياح عفاءها

---

(١) كررت هذا المعنى فى رثائه رحمه الله :

بعثت به روح الحياة كأنها ... هي صوراسرافيل فىزعقانه

(٢) احمد بن الحسين المتنبي

(٣) العهاد أول مطر الوسمي

(٤) اشارة إلى القبيلة التي ننتمي اليها وهى لخم وآل ماء السماء ومز الماء رشفه

أدعو فلا يأتي الذي أرضى به | والشعر أن تجد النفوس رضاءها
والشعر ما رسم الضمائر ناثلاً | منها الكنائن نافجًا أحناءها
والشعر ما ترك المعاني مُثَّلاً | فتكاد تلمس بالأكف هباءها
والشعر حيث يقال من ذا قالها | ما الشعر حيث يقال من ذا قاءها
وهناك نفس مرّة ما تأتلي | تملي عليّ من العلا أدواءها
إن لم تجدني في العجاجة أوّلا | نكرت علي ثلاثها وثناءها
وفَرت يا شوقي السباق على الورى | برياسة بات السباق وراءها
تتقطع الأعناق عن غاياتها | حتى الأماني لا تحوم حذاءها
تالله أعطيت الرياسة حقها | وعقدت حبوتها(١) ونلت حباءها
وبذذت أهل العبقرية كلهم | وبَزَزْت(٢) جنة عبقر أشياءها
لما رأيتك قد نزحت قليبها | ألقيتَ عنى دلوها ورشاءها
فاسعد بعرش امارة الشعر التى | ألقت إليك لواءها وولاءها
وتهنّ وابق لأمة عربية | لا زلت قرة عينها وضياءها

***

وأقيمت حفلة عيد الخمسين سنة لأستاذنا اللغوي العلامة الشيخ عبد الله البستاني(٣) طاب ذكره وذلك في بيروت فنظمت هذه القصيدة وبعثت بها من برلين

---

(١) ما يحتبي به المرء من عمامة أو ثوب (٢) بذه بالذال غلبه وبزه بالزاي سلبه

(٣) كانت وفاة الاستاذ عبد الله البستاني شيخنا منذ بضع سنوات وقبل وفاته بيومين سأله الاديب الشيخ خليل تقي الدين بعض أسئلة منها قوله له : أي تلاميذك أحب إليك ؟ فأجابه : أحب تلاميذي إلي الامير شكيب أرسلان. ثم ذكر أشياء لا حاجة إلى نقلها هنا وإنما ننقل قوله : وهو لم ينسني مع طول الغربة وأرسل تلك القصيدة التي أرسلها بمناسبة عيد الخمسين سنة لخدمتي اللغة العربية .

أحقُّ الأيادي أن تُجلّ وتُعظما ... وتُسلك في الأعناق سمطا وتنظما

وتلبسها الأيام حَلْيًا وكسوة ... وتسني لها الأحقاب عيداً وموسما

أيادي الأولى كانوا مصابيح عصرهم ... لمدّرع ليلا من الجهل مظلما

ومن أوضحوا للحائرين محجة ... فساروا بهم في العيش نهجاً مقوما

لعمري إذا الاعلام قيست جهودها ... وكل أتى عما فراهُ مترجما

وجاء الكرام الكاتبون فقيدوا ... لكل عصامىٍّ حسابا مرقما

فمن مثل عبد الله في الشرق عالم ... له مثل من ربّى ورقى وعلما

تلاميذه عدُّ الحصى وتراهم ... بدورًا بآفاق البلاد وأنجما

أفاض على الارجاء عيلم علمه ... فعجّ ومن للبحر كفو إذا طمى

وبث لسان العرب خمسين حجة ... يقوّم منآداً ويوضح مبهما

وسل سيوفا من قراب دماغه ... ففلّ بها للّحن جيشاً عرمرما

ومن يبتذل في خدمة العلم نفسه ... فأجدر بأن يغدو عزيزاً مكرّما

رقى من ذرى التحقيق في النحو ذروة ... يقصّر عنها من مضى وتقدما

فلو كان لاقى سيبويه ورهطه ... لعاد لعمري سيبويه ابن أعجما

ولم يك ذياك الكتاب مرجّبا ... ورائحة التفاح لم تك مغنما

ولو كان في العصر القديم مجيئه ... لفتّ بعين الجاحظ العين حصرما

وأصبح معه الفارسى وابن فارس ... وقد برئت تلك الفراسة منهما

لباتت بأحشاء المبرد غلة ... وكاد ابن جنّى يُجن تألما

وصار ابن عصفور مهيضا جناحه ... ولو كان قبل اليوم طار إلى السما

ولو ناظروه فى الفرائد مرة ... رأوا من علاه ما يفوق التوهما

وأصبح معه المجد قد قل مجده ... وآب صحاح الجوهرىّ مثلما

ولو كان جار الله جاراهُ بذَّه ... وما افتخرت منه زمخشر بانتما(١)

لقد سعدت منه العروبة بالذى ... توله فيها مستهاما متيما

وثارت له فى نصر أمة يعرب ... عزائم شوق خالط اللحم والدما

قضى عمره سيفا يقد عداتها ... فيرمى بهم شلوًا فشلوًا مقسّما

يبلّج من أنوارها كل ساطع ... وقد ينكر الأنوار من رزق العمى

ويكشف عن أسرارها كل غامض ... عليه حجاب الجهل كان مخيما

فما عنّ في يوم شعوبىُ فرقة ... لمنقصةٍ إلا وخلاه ملجما

وما لاح قرن القرن إلا انبرى له ... برمي الذي يصمي لعمرى إذا رمى

فلو شاءت الفصحى وفاء جهاده ... لنصت له فوق السماكين مجثما

فمن للألى مثلي ارتووا من معينه ... بأن ينقعوا من ذكر معروفه الظما

عرفنا له فضلا علينا ومنة ... ولم يك ما نرعاه عهدا مذمما

وما أنا إلا من تلقّى بضاعة ... فنمّق منها جهد مُعيٍ ونمنما

وما الفضل إلا للقسامى(٢) عندما ... يراني الورى دبّجت بردًا مسهّما

وما هو إلا بعض مرجوع صوته ... وتقليد ما قد كان جاد وأنعما

حنانيك أستاذ الاساتيذ إننا ... جميعاً نحيّ فيك من شرّف الحمى

ولو أنصفتك العرب لم يبق مُعرِب ... على سطحها إلا أتاك مسلّما

ولو كان لبنان يوفيك شكره ... لأوشك فيه الصخر أن يتكلما

تقبّل ثناء لو غدا رمل عالج ... بكثرته لم نوف حقًّا محتما

وقابل بغض الطرف ميسور وامق ... قصارى مناه أن تعيش وتسلما

---

(١) أي وما افتخرت بلدة زمخشر با نتمائه اليها، مصححه

(٢) الذي يطوي الثياب الطية الاولى فتنكسر على طيه

﴿ قصيدة حفلة عبد الحميد بك الرافعي ﴾

واحتفل أدباء الشام بعيد الخمسين سنة للشاعر الكبير المرحوم السيد عبد الحميد الرافعي في طرابلس الشام فاقترحوا علي إرسال شيء. وكنت في برلين وذلك سنة ١٩٢٩ مسيحية فبعثت إلى طرابلس بهذه الأبيات وتليت في الحفل ونشرت في جريدة الشورى

إياك في الشرق أن تعدو طرابلسا ... إن كنت تبغي كرام الانس والانسا
وحج منها لقصاد الهدى حرما ... أمنا وجاور لأرباب النهى قدسا
مدينة جادها الباري برحمته ... من الخصائص ما عن غيرها حبسا
لم يكفها بحرها العجاج بل جمعت ... من أهلها أبحرا في شطه جلسا
أكارم بهم باتت طرابلس ... مصرا يقصر عنها كل ما يبسا
ناهيك بالرافعيين الذين لهم ... من المآثر ما يستنطق الخرسا
الرافعين من الاعلام أرفعها ... والخافضين من الاعداء ما رأسا
لقد رعوا تلعات المجد أجمعها ... وجددوا من دروس العلم ما درسا
وآثروا من أيادي الفضل ما قربت ... ثماره ومن العلياء ما تعسا
ساروا على أثر الفاروق جدهم ... ولن يضل الذي من نوره اقتبسا
مثل السيوف المواضي في ضرائبها ... صفا أقيمت لشرع المصطفى حرسا
وكل ذي أدب يبغي الكمال فمن ... عبد الحميد يروم الاذن ملتمسا
الشاعر الفذ لو جاءت قريحته ... تعارض العارض الهطال ما انبجسا
تغدو عذارى المعاني قيد خاطره ... وطالما امتنعت عن غيره شمسا
من معدن كله صاف ولا عجب ... من تلكم النفس نلقى ذلك النفسا
إني أقول وخير القول مجمله ... لو جاء في عصره الكندي ما نبسا
هذه طرابلس الفيحاء حافلة ... تختال في حلل من عيده وكسا
عيد لخمسين حولا قد تنجزها ... في خدمة اللغة الفصحى صباح مسا
وقد أبت غربتي أني أرى وطني ... وأن أشاهد فيه ذلك العرسا

القسم الثالث

في مراثي العلماء والأدباء والكبراء

رثاء إمام اللغة وفارس ميدان الانشاء الشيخ أحمد فارس الشدياق

لما توفي إمام اللغة وفارس ميدان الانشاء الشيخ أحمد فارس الشدياق كنت لا أزال في السابعة عشرة من العمر وكنت معجباً بأسلوبه فضلا عن صداقة قديمة بيننا الارسلانيين وبين آل الشدياق فلما جاءوا بتجاليده من الاستانة إلى بيروت وصلي عليه في الجامع العمري الكبير تليت عليه مراث متعددة لشعراء الوقت ومنها مرثية لي. لم تذكر في ديواني الأول المسمى بالباكورة. لأن الباكورة كانت قد طبعت قبل وفاة أحمد فارس رحمه الله. وقد فقدت من بين أوراقي هذه المرثية إلى أن عثرت عليها هذه السنة فى رسالة نشرها الفاضل الدكتور فيليب الشدياق تتضمن ترجمة أحمد فارس وهي هذه: —

تمادت علينا بالخطوب الدوامسِ ... ليالٍ لها بالمجد عصف الرّوامس[1]

وأُصمت رجالا للزمان وانهم ... لنعم رجال الدهر شم المعاطس

أحقا عباد الله ذا اليوم أنه ... وجوهٌ ماقد اسودّت وجوه المدارس

وأصبح مضمار البلاغة خاليا ... لدن غاب عنه اليوم «أحمد فارس»

هو الفارس السبّاق فى كل حلبة ... تجمّع فيها كل قِرن ممارس

أجلّ مُجلٍّ في رهان براعة ... وأبتعُ[2] فرسان البيان المداعِس

---

(١) الرياح التى تدفن الآثار (٢) الفارس الأبتع القوي

إذا صال لم يترك مصالا لفارس وإن قال لم يترك مقالا لنابس
أقام مناراً هاديا كل حائر وأوقد ناراً أمها كل قابس
غدا ذكره ملء الزمان ولم تكن لآثاره الأيام غير فهارس
وشيد للفصحى قصورا شواهقا على عفوها تيك الرسوم الطوامس
لقد جابت الدنيا جوائبه (١) التى بانشائه كانت طراز المجالس
تبلج نور الشرق عن وجه سافر بها وتثنى العصر عن عطف مائس
فمن لفصول كان يكسو بيانها من الوشى والديباج أبهى الملابس
وآيات فضل كان يمحو بنورها دجى الشك محو الصبح ليل الحنادس
فما كل من رام العلا أدرك العلا ولا كل من يعلو السروج بفارس

***

وقلت أرثي المرحوم محمود بك نجل المرحوم ابراهيم فخري بك وشقيق صاحب السمو أحمد نامى بك

ياعين مهما كنت ذات جمود فلأُبكينْك دما على محمود
ولأمطرنْك من الدموع سحائبا ترويها عن كفه في الجود
ولأنت يا كبدي فمن نار الأسى ذوبي ويانار الضلوع فزيدي
ما كنت ياقلب الحديدَ فان تكن فالنار قد تُلوي (٢) بكل حديد
أتعز في محمود دمعة ناظر لو كان فيه قسوة الجلمود
من بعد ما ملأ النواظر قرة وغدا مسرة قلب كل ودود
ما كنت أحسب أن مثل جبينه شرخَ الشباب يعود طُعم الدود

---

(١) الجوائب الاخبار الطارئة وبها سمى احمد فارس جريدته التى كانت تصدر في الاستانة وكانت أحسن جريدة عربية في وقتها (٢) ألوى به ذهب

ما كنت آمل أن شُعلة ذهنه　　　تعدو عليها اليوم كف خمود
ما كنت آمل أن نكباء الردى　　　تودي بغصن شبابه الأملود
وبكل نفس من أمائر نبله　　　إيماض بارقة ولمح شهود
سهر الليالي في وصال حقائق　　　والغير يسهر فى وصال الغيد
ما غره زهو ولا حسب العلا　　　الا بجمع طارف وتليد
نظمت به زهر الخلال كأنها　　　في الخود عقد اللؤلؤ المنضود
ماكان من يمضى وهذا شأوه　　　في الست والعشرين غير شهيد
ماراع مثلُ القصف في شرخ الصبا　　　والقطف قبل حلاوة العنقود(١)
يوم غدا في كل دار مأتما　　　فينا وفي الفردوس يوم العيد
لبس النهار به دجنّة غاسق　　　ولقد يكون ضيا الليالي السود
ولّى وخلّف في ذويه من الأسى　　　حالا أشق من الحمام المودي
لو كان ينظر للحقيقة ناظر　　　فالموت للموجود لا المفقود
هذا يموت بكل يوم حسرة　　　إذ ذاك راح بيومه الموعود
يا أيها المحمود رفقا بالألى　　　دفنوك بين جوانح وكبود
قد كنت سباقا إلى حوض العلا　　　فسبقت نحو المورد المورود
والكل ركب سائرون وانما　　　أهل النباهة فوق خيل بريد
رفقا بوالدك الكريم فقد وفى　　　شجو الفقيد بفرحة المولود
غادرت بعدك كل باك جفنه　　　يمتاح من بحر البكا بمديد
ومضيت قاصد جنة وتركتنا　　　من حزننا في النار ذات وقود
قد عز فيك الصبر لولا أنه　　　فرض وان الحزن غير مفيد

---

(١) أخذت هذا من قول عامي كان يقول أمامي لعامي آخر مات أبوه: والدك قد حلا عنقوده . يريد أنه آن أوان موته

قد كنت تفدي في مقام كريهة ... لو أنّ ثمّةَ موقفاً لجنود

الموت حتم والمسافة بيننا ... نزر وما من قادم ببعيد

يتخيل الانسان أبعد مطمع ... والموت منه مثل حبل وريد

لا تستحق من الهموم حياتنا ... لو أنصف الأقوام غير زهيد

ما كان سفاح الدموع لفاجع ... رأيا بمهدي ولا برشيد

لكن حق الطبع محكوم به ... والعقل مرتبط ببعض قيود

ياثاكل المحمود صبراً بعده ... فبقاء أحمد ساوة المفقود

إن جل خطبك بالذى أثكلته ... فالركن باق ليس بالمهدود

ومن الاله على الفقيد تحية ... وفراق عاجلة لدار خلود

مهما تعاظمت الخطوب على الفتى ... فعزاؤه في العدل والتوحيد

***

وتوفيت والدة نعوم باشا متصرف جبل لبنان وكان صديقا لنا فرثيتها وعزيت ابنها بالقصيدة التالية وقد مضى عليها اكثر من أربعين سنة :

ألا هل لجفنٍ ساهر الليل ساهدِ ... تألُّف غمض منذ بينك شاردِ؟

وهل لشؤونٍ أن يؤمّل غيضها ... ومن دونها مافاض صُمٌّ الجلامد؟

وهل لفؤادٍ أن يرجى شفاؤه ... بغير لغام الزفرة المتصاعد؟

وهل لشجي من سلوٍّ وقد ذكت ... من الوجد في جنبيه نار المواقد؟

تبيت إذا دبت أساود ليله ... حشاياه من أنياب رقش الاساود

وهل لرعاةِ النجم في مهمه الدجى ... من الود إلا صحبة للفراقد؟

تحدّر سيل الدمع طلقًا عنانهُ ... وألقت قلوبٌ للأسى بالمقاود

وكيف يقاوي الدهرَ قلبٌ مهلهلٌ ... يشفُّ وذي آثارهُ في الجوامد
أبادَ الخوالي والبواقي رهائنٌ ... لديه فما باقٍ به غير بائد
ولم يُبقِ قلبًا لم يصبه ولم يكن ... يصاب وما يرمى بكف وساعد
تأمَّلْ فما في الدهر غير مصائبٍ ... وما الناس إلا بين باكٍ وواجد
ولو سبر الناس الأمور لأصبحوا ... بأسرهم من فيلسوف وزاهد
وليس الجديدان اللذان تعاقبا ... سوى جَلَميْ(١) أعمارنا عند ناقد
وما اليوم إلا ما ينمُّ على الورى ... ولا الليـــل إلا للفناء بقائد
أهلّتهُ الأسياف في كل مفرقٍ ... وما تلكم الأسياف غير حدائد
وخطب لعمري لو أناخ بيذبلٍ ... لزحزح منه كل راسي القواعد
أناخ بأكناف الوزير فصدَّهُ ... من الصبر جيش مرصد للشدائد
وما كان مرزوءًا بذلك وحده ... وقد فتَّ في عضد التقى والمحامد
أُصيبت بأمٍّ برّةٍ فمصـــابها ... مصاب يتيم قد خلا من مساعد
وقد كان يستسقى العهادُ بذكرها ... إذا أظمأ الوسميُّ أرضَ المعاهد
مضت لم يرنق من صفاها كدورة ... ولا احتملت إصرًا يجوز لعابد
ولو لم يكن والله من حسناتها ... سواك كفاها ذاك دون زوائد
ولم يكُ فضلٌ قد حوته بواحدٍ ... وإن تكُ ضمَّت كل فضل لواحد
لمستوزرٍ من رهط عثمان بالغٍ ... لعمرك من مولاه أسنى المقاصد
توليت من لبنان خطة شامخٍ ... له شـــعفات لا تذل لماهد
فأنهجته من عدل حكمك شرعةً ... أعادَتْه أغنى من وليدٍ لوالد
وأوردته من عفةٍ ونزاهةٍ ... باقرار من يشنوك أصفى الموارد

---

(١) الجلم محركة المقراض

فلو كلّفوه أن يبثّك شكره ... لحياك من أغصانه كل مائد
لك اليقظة العظمى التي باتباعها ... حللت محل النوم من جفن راقد
فان كان لبنان يشاطرك الأسى ... فكم من سرور نحوه بك وافد
تعزَّ فكم من موقف لك صالح ... وكم من جميل عن سليلك ذائد
رأيناك تأتي في أمورك كلها ... من القصد ما يُعيي على كل قاصد
فعال امرىءٍ يخشى الاله بخلقه ... ويعلم أن المرء ليس بخالد
فلا زلت محروسًا من السوء راقيا ... مراقي تُلقي الشمس بين الحواسد
ولا زلت في كل الشؤون مسدّدًا ... لخدمة سلطان البلاد المجاهد
مقامك منه ما أردت ولا تزل ... رجا لصديق أو شجا لمعاند
وذكرك في الغبراء أسرى من الضيا ... وأسير في آفاقها من قصائدي

***

عند ما توفي المرحوم عبد الله باشا فكري الشهير كنت في مصر، وكانت وفاته يوم عيد الأضحى سنة ١٣٠٧ وهو صديق وفي للأستاذ الامام، وكانت سبقت بيني وبينه مراسلة شعرية ذكرت في هذا الديوان، فرثيته بقصيدة نشرتها جريدة المؤيد ولكني فقدتها أيضا من بين أوراقي ثم وجدتها في كتاب الآثار الفكرية، وهي هذه:

إلى مثل هذا في الخطوب العظائم ... أرى منتهى بطش الليالي الغواشم
وهل بعد هذا الخطب خطب نعده ... مصابا بعلم أو بلاء بعالم؟
مصاب لما قد فات أنسى، ومأتم ... به ختمت آلام سود المآتم
ولا غرو فيه فاجعا عم رزؤه ... فموت رجال العلم موت العوالم
مصابيح في الدنيا إذا هي أطفئت ... دجى الناس في ليل من الجهل قاتم
وأعلام رشد في البرية يهتدى ... بها كل سار في المجاهل هائم

ولكنها الدنيا لعمري أولعت … بنكب العلى من عهدها المتقادم

يرجّى التهاب النار بالماء عندها … وليس يرجى صفوها كل حازم

أحقا عباد الله ذا اليوم قد خبا … شهاب العلى واندك طود المكارم؟

وأن المعالي والمعانى تجعت … بخطب لسمر الخط والبيض ثالم

وما لشئون العلم سالت شئونها … على ء جنات الفضل سح الغمائم؟

أجل مات من قد كان للفضل سيدا … بفاجىء خطب داهم أى داهم

قضى اليوم عبد الله فكري الذى سعى … لنيل المعالي منذ نوط التمائم

وخلفت الاقلام والصحف بعده … بحزن إلي يوم القيامة دائم

وأضحى به أضحى وقد كان يومه … ولذاته قد نغصت بالعلاقم

وباتت ثغور كنّ فيه بواسما … وغادرها ذا النعي غير بواسم

نعيٌ سرى ملء المسامع وقعه … إذاً لصحا من غفلة كل نائم

كذا فليكن غور الكواكب في الثرى … كذا فليكن غيض البحار الخضارم

مصيبة مجد أسكرت بسماعها … نُهى الناس حتى أقعدت كل قائم

فقدنا أميرا كان غرة عصرنا … وحلية أجياد العلا والمعاصم

فقدنا أمير النظم والنثر راقيا … من الامر أعلا ما ارتجت نفس رائم

فواهاً لأقوال له قد أعارها … سلاسته واللطف مر النسائم

ورقة ألفاظ صحاح أعارب … كساها بتفويف طراز الاعاجم

نظام مبان يخجل الروض بهجة … وصيد معان في شرود النعائم

محاسن روح ما ابتغت فى زمانها … سوى الخير والمعروف يوما لآدمى

ولا وردت غير الشهامة موردا … ولا عرفت من أين باب المآثم

خلائق أمثال الرياض نواضر … تضوع منها عرف زهر الكمائم

وقد كان أذكى من سنا النار ربها … وأقطع رأيا من شفار الصوارم

فلما ثوى تحت الرغام وذلت بمصرعه للعلم شم المراغم
بكته عيون المكرمات وأعلنت عليه المعالى كيف نوح الحمائم
ولم أر خطبا مثله أوهن القوى به وقد انحلت عقود العزائم
سأندبه لا زاخرا در مدمع ولا سامعا في الحزن لومة لائم
ولا أنس عندى من نفائس لفظه قلائد أغلى من لآلى العيالم
وكنت مللت الشعر حتى كرهته وأصبح عندى في عداد المحارم
إلى أن قضت أوصافه برثائه فأصبح عندى اليوم ضربة لازم
على انى إن لم أكن قبل ناظما أعد ولنطقى فيه مهجة ناظم
فمن وصفه در المحامد والثنا ومن نوحه در الدموع السواجم
أيا راحلا عنا إلى الملك الذى دعاه إلى عيش من الخلد ناعم
لعمرك هذه غاية الخلق كلهم ولو عمر المخلوق عمر القشاعم
حباك إلهي كل رَوح وراحة وجادت ثرى مثواك سحب المراحم
وان لنا في نجلك اليوم سلوة وتعزية يؤسى بها قلب واجم
يدوم لنا الشهم الامين مؤيدا ونسأل رب العرش حسن الخواتم

***

ثم رثيت صديقى المرحوم أمين بك فكري نجل العلامة المرحوم عبد الله باشا فكري بهذه القصيدة وكانت وفاته سنة ١٣١٦هـ

(فسبحان الحي الذى لا يموت)

بقية مجد ودعت يوم ودعا وآمال عز آن أن تتقطعا
ولم تنعه الأيام إلا وأدمجت من الشرق شطراً في منيته معاً
لقد جادنا نوء الزمان مصائباً يلوح لنا أن مزنها ليس مقلعاً

وسبحان من ساق الردى بوجوهه ... فلقى لعمرى الجمع والفرد مصرعا(١)

اذا شن جيش النحس في القوم غارة ... فما أجدر الأرزاء أن تتنوعا

وما كنت حتى اليوم أحسب دهرنا ... إذا ساء لا يرتاد للعذر موضعا

ألم يكفه ما غال من كل غاية ... وأفسد من معنى وعطل مرجعا

وضيق أرجاء الرجاء فسدها ... وراخا مجالات المراثي وأوسعا

كذا فليجل الخطب وليفدح الأسى ... وتنقلب العليا بمارن أجدعا

أجل ويجلي الدهر للناس شأوه ... إذا شاء فيهم أن يصيب ويفجعا

حلفت فلا تمري النوادب عبرتي ... على فائت وليَنعَ دهرُك من نعى

فهيهات ما إن أستطار لفاجع ... إذا كان من أودى الأمينَ المشيَّعا

أحبتنا إن قيل في الصبر رُجلةً ... فاني فتى أبغي أنوح واجزعا

تركت لكم فضل التصبر صبرةً ... وقلت لطرفي اليوم لا تأل مدمعاً

وشعشع كؤوس الدمع بالدم ساقياً ... فكل شراب زينه أن يُشعشعا

واعتدُّها نحو الأمين خيانة ... إذا أنا لم أشتفَ كاسك مترعا

فما كان ودي للأعزة ضائعاً ... وما كان قلبي من أخي الود بلقعا

حملت له بين الضلوع أمانة ... لو احتملتها الشمُّ مالت تصدعا

وأصفيته منى إخاء لو آنه ... أعار الليالى صفوه رُقْنَ مَشرعا

وما زلت أرعاه على البعد صاحبا ... وقبلي نجوم الافق مثليَ من رعى

فان يك هذا الترب غرَّب بدره ... فلا زهرت تلك الكواكب مطلعا

ولا لمعت تلك البروق وقد خبت ... بروق أمانٍ كنَّ بالأمس لمَّعا

أما في دجى الخطب المخيم حاجبٌ ... لكل منير أن يضيء ويسطعا

---

(١) في ذلك الوقت استولى الانجليز على السودان

قضى اليوم من راع البرية رزؤه ... وليس يُراعُ الناس إلا لأروعا
ولم يأت فيه الموت مصرع واحد ... ولكنه كان المصارع أجمعا
أصاب الحجى والعلم والحزم والمضا ... وصدق المبادي والذمام الممنَّعا
وما بقيت في المكرمات سجية ... ولا خطة إلا ثوت معه مضجعا
فلو نفعت عند المنون شفاعة ... كفته فريداتُ الخصال مشفَّعا
ودافع عن حوبائه طيِّبُ الثنا ... وخلَّده لو أن في الخلد مطمعا
ولكن داعي الموت لا يقبل الرُّشى ... وأنفسَ منه ليس يلقى وأرفعا
تصيَّده عن ساعد الغدر فجأة ... فكان كرجع الطرف أو كان أسرعا
مصاب له الأقطار إذ شاع زلزلت ... فلا ركن للعلياء إلا تزعزعا
أذلَّ إباء الدمع من كل جامد ... فلم يبق عاص منه إلا تطوَّعا
ولم أر في الارزاء أبعد غارة ... ولا من قلوب الخلق أقرب موقعا
عشيةَ لا في الناس مالكُ عَبرة ... ولا زفراتِ الصدر إلا تصنُّعا
عشية آب الناس سكري وانما ... بما لم يكن يوما له الكرم منبعا
عشية لم تُبق الفجيعة مُسكةً ... ولا حزم للمحزون إلا مضيَّعا
عشية وارى الناس شمسا وأظلمت ... لها الشمس حتى لا ترد بيوشعا
وقيل أمين المجد فاجأه الردى ... فلا قلب إلا عاد نهبا موزَّعا
فكم من يد أضحت تدقُّ بأختها ... وكم شفة باتت تجاور أصبعا
فان يك وادي النيل أشعر فقدَه ... فلا جبلٌ في الشام إلا تضعضعا
كريم به لفظ الكريم مقصر ... اذا قيل عن قوم كرام توسُّعا
توخَّى طريق الخير محضا كأنه ... من المهد حتى اللحد جاء لينفعا

له خلق سهل ونفس أبية وحسن خلال دونها الروض ممرعا

وأقلام صدق راجع في ولائها لأكتب من أوتي الكتاب وأبرعا (؟)

ومن بعد عبد الله كان مؤمّلا بأن لم يغب ذا الاصلُ إلا وفرّعا

فما زال حتى أتبع الفرع أصله زمان لتنقاد الكرام تتبعا

وما زال فقد البدر للناس موجعا وفي الليلة الدهماء أنكى وأوجعا

فان تطوه أيدي المنون فما طوى كرور الليالى ذكره المتضوعا

وإن تكن الاكفان بيضا نواصعا فان له من أبيض الذكر أنصعا

ألا في ذمام الله سيرك إنه مسير فتى ماض أغذ وأوضعا

سبقت إلى حوض كأنك ناهل على نكظ (١) خاف الزحام فأهرعا

ونازلت قرن الموت لا متهيبا وحسبك ألفاظ الشهادة أدرعا

أناديك لا راجي الجواب فقد مضى ويا لهف قلبي أن أقول وتسمعا

أخلفت ثغراً بعد بعدك باسما وطرفا تمنى أن ينام ويهجعا

ولو ساكنات الأيك يعلمن من ثوى لما نُحنَ إلا في رثائك سجّعا

رجوناك للأوطان أحوج ما غدت إلى من يرقيها وأوحش أربُعا

فلم تسمح الدنيا ولم نعلم الوفا ولم تر إلا أن تغر وتخدعا

وما هذه الدار التي لفنائها يُشدُّ ويهوى ان يمال وينزعا

متاع قليل ثم مأوى لحفرة فماذا على الانسان أن يتمتعا؟

***

---

(١) النكظ محركة العجلة

وقلت أرثي اللغوي العلامة الشيخ ابراهيم اليازجي وتلوتها في محفل كبير في بيروت بعد الوحشة التي وقعت بيني وبينه بسبب شوقي (وكانت وفاته سنة ١٣٢٤ هـ ١٩٠٦ م)

قُصار (١) كل فتى مستكمل الخطر (٢) ... أن ينحني لقضاء الله والقدر
وأن يقابل صرف الدهر كيف جرى ... بالخالق في عبرات العين والعِبر
وأن يرى غيره مع عينه شرعا (٣) ... فليس بينهما فرق سوى الصور
فما أرى ناعيا حيا بمفرده ... إلا نعى لو عقلنا سائر البشر
ليس الحياة سوى تشييع آخِرنا ... لأولٍ فهي هذه فسحة العمر
وان تُغِبَّ المنايا في مواردها ... فرب ترك يليه أخذ مقتدر
من سامحته بيوم في مصارعها ... فقد أحيل على أيامها الأخر
لم يبرح الدهر فتاك المضارب عن ... أيامه البيض أو ليلاته السمر
كفى بريب المنايا واعظا وجزا ... رشداً لمن كان من دنيا على غرر
تخالف الناس في الاهواء حين حيُوا ... وجمَّع الموت منهم كل منتثر
وقد يلجّ ببعضٍ كيد شانئه ... ولو درى لصفا صفواً بلا كدر
وقد يحاول في أعدائه ظفراً ... وأنه بين ناب الموت والظُّفر
كم وتَّرت قوس ضغن كف ذي تِرة ... فأذهب الموت عزم الوتر والوتر (٤)
والدمع يغسل ما بالقلب من وضر ... كما يزول غبار الارض بالمطر
لو أنصف اليازجي دمعٌ لكان له ... كعلمه بحر دمع غير منحصر
أو لو درت نار ابراهيم مصرعه ... لأصبحت من جوى لفّاحة الشرر

---

(١) القصار الجهد والغاية (٢) الخطر هنا ارتفاع القدر (٣) سواء (٤) الوتر بالفتح وبالكسر الثار وأما الوتر محركه فهي جمع وترة وهي مجرى السهم من القوس

أودى الردى حينما أودى بمهجته ... بأكتب الوقت من بدو ومن حضر
بذي الضياء تكاد العمي تبصره ... وذي البيان الذي يشفي من الحصر [1]
من بعدما خمدت ريح البيان غدت ... له به دولة وضاحة الغُرر
عبارة لا ترى في رصفها قلقا ... كالعدل لم يشك من طول ولا قصر
لا تلتقي موضعا فيها له بدل ... كأنما جاءت المعنى على قدر
بكت له اللغة الفصحى وحق له ... بكاء كل كلام جاء عن مضر
يا راحلا شكت الاقلام غربته ... وليس بعدك منها غير منكسر
نهجت في بلغاء العصر واردة ... بالحق لولاك لم تسفر ولم تنر
اليك حقك لا ظلم ولا سرف ... لا ينكر الشمس الا فاقد البصر
وان يؤاخذك نقاد ببادرة ... فليس يرجم الا مثمر الشجر
وقد يعاب الذي في البدر من كلف ... وليس يسلب معنى الحسن في القمر
اليك مني تحيات برقتها ... كسحر لفظك أو كالنفح في السحر
فاذهب عليك سلام الله من رجل ... ماضي الحشاشة لكن خالد الاثر

***

رثائي للمرحوم محمود سامي باشا رئيس نظار مصر قبل الاحتلال البريطاني

وأمير الشعراء في وقته (توفي سنة ١٣٢٢ هـ ١٩٠٤ م)

يا ناظرَيَّ ألأيَا تبكيان دَما ... أهكذا عهدنا أن نحفظ الذمما
لو صار كُلُّ سوادٍ منكما يَقَقا ... على الصديق لما أنصفتماه لما
وطالما ذبتما شوقا لرؤيته ... وخلتماها أماني النفس والنعما
فالآن شطَّت نوى ما عندها أمل ... في القرب فاكتحلا من بعده الظلما

(١) أصدر في مصر مجلة اسمها البيان ثم مجلة أخرى اسمها الضياء

ماذا أقول لقلبي في الدفاع إذا ... اقام قاضى الهوى ما بيننا حَكما
ويلمّها حسرةً في القلب باقيةً ... تظل تحت الثرى تستصحب النَدَما
لو أنّ لي طيرَ يمن ما صبرت لها ... ولا تبدّلتُ من بزاتها الرَّخَما
ولا عداني عن الأحباب عادية ... ولا حثثتُ لغير الصفوةِ الرُّسما
ولا تخلفت عن مصر ومقدمها ... وقد غدت دارها من دارنا أَمَما
ألوذ بالدمع كي أطفي اللهيب به ... فأستزيد كأني نافخ ضَرما
الآن حقٌّ بأن أسخو بأسخنه ... إن المدامع يتلو حرها الشَّبِما
وما بكائي لخطب قد فقدت به ... وحدي خليلا براني فقده ألما
لكن بكائي على المبُكي بمصرعه ... أهلَ المشارق بل من غيرهم أُمما
ولو سبقتُ به الورقاء ما لحقت ... مناحتيْ صاحبيْه السيف والقلما
والمجدَ مكتسيا من كفه حللا ... والفضل مرتقيا في ظله أُطما
والشعرَ أدرك ما أعيى زهير وما ... فات الكريم على علاته هرما
خطب هوى بخباء الفضل فانحطمت ... أوتاده وغدت أطنابه رمما(1)
نبا بمحمود سيف لو ضربت به ... حد الزمان بكف السعد لانثلما
مصيبة أرجفت صُمَّ الجبال فقل ... في الشارق انقض أو في الشاهق انهدما
نتيجة الوقت لو آلى به رجل ... بأنه فذ هذا الدهر ما أَثِما
لو أنصفته الليالي في مقاسمها ... لأوطأته على هام السهى قدما
لو لم يكن فضله من حظه بدلا ... ما سامه الدهر إرهاقا ولا حُرما
أو كان للحق في تلك الأمور يد ... نجت به الحجة البيضا وما اتُّهما
ما كان يأمل إلا خير أمته ... ولا يرجّى لها إلا عزيز حمى
فان يكن طاش سهم عن رميّته ... فكم ملوم على رمي سواه رمى

---

(1) بكسر أوله ويجوز بالضم

كم ساء أمر بحمل الجاهلين له ... وربما حل عقداً بعض من نظما[1]
لا يُحسن الامر إلا من تعوده ... ما كل راكب خيل يحفظ اللجما
وما نجاح الفتى كاف لتزكية ... ولا الحبوط دليل أنه وَهما
والفضل والنقص محتوم لزامهما ... كأن بين الرزايا والنهى رحما
ما زاد جوهر سامي الحك غير سنىً ... ولا عرا قدره نقصٌ بما اهتُضما
وقلما الدهر ناوى مثله أسداً ... ممن رعى تلعات المجد والأكما
مهذب لا ترى في خلقه عوجا ... وصاحب ليس يدري وده السأما
لم يكفه النسب العالي فضم له ... أصلا وفصلا لعمري ما رسا وسما
كان الاوائل في الانظار مزعجة ... حتى أتى فشأى من جَدّ من قدُما
وليس مِن نابت في عصرنا أدبا ... إلا بغيث معانيه زكا ونما
ما الجاهلي ولا ذاك المخضرم لا ... ولا المولد معه حائز قِسَما
وكل نابغة في الشعر ملتمس ... من كأسه رشفات كي يبل ظما
لو جاء في الزمن الماضى وعاصره ... حكيم كندة[2] لم يزعم بما زعما
أو كان أدرك عصرا قد تقدمه ... عيَّ حبيب عن الانشاد معتصما
يصطاد كل شرود في قصائده ... فليس بيتٌ له عن صيدها حَرَما
أوهت فصاحتُه الأقوال أمتنَها ... حتى تكاد عليها تؤثر البكَما
وردّ فارسها في الجري راجلها ... حتى تساوى أخو جهلٍ ومن علِما

---

(١) أي إن المبدأ كان صحيحا والحركة مستراداً لمثلها ولكن الذين تولوا كبر هذا الامر لم يحسنوا جميعا العمل

(٢) أي لو جاء المتنبي في عصره ما ادعى النبوة وكندة محلة في الكوفة ولد فيها المتنبي فنسب اليها وقيل الكندي وليس من كندة القبيلة التى منها امرؤ القيس الكندي والفيلسوف الكندي فالمتنبي من جهة القبيلة جعفي وهو جعفي بن سعد العشيرة من كهلان

فانعوا لنا الشعر والآداب قاطبةً ... معه وقولوا لشوقى إنه يتما
من للبدائع أو من للصنائع[1] أو ... من للوقائع إمّا داهمٌ دَهما؟
من للصوارم أو من للمكارم أو ... من للمغارم يقضيها عن الغُرَما؟
من للكتائبِ من للكتب تشبهها؟ ... تلك المحاسن أضحى عقدها انفصما
يا يوم محمود ما أبقيت محمدةً ... إلا وأوردتها في نحبه العَدَما
تلك الخلال فهل آت يجددها ... أو هل ترى أمل العليا بها حُلُما
هيهات يسعدها شهم يتاح لها ... فالدهر ألأمُ من هذا الندى شيما
لن يهتدي بعد محمودٍ دليلُ ثنا ... ولستَ تبصرُ هذا الجرح ملتئما
والله ما عجبى من فوته عجبى ... لمثله كيف حتى الآن قد سلما
وطالما قلتُ إذ جاد الزمان به ... من علّم الدهر هذا الجود والكرما
يا حلية الشرق أضحى بعدها عُطلا ... وبيضة الدهر عن أمثالها عقما
إن كان لم تألُك الدنيا معاركةً ... فلست أول حرٍّ صادف النقما
ما شاب منك بلاءٍ نيّةً خلصت ... ومن عزا لك من ظلم فقد ظلما
كم قاصدٍ لم تعب مسعاه خيبتهُ ... وقائد لم ينل خزيًا أن انهزما
وربّ مسدي يدٍ يلقى البلاء بها ... ورب جانٍ سعيد بالذي جرما
إنّ التقادير إن أجرت سفائنها ... ألحقن من كان غَمْرًا بالذى حَزُما[2]
لا تبعدنّ ولا يُبْخَسْ ثناك فلم ... تجرّ إلا إباء الضيم والشّمَما
والله لو كنت تدري ما بنا كمدًا ... لكنتَ أنت لنا الراثى ومن رَحِما
ليس الذى جاور الديماس في نكدٍ ... كمن يزجّى إليه الهم والسَّقَما
إن كان حبل حياة المرء أجمعه ... أحبولةً كان خير الحبل ما انصرما

---

(١) الصنيعة الاحسان والجمع الصنائع

(٢) الغمر بفتح أوله الجاهل وحزم بضم وسطه صار حازما

فاذهب عليك تحيات المهيمن ما همى بتربك دمع المزن منسجما
هانت بمصرعك الأرزاء أجمعها فليس يُجزع من رزء ولو عظما

***

وقلت أرثى المرحوم محمد بك فريد رئيس الحزب الوطنى المتوفى في ألمانية سنة ١٣٣٨هـ ، ١٩١٩م :

قد عشتَ فذاً فى الرجال فريداً فقضيتَ فذا في البلاد فريدا
جاهدت عمرك ثم متَّ مغرَّباً فغدوت من كل الجهات شهيدا
كانت حياتك حفظ مصر لأهلها ما غير ذلك مطلبا منشودا
جاهدت نصف العمر فى أرجائها علما ونصفا في الغروب شريدا
لله وفيت الامانة حقها وبذلت فيها طارفا وتليدا
وأذبت في حسراتها كبدا (١) بها أوديت تحرق من ذويك كبودا
لم تدخر فى حب مصر وأهلها وسعا ولا جهداً هناك جهيدا
ما عزَّ عندك أن تركت لأجلها وطنا وقصرا كالسدير مشيدا
ولذائذا ونفائسا أُورثتها عنها صرفت وعَيِّلاً ووليدا
غادرته طفلا وطال بك النوى فحرمت منظره وصار رشيدا
لخلاص مصر قد تركت مآثرا بيضا سهرت لها الليالىَ سُودا
كنت المتيم والعميد بحبها فلذا لفتيتها غدوت عميدا (٢)
كم خطأوك وعاندوك وكل من يفري فريَّك (٣) لم يزل محسودا
حتى تمخضت السنون حقائقا خروا لديها ركعا وسجودا

---

(١) لانه توفي رحمه الله بمرض الكبد (٢) العميد الاول هو الذي هده العشق والعميد الثانى هو سيد القوم (٣) فري الفري بتشديد الياء أتى بالعجب في عمله.

علموا بأنك لم تكن متهورا بل كنت تنظر مذ نظرت بعيدا
عمدوا لرأيك فانقلبت وتلك من نِعم الاله مؤيَّدا تأييدا
لم تحتضر الا ومصر كلها لنظير صنعك تستحث وفودا
فلشد ما قرّت عيونك عند ما حف الجميع لواءك المعقودا
فانظر إلى مصر العزيزة بعضها مثل البريم (١) ببعضها مشدودا
تمشي إلى التحرير لا هيابة خطرا ولا الموتَ الزؤام مبيدا
صارت جميعا دنشوايَ وانما صار الانام عن الحمام مَصيدا
حاشا ولو جار القويُّ ولو طغى أحرارَ مصر أن تكون عبيدا
مهما استعز الغالبون بجندهم فالحق أعظم قوة وجنودا
قد أقبل الزمن الذى أبناؤه لا يحملون سلاسلا وقيودا
نم يا فريد على يقينك انه يوم تأذّن بالخلاص عتيدا
لابد من فرج قريب عنده مصر تؤمّم شخصك الملحودا
ويبشرونك بالخلاص إلى الثرى أنْ قم وشاهد يومك الموعودا
يبقى مع الاهرام ذكرك ثابتا ويظل قبرك مثلها مشهودا
وهناك تنقلب المدامع قرة ويعود مأتمك المفجّع عيدا

***

رثاء نظمناه في جنيف في ١٨ مارس سنة ١٩١٩ وبعثنا به الى ابن عمنا المرحوم الامير توفيق مجيد أرسلان لدى علمنا بوفاة ولده مُلحم وكان نجيباً، وذلك بعد أن رجع من منفاه في الأناضول:

لقد كنت أرجو أن تعود وتغنما وتنسى عناءً قد مضى وتصرّما
وتعتذر الايام عما تحاملت عليك ويمحو اليومُ ما الامسُ قدما

(١) الحبل المبروم

فما راعني إلا مصابك تاركا ليالىَ أياما ويومىَ مظلما
وسهم تلقاه فؤادي وإنه لآلم ما لاقى نبالا وأسهما
أجل لم تزل حتى أُصبتَ (بمُلحم) فتفتأ حتى الموت تذكر مُلحما
مصاب تشاطرناه طراً فكلنا يبكّي على مفقودك الدمع والدما
رأينا عظيما قبله حادث النوى لعمري لفجاء البين أدهى وأعظما
وكنا نرجّي فرحة بزفافه فواحسرتا اعتضنا من العرس مأتما
وصارت به تلك التهاني مراثيا وناح الذي قد شاء أن يترنما
فتى لم يكن إلا بأعوامه فتى فقد كان في عقل الرجال وأحلما
تقبّل بالصبر الجميل بلاءه وحلّى بشهد الطبع ما كان علقما
تحمّل من بلواه وهو مراهق لعمرى مالو حل طودا تهدما (١)
كأن الذي فيه من العقل قد أتى لنزداد فيه حسرة وتألما
فأى فؤاد لا يذوب لمثله وأى سرور لا يكون محرما؟
أتوفيق ثق ما أنت في الخطب واحدا ولكنه حزن علينا تقسما
وإن كنتَ مجروح الفؤاد فكلنا غدا لك مجروح الفؤاد مكلما
تناثر دمعي فوق طرس أخطه لذاك غدا نثرى ونظمي توأما
يخيل لي مبكاك عند وداعه خيالا على بُعد الديار مجسما
مضى وبقيت العمر تذكر فقده فياليت شعري من تروّح منكما
مضى ولو الماضى يُهنا على الردى لقلت له اضحك ضاحكا متبسما
فما هذه الدار العزيزة عندنا بأهل لعمرى أن تعز وتكرما
إذا سبر الناس الأمور بدت لهم حقائق لا تُبقى فؤادا متيما

---

(١) إشارة الى مرض أليم أصابه في رأسه وتحمله بصبر الكبار رحمه الله

فكم فرحٍ فيها بخير أصابه ... يعود عليه حسرة وتندما
وكم نعمةٍ تبدو فترجع نقمة ... ومغنم قوم عاد من بعدُ مغرما
عزاءك يا ابن العم هل ثم حيلة ... تصد بها ذاك القضاء المحتما ؟
ومثلك من قد غلّب العقل والحجى ... على حسه عند المصاب وحكّما
رجوت إلهي في بنيك الألى بقوا ... بأن يسلموا في جانبيك وتسلما
ويملأ مرآهم عيونك قرة ... ويغدوا بدورا في البلاد وأنجما

***

رثاء للمرحوم الامير عبد القادر نجل جناب الخديوي عباس حلمي توفاه الله إلى رحمته في ٢٠ ابريل سنة ١٩١٩ وذلك في برلين وكنا حينئذ في مونترو من سويسرة نازلين في فندق مونترو بالاس وكان في الفندق نفسه جناب الامير محمد علي عم الامير الفقيد فعزيناه بالابيات الآتية

أسائل(١) دمعي هل غدوت مجيبي ... إذا شئت أطفي حرقتي ولهيبي ؟
وهيهات أن يقوى على النار صيب ... وريح الرزايا آذنت بهبوب
لئن بكت الخنساء صخرا فانه ... لقد بات يبكي الصخر طول نحيبي
يقولون لي صبرا فقد ذبت لوعة ... وما ذوب مثلي في الاسى بعجيب
أأحسب قلبي من حديد وإن يكن ... فكم من شرار للحديد مذيب
وقالوا ألا مهلا تأس بمن مضوا ... فليس مصاب جازع بمصيب
فقلت ذروني والاسى ليس مغنيا ... كلام خطيب مع كِلام(٢) خطوب
أجل مقامي في المحبة والوفا ... عن اللهو والسلوان بعد حبيب

---

(١) يجوز أن يكون أسائل بمعنى أسأل، ويجوز ان يكون اسم فاعل من سأل. وعلى الوجه الاول الفعل المضارع مرفوع، وعلى الوجه الثاني الاسم المنادى منصوب

(٢) كلام الثانية بكسر أولها جمع كلم وهو الجرح

ورب محب بات يسلو حبيبه ... ألا تلك أجسام بغير قلوب

أفي كل يوم للمنية حادث ... يُسيل من الاجفان كل صبيب ؟

تعمدنا ريب المنون بضربة ... أبى الدهر أن يأتى لها بضريب

أُصبنا (بعبد القادر) اليوم إذ غدت ... تناط به آمال كل لبيب

هوى كوكبا باتت لوقع غروبه ... جميع المآقى مترعات غروب (١)

هوى كوكبا كالبدر تمًّا وإن غدا ... قريب المدى من مَشرق لمغيب

فقل أىّ وجد فى الجوانح محرق ... على أي غصن في التراب رطيب؟

لئن لم يجاوز ست عشرة حجة ... لقدجاز فى الادراك أهل مشيب

قرأت له كتباً قبيل نعيّه ... بأمثالها يختال كل أديب (٢)

أبى نكد الايام إلا أفوله ... وهل تؤثر الدنيا حياة نجيب

وكان الذي لو عاش أحيا جدوده ... وأمسى بوادي النيل كل خصيب

عزيزٌ نماه عرش مصر وقد قضى ... منية ناء في البلاد غريب

من العلويين الاعاظم فضلهم ... على كل قاص عنهم وقريب

يرجيهم الاسلام في كل مأزق ... وفي كل يوم للزمان عصيب

قضى العدل أنّا فى الكوارث كلها ... نشاطر من أحزانهم بنصيب

سألت لهم طول البقاء وسيلة ... لنصرة أقوام لهم وشعوب

ورفعة أوطان وعزة ملة ... وكبت عدو كاشح ورقيب

***

---

(١) الغروب الأولى جمع غرب ومعناه الحدة: تقول كفكفت من غر به . والغروب الثانية جمع غرب وهو الدمع أو هو عرق فى العين يسقي ولا ينقطع

(٢) كان عمه الامير محمد علي قرأ لي بعض كتب من الشاب الفقيد رحمه الله

وقلت أرثى المرحوم أحمد مختار بيهم عين أعيان بيروت فى وقته وكانت وفاته سنة ١٩٢٠

هلا وأنت الجوهر المختار ... عن نيل مثلك تصبر الاقدار
وتكون عن دار العلى متأخراً ... وإلى العلاء لك السباق شعار
سابقت في الدنيا إلى مابعدها ... وكذا الفناء إلى البقا مضمار
أبقيت من غرر الفعال مآثرا ... اليوم هنّ براحتيك منار
وتركت من ظلم الحياة لياليا ... هي عند ربك كلها أسحار
إلاّ تكن تلك الحياة طويلة ... فلقد يساوي العامَ منك نهار
أو كنت ودعت الأحبة عبطة(١) ... بكرا فعمرك وحده أعمار
كم فى الشباب الغض منك كهولة ... وعليه من دون المشيب وقار
سرعان ما اخترت الرحيل أشد ما ... احتاجت لك الاوطان والاوطار
لو لم نكن ندري وفاك وانه ... أجل لقلنا جفوة ونفار
لبّيت من ملأ الملائك داعيا ... فوراً وشأنك في الأمور بدار
وجدوك أجدر بالجنان وشاقهم ... يوم تجاورهم ونعم الجَار
غارت من الارض السماء نفاسة ... بك والضرائر بعضهن يغار
فازت بك الخضرا لذا غبراؤنا ... تبكى نواك ودمعها أنهار
لا غرو أن نرزا بفقدك ماجدا ... فبكل مجـــد للمنية ثار
أو أن تكون لسهم دهرك معرضاً ... هدفا فأغراض الكبار كبار
ما كان خطبك سيدا قد غاب بل ... جمعا يضيع وجانبا ينهار
قد كنت في الاوطان قبلة معشر ... يهدون هديك إن سروا أو ساروا
كانوا إذا ما أبصروك أمامهم ... رشدوا وإن ضلوا سبيلك حاروا

---

(١) أعبطه الموت أخذه شابا صحيحا بدون علة

ذكروا مكان أبيك فى أيامه علماً اليه بالبنان يشار
فحذوت حذو أبيك بل جاوزته إن البنين لأهلهم أسرار
لم تجتزىء بتليد مجدك عالما أن الرجال إذا مضت أخبار
فنهضت للعليا بنفسك طالعا أنجادها والفضل ليس يعار
أمسيت في العرب الكرام منارة تعشو لضوئك يعرب ونزار
بعزائم مشبوبة ومكارم عنهن بيعان الكرام قصار
كانت خلالك في الأنام فريدة بنظيرها تستطرف الأشعار
لم يقصر المداح فيك وربما سكت اللسان وقالت الآثار
الهمة القعساء يربض تحتها جأش بركن ذراه ليس يطار
تلقى الخطوب بقلب شهم عنده أبدا كبار الحادثات صغار
حرمت بلادك في مصابك واحدا هو في الحقيقة جحفل جرار
أتخيل الأرجاء بعدك قد خلت فكأنما تلك الربوع قفار
لا الثغر ثغر إذ غدوت برمله رهن الضريح ولا الديار ديار
أعزز علي أبا أمين أنه أملي بقربك عاد وهو بوار
قد كنت أرجو أن أراك وإذ به ما بعد ذياك العشى عرار[1]
قد كنت طول البعد نصب نواظرى ويرى الفؤاد ولا ترى الابصار
أبدا أطارحك النجي(٢) كأننا رغم المساوف كلها سمار
ما مر عن بيروت سانح خاطر إلا ومثل شخصك التذكار
أو لا تكون كذا وأنت بأرضها قطب الرحى وعلى القطوب يدار
أعززْ علي أبا أمين اننى أرثيك نظما والدموع نثار

---

(١) اشارة الى قول الشاعر:

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار

(٢) النجي والنجوى واحد

سدك (١) البكاء بمقلتيّ فأدمعي ... بهما غزار والرقاد غرار (٢)
أعزز عليّ بأن مضيت ولم تزل ... تلك المنى وفنيقهن حوار (٣)
والناس شائمة بوارق لمّعا ... تخبو وتومض والقلوب حرار
يتذكرونك كل حزة مأزق ... ولدى الحنادس تنشد الاقمار
إذ سيف رأيك في الحوادث فيصل ... وندى يمينك ديمة مدرار
ومن القلوب معاصم ومعاقل ... ومن العقول أسنة وشفار
قد كان عهدك للرفاق : تذكروا ... حق البلاد وانكم أحرار
حق البلاد بأن تكون لاهلها ... ملكا صريحا ما عليه غبار
أوطاننا فى الارض خالصة لنا ... نحن الطيور وهذه الاوكار
لا تبعدن فان تغب يا أحمد ... تحت الثرى فلأحمدٍ أنصار
لاحت تباشير الخلاص وإنما ... يبدو الصباح وقبله الإسفار
ضل الألى حسبوا البلاد غنائما ... تلك الجنان جنان جلّق نار
والطامحون إلى الفرات ودجلة ... مجرى الفرات ودجلة تيار
والبائعون القدس رهط صيارف ... ما للصيارف عندنا دينار
قد كان أمّ بلادنا آباؤهم ... أُمما فلاقى ريحهم إعصار
لو يذكرون من الحوادث ماضيا ... ما غرهم لمقامنا استحقار
لكنهم أمنوا الزمان كأنما ... بين الزمان وبينهم آصار
وتوهموا تلك العصور وقد خلت ... ليست تعاد وما لها تكرار
كلا وربك ما أصاب حسابهم ... ولكل قوم نهضة وعثار
إن الزمان هو الزمان تقلبا ... مادام الا الواحد القهار

---

(١) سدك بهلزمه (٢) قليل النوم (٣) الفنيق وزان أمير الجمل المكرم لا يركب والحوار ولد الناقة مذ يولد إلى أن يفطم

***

مرثيتي للأخ الابر والاستاذ الاشهر الشيخ عبد العزيز جاويش أرسلتها من لوزان الى مصر وتليت فى حفلة الاربعين لوفاته رحمه الله سنة ١٣٤٧

لم تُبق بعدك فى الخطوب جليلا ... مذ شئت ياعبد العزيز رحيلا
خلفت للاسلام أى مناحة ... طمت وعمت عرضه والطولا
في كل أرض نص فيها منبر ... يتذكرونك بكرة وأصيلا
يتذكرون مواقفا مشهورة ... لك ليس تترك للمراء سبيلا
ومآثراً فى الخافقين حديثها ... ومعالياً رنت حلى وحجولا
ماالعبقرية والتى يصفونها ... إلا حياتك مثلت تمثيلا
الخاطر الوقاد ان يبدر مضى ... فى الحادثات أسنة ونصولا
والمنطق الفياض ان يهدر غدا ... يتدفق الابداع منه سيولا
لافرق بين السامعيك وقد وعوا ... ما قلته والشاربين شمولا
واذا جررت على الطروس يراعة ... بات الصرير براحتيك صليلا
تلك اليراعة وَدَّ أكبر قائد ... لو أنها فى كفه ليصولا
تتجاوب الآفاق عن أصدائها ... ويرتلون فصولها ترتيلا
هيهات ياعبد العزيز أخو على ... من دَرْكِ شأوك يبلغ المأمولا
لم يعلم الخلق الكريم ولا الحيا ... من ليس يعلم خلقك المعسولا
لم يعلم الآداب كيف تجسمت ... بشراً فتى لم يصطحبك طويلا
فكأن ربك عند خلقك قد أبى ... أن لا تكون مكملا تكميلا
تغدو أرق من النسيم فان عرا ... خطب غدوت الصارم المسلولا
في نعمة الحَمَل الوديع فان عدا ... عاد ترى أسداً يفارق غيلا
أسد متى يزأرْ لأمة أحمد ... ملأ الفرات زئيره والنيلا

شيحان لم يبصر عليها ذلة إلا ومد ذراعه المفتولا
رضي المصائب والنوائب والنوى والحبس حتى لا يعيش ذليلا
يعفو الجرائر نحوه طرّا ولا يعفو اذا الاسلام غُضّ فتيلا
جعل الجهاد نصيبه عن قومه فقضى الحياة مغرّبا مجفولا(١)
لا تعظم الأخطار في أبصاره ما دام يبصر حقهم مأكولا
يا راحلا أبقى فراغا هائلا هيهات تملأه الرجال فحولا
آليت لا أنفكّ عهدك راعيا حتى أُغرَّب في التراب مهيلا
غادرت لي قلبا عليك مقطعاً دامي الصميم ومدمعاً موصولا
وسألتُ دمعي أن يجيب جوانحى فانباع يجري سائلا مسئولا
أنسى لعمري والدَى وعترتي إن كنت أنسى فضلك المسجولا(٢)
إذ أنت برٌّ بى كما نفسى وإذ تغدو عليلا أن أكون عليلا
إنى أحن إلى اجتماع الشمل في الأخرى كأنّا في الحياة الاولى
ربَّ الوفاء وصفوة الخلان قل أتركت بعدك من أعدّ خليلا؟
يا صاحب القدح المعلى في العلى أتركت مثلك ياسراً فيجيلا؟
أبقت عليك الحادثات كلومها والسيف يكسب بالجلاد فلولا
شفّت وجودك همة جبارة تجد الصعود إلى السماك نزولا
أتظن أن تمضي وأبقى وافراً هيهات قد صار البقاء قليلا
يا أيها المولى بحبك قد مضى (عبد العزيز) متيما متبولا
أمطر على ذاك الثرى غيث الرضى واجعله ربِّ لدى علاك نزيلا
قد كان فعّال الجميل حياته فأثبه في دار المعاد جميلا

(١) جفله نفره (٢) سجل الماء صبه

ولما اطلعت على مرثية شوقي للشيخ جاويش أعجبت بها. فارتجلت هذه الأبيات وقد نشرت في جريدة الشورى

تفوّق شوقي بأشعاره جميعاً فكل يتيم فريد
وما دمت تجتاز أرجاءها تعود بكل طريف جديد
توالى الهتاف لدى كل بيت ألا إن ذلك بيت القصيد
إذا هو أبكى فؤادُ المعاد وإن هو غنى فأنسُ الوجود
ولكن قصائد شوقي اللواتي لهن سجل بلوح الخلود
فداءٌ لمرثية قالها بعبد العزيز : العزيز الشهيد
أعار الرثاء جلال الفقيد فأصبح هذا لهذا نديد
وقد كان من قبل هذا مبينا بشأو محال عليه المزيد
تكاد لإحراز أقوال شوقي تكون المنايا أماني الفقيد

***

ورثيت صديقي عين أعيان جبل عاملة ومبعوث بيروت في مجلس النواب حاتم عصره كامل بك الأسعد رئيس آل علي الصغير وكانت وفاته رحمه الله سنة ١٣٤٣

هوى لفقدك ركن الشرق واحربا يا كامل من يسلي بعدك العربا
كل المصائب يفنى الدهر شِرّتها إلا رَداك فيفنى الدهر والحقبا
كنا نرجيك للجلّى تذللها فاليوم من ينبري للخطب إن وثبا
تلقى النوازلَ بالافعال صادقةً والناس في الخطب تُسدي القول والخطبا
ردت مصيبتك الأرزاء هينة من بعدها وغدت أكبادنا صُلُبا
هيهات تدّخر الآماق سائلة من المدامع تبغي بعدك الصَّببا

لو كنت مع حاتم الطائيّ في زمن ... ما نال في الكرم الاسم الذى كسبا

نداك بالعين مشهود ونائله ... هيهات نعلم منه الصدق والكذبا

قد كنت تهوى من الاخلاق أسمحها ... لقاصد ومن العلياء ما صعبا

لله درك سبّاقًا لمكرمة ... كالسيف منصلتًا والسيل قد زعبا

يا أمة سكنت أكناف عاملة ... وأوطنت شعفات العز والهضبا

هل عندكم قومنا عن كامل خبر ... فقد أتانا نبا أن قد نأى ونبا

اللامع الرأى إن يدجُ الزمان بكم ... والخالف الغيث إن تستبطئوا السحبا

كانت عيالا عليه منكم زمَرٌ ... من كان منهم يتيما راء(١) فيه أبا

كانت بكاملكم أرجاء عاملكم ... تتيه عجبًا على الدنيا ولا عجبا

قالوا عميد بنى النصار قلت لهم ... بل ركن كل امرىء في يعرب انتسبا

لو أنصفت حقه افناء عاملة ... من البكا رق فيها الصخر وانتحبا

لهفي على كامل الاوصاف كيف ثوى ... ذاك المحيا ظلامَ الرمس واحتجبا

لهفي على البدر قد غابت مطالعه ... لهفي على البحر ذى الامواج قد نضبا

لهفي على السيف الغطريف تُحرَمه ... طوائف طالما استكفت به النوبا

لهفي على الكامل الفذ الذى فقدت ... به الورى المثَل الاعلى لمن وهبا

على الذى لو قضيتَ الدهر تصحبه ... لم تلق إلا الوفا والصدق والادبا

تقرا على وجهه آيات شيمته ... وتنثنى قائلا سبحان من كتبا

أخ أشدُّ به أزري لنائبة ... ولا أعزُّ عليه اخوتى نسبا

في كل يوم أرى منه أخًا ثقة ... إذ من سواه أرى الحساد والرقبا

كم كنت آمل أن أحظى بطلعته ... يومًا وأطفىء من أشواقى اللهبا

كم كنت أذكره فى غربتى كلفًا ... أحدو إلى وجهه الوضاح ريح صبا

---

(١) راء مثل رأى ومنه : بك راء نفسك لم يقل لك هاتها

حتى أتاني نعيٌ غير منتظر ... ألفيت ناضر آمالي به حطبا

ويلمها جملة لما بصرت بها ... خلت المنايا أماني والحياة هبا

من لي بأن أمسك الدمع الهتون على ... خدى وأن أدرك النوم الذى هربا

مهلا بنى الاسعد الامجاد خطبكم ... خطب به الوطن المحبوب قد نكبا

تبكى له العرب العرباء أجمعها ... من ساكن مدرًا أو ضارب طنبا

ولو عقدنا عليه كل شارقة ... مناحة ما قضينا بعض ما وجبا

لكنما الموت حتم لا يحيك به ... حزن ولا عارض للدمع منسكبا

زعمت أني أعزيكم بموعظتى ... فيا ترى من يعزينى بمن ذهبا

وإنما نحن طرًا ركب قافلة ... وكلنا شارب الكأس الذى شربا

يارب أمطر ثراه كل غادية ... تخضلُّ منها بقاعٌ حوله ورُبى

آتيته كرم الاخلاق منقبة ... فكن كريما عليه ربنا حدبا

***

رثائى للمرحوم أخي نسيب المتوفى في ١٠ جمادى الآخرة سنة ١٣٤٦

نسيب قد كان ساري الطيف أبدى لي ... رؤيا تناهى بها ذعري وإجفالى

رأيت في دارنا الأفواج أشبه بالأ ... مواج ما بين إدبار وإقبال[١]

فقمت والبال مني كاسف قلقا ... مستقبلا من حياتى كل ذي بال

وما مضت ساعة الا أذنت بها ... مصيبة حققت خوفي وأوجالى

غدت عليَّ سلوك البرق ناقلة ... نبا يقطع أسلاكى وأوصالى

تلك التعازى التى الاخوان تبرقها[٢] ... وذى المدامع منها كل هطال

أيقنت حقا بأني قد فقدت أخي ... ومن أرجى لأهوالى وأوهالى

---

(١) رأيت هذه الرؤيا قبل أن جاءني نعيه بليلة (٢) أول برقية جاءتني هي من شيخ العروبة أحمد زكي باشا رحمه الله

أيقنت انك بعد اليوم مغترب ... عني ولستَ مجيباً بعدُ تسآلي
شعرت اذ ذاك أن لا أزرَ ينهض بي ... وأنني رازح من تحت أثقالي
كأنني في فلاة لا أنيس بها ... والأرض صارت جميعاً ربعها الخالي
نسيبُ غادرتني من بعد بُعدك في ... عيش تبــدل آلامى بآمالى
لك الخلاص من الدار التي طبعت ... على الشقاء، ولى حزنى وإعوالى
قد كنت أطمع أن ألقاك والهفي ... ولو تطاول بي حلي وترحالى
حتى أتاني نبأ قد رد لى أملي ... واحسرتى أمل الظمآن فى الآل
لم يبق لى بعد ذاك النعي من أمل ... الا بدمع طوال الليـل سيال
أبكيك في غربتي مضى نوًى وتوًى ... بالبعد والموت فانظر أتَى اذلال
أبكيك حين ألاقى الناس مجمعة ... تبكى بكائىَ من دان ومن عال
هم يعرفونك من قد كنت معرفتى ... فما يزكيك الا شاهد الحال
ما كنت تعدو ولا تبغى على أحد ... ولا تُغير على عرض ولا مال
ولا ذكرت امرءاً يوما بمنقصة ... يا أبعد الناس عن قيل وعن قال
لم تعرف الكبر في قول ولا عمل ... كلا ولا سرت يوما سير مختال
فيك التواضع خلق لا تكلّفهُ ... وأنت تلبس منه ثوب اجلال
ولم تكن لجميع الناس متضعا ... الا على ثقة في النفس والآل
لك المزايا التى الاقوام تحسدها ... وما اشتغلت بحساد وعذال
لوكانت الناس فى الدنيا نظيرك لم ... تحتج لعمرى لحكام وعمال
ما كنت تنشد في الاعمال محمدة ... ولا تبالى بألقاب وإبجال[1]
بل تلك عاطفة النفس التى طبعت ... على الجميل لغير الجاه والمال
وكنت في الشعر فذا لا يشق له ... أدنى غبار وتعيي ناره الصالى

(١) أبجله الشيء إذا فرح به

لك القوافي التى أعيت نظائرها ... نوابغ الشعر أهل الشيح والضال
كم من شَرود لعمرى قد جررت بها ... على جرير القوافي فضل أذيال
لهـا من الحضر الأكياس رقتهم ... في لفظ بادية روّاد اطلال
أدركت في اللغة العرباء منزلة ... لها على كل نحـل كل إدلال
كم يدعى الشعر قوم لو وزنت بهم ... هدرت بحراً وساحوا اسيْح أوشال
قد يفقد الناس حقا في تواضعهم ... ويحسب الصمت عِيًّا عند جهال
وكم مجـال به بان السكيت على ... شأو المجلى وبذ العاطل الحالى[1]
يعطيك حقك دهر لن تضيع به ... ان الحقائق فيـه غير أغفـال
ما مر ذكرك فى ناد وحاضرهُ ... لم يتبعوك ثنـاء غير بُخّال
ذكراك باقية في الناس سائرة ... كما تضوع عرف المندل الغالى
إن طالما كانت الاحزان زائلة ... مع الزمان فحزنى غير زيال
جرح أتى حين شمس العمر قد دلفت ... الى الغروب ودانت بين آجال
ولوعة البين لا تنفك تسفـع فى ... قلبى على مر أسحارى وآصالى
ياغرب لبنان ألق السمع وابك على ... بكا غريب بأقصى الغرب نزّال[2]
فلم يعد في اندمال الجرح من أمل ... وما بقى مهلة يسـلو بهـا السالى

***

رثائي لفقيد العلم والوجاهة اللغوي العلامة أحمد باشا تيمور رحمه الله وكانت وفاته سنة ١٣٤٩

يساورني طول الدجى وأساوره ... مُلال[3] وطرفى ساهد الليل ساهره

---

(١) أي لجهل الناس بحقيقة الفضل (٢) غرب لبنان الناحية التي تسكنها أسرتنا والغرب الثانية أوربة التي أسكنها الآن (٣) بالضم التغلب من المرض أو الوجع

ولولا التقى ناديت ياحبذا الردى وقلت متى تاتي إليَّ بشائره؟
لعمرك ما بالعيش إرب لعاقل توغل فى علم الحقيقة خاطره
تسلسلُ آلام وترداد محنة تراوحه في كربها وتباكره
وخيبة آمال وفقد أعزة وبعد طوال السجن فالموت آخره
ليهنك يا تيمور انك جزتها إلى ملأ لا يعرف الموت زائره
وفارقت داراً لا يزال قطينها يفكر في الهول الذي هو غامره
فان تك عقبى الدار قسمة فاضل فأقصى أمانيك الذي أنت صائره
تخطتك في ذا الخطب داعية الرثا ولكنها صارت إلى من تغادره
جدير بأن يُرثى الذين تركتهم يصابر كل منهم ما يصابره
يسائل بعضاً بعضهم: أين أحمد؟ وأحمد قد ضمت عليه حفائره
فأنّى لهم تلك الخلائق بعده وأنّى لهم من ذلك الوجه ناضره؟
وأنّى لهم تلك السكينة والنُّهى إذا عصفت من أي خطب أعاصره
يريدون في ذا العصر نِدًّا لأحمد وأحمد فذٌّ مفرد الخلق نادره
ينوحون نوح الثاكلات فكلهم تَدفَّقُ عن مثل السيول محاجره
على سيد: فى جنبه كل سيد يظل ضئيلا باديات مفاقره
على ملك فى صورة بشرية تعدته من هذا الوجود صغائره
إذا ما جرى فى أي ناد حديثه تقول فَتيتُ المسك شبّت مجامره
حريٌّ بأن الشرق يظلم أُفقه لمنعاه والاسلام تبكى منابره
وتنكس رايات الفضائل كلها عليه وترخى للكمال ستائره
فمَن بعده للعلم تنشقّ حجبه ويُسلس عاصيه ويسهل واعره؟
وللغة الفصحى يصون ذمارها وتملأ فيها الخافقين مآثره؟

صباباته في حسنها وسهاده ومن كتبها أعلاقه وذخائره
وذوق جناها غبقه وصبوحه وجوب فلاها روضه وأزاهره
أوابدها طرا لديه أوانس وشردها من كل فن معاشره
أقام لسان العرب مما هوى به ولولاه حتما ما أقيلت عواثره[1]
ولو كان في عصر المؤلف لم يكن لديه ابن منظور بكفء يناظره
ولو أنه وافى الصحاح مصححا غلت فوق عهد الجوهري جواهره
وكان كتاب العين قد غاب جملة عن العين لو أن الخليل معاصره
ولو كان في القاموس لجج[2] ماطما وما كان إلا كالرقارق[3] زاخره
ولو أن رب التاج[4] عاش بعصره لحل من التاج الذي هو ضافره
ولو شمل المصباح[5] يوما بنقده لخلاه ملقى ليس يزهر زاهره
مدى ليس فيه من يشق غباره وطائلة ما إن بها من يجاوره
فقد غيبت تلك الفضائل كلها ودارت على ذاك النبوغ دوائره
وبات يبكي كل صاب الى العلى وكان حرى أن لا تجف بوادره
أأحمد لا تبعد ففي كل مهجة ولاؤك عقد محكمات أواصره
لئن بنت عنا لم تزل متمثلا عليك احتوت من كل شخص ضمائره
دخلت إلى الدار التي أنت أهلها مكانك فيها مشرق الوجه سافره
ولا بأس من هول الحساب على امرىء له زرد من نسج أيديه ناصره
عليك سلام الله مالاح بارق وجاد ثراك الغيث ما سح ماطره
على الناس دين من ثنائك لازم يؤدونه ما يذكر الحق ذاكره

---

(١) إشارة إلى استدراكات تيمور باشا على لسان العرب لابن منظور
(٢) لجج في البحر خاض في لجته (٣) الماء الرقيق في البحر وهو بضم الاول
(٤) أي تاج العروس في شرح القاموس (٥) المعجم المشهور في اللغة

***

ورثيت صديقي المرحوم الشيخ عبدالقادر الشيبي كبير سدنة البيت الحرام وعين أعيان مكة المكرمة

سلاني هل على بُعدي سلاني   وهل كان المغيب سوى العيان؟
وهل فارقته الا توالت   رسائله علي بلا توان؟
صديق نادر الامثال فيما   عهدت وما له في العهد ثان
وغطريف تعز به قريش   له في كل مكرمة يدان
من النفر الألى سادوا وشادوا   وجادوا للأقاصي والأداني
عريق المجد أروع عبدري   له شأن يُكذب كل شاني
وكيف يكون من ينميه أصل   كعبد الدار أو عبد المدان؟
وكيف يكون مضطلع بأمر   تسجل بالمثالث والمثاني
أقر الله للشيبيّ حقا   سدانة بيته طول الزمان
تغيرت البلاد ومن عليها   ورتبة آل شيبة في أمان
وقد ضمّوا الى ما أُورثوه   تميزَهم بأخلاق حسان
وكان عميد هذا الوقت منهم   يشار الى علاه بالبنان
يهزُّ به الحجاز أخا مضاء   الى العلياء كالسيف اليماني
وإذ فارقته في أرض وجّ(١)   وجا(٢) قلبي التياع كالسنان
كأني قد شعرت لدى وداعي   بأني لن أراه ولا يراني
ولما جاءني منعاه أذكى   ضلوعي واستهل المدمعان

---

(١) وج هي الطائف وكان وداعي له هناك ولم أره بعدها

(٢) وجأه بالهمزة ضربه بالسكين ونحوه في أي موضع كان وخفف هنا للوزن

وباتت تسفع الاحشاء ذكرى مجالس كالامان وكالاماني،
زمانا كان يرعاني وفاه على مر الدقائق والثواني،
ألا يا آل شيبة لي حنين اليكم من أخ جم الحنان،
لعبد القادر الشيبيّ عندي مقام لا يقوم به بياني
أشاطركم بهذا الخطب حزنا شجاكم منه سهم قد شجاني
ولكني بعبد الله(١) أرجو عزاءً آسيا جرح الجنان
وأسأل للفقيد كريم نُزل لدى مولاه في غرف الجنان،
هناك العالم القدسى باق وهذا العالم الإنسى فان،

***

هذه مرثيتي للأخ القديم ، والولي الحميم ، أحمد بك شوقي أمير الشعراء رحمه الله : وقد توفي سنة ١٣٥١ هـ ـ ١٩٣٢ م

قد أعجز الشعراء طولَ حياته واليوم يعجزهم بندب مماته
هيهات يوجد فى البرية منهم كفؤ ليرثيه بمثل لغاته
كان الأمير لجيشهم مستنة فرسانهم في الظل من راياته
ما عاب أهلَ العبقرية أنهم قد قصّروا في الخبّ(٢) عن غاياته
هذا أمير الشعر غير مُدافع في الشرق أجمع منذ فتْق لهاته
لو كان وحي بعد وحي محمد لانشق ذاك الوحي عن آياته
السحر فى نفثاته والزهر في نفحاته والدهر بعض رواته

---

(١) ولد الشيخ الفقيد وهو الوجيه الاستاذ الشيخ عبد الله الشيبي

(٢) الخب والخبب ضرب من العدو و يقال خب في الامر من باب طلب اسرع الاخذ فيه اه مصححه

رقت لنغمته القلوب فكيفما　　غنى بها رقصت على نبراته
تغدو المعانى العُصم شُمس مقادة　　فيقودها قود الغلام لشاته
وإذا أراد الصخرة الصماء من　　أغراضه رقت نظير سِحاته [1]
ما رام شارد حكمة في نظمه　　إلا أصاب صميمها بحصاته
جلّى الاله له الامور كأنما　　يُلقى عليها الشمس من نظراته
فكسا الطبيعة من نسيج بيانه　　حللا خلت من غير طرز دواته
فترى الطبيعة قبل نظرته لها　　غير الطبيعة وهي في مرآته
والحسن يشرق في العيون بذاته　　وهنا يضيء بذاته وصفاته
هذا هو الشعر الذي بنبوغه　　لم تحسن النظراء قرع صَفاته
من كل بيت في رفيع عماده　　تتقاصر الأقدام عن عتباته
كالدر في لمعاته والبدر في　　قسماته والصبح في نسماته
ولقد رويت الشعر عن آحاده　　وألفت للسبّاق في حلباته
وقضيت فيه صبوتى وصبابتى　　وقطفت منه خير نُوّاراته
وأثرتُ في الميدان بُزل فحوله　　وأطرت فى الآفاق شُهب بزاته
فرأيت (شوقى) لم يدع في عصره　　قِرنا يهز قناته لقناته
الفرد فى أمداحه ونواحه　　والفذ في أمثاله وعظاته
وإذا تعرض للغرام فهل درت　　لغة الغرام نظير شوقياته ؟
ما في الهيام كوجده وحنينه　　أو في النسيب كظبيه ومهاته
أو بات يعبث بالشراب أضاف من　　كاساته حببا الى كاساته
أو خاض في ذكرى العذيب تشابهت　　أعطاف مستمعيه مع باناته

---

(١) السحاة تخفيف السحأة وهي ما أخذ من القرطاس

وإذا تحدث بالربيع وروضه أنساك بالتحبير وشي نباته
أو سل في وصف الوقائع صارما خلت العدى سالت على شفراته
لا رتبة تعلو مكانته ولا شرف يُناف عليه من شرفاته
نحت القوافي السائرات أوابدا ماذا يفيد النحت من أثلاته
قد بذ آلهة القريض بأسرهم ومحا عبادة لاته ومناته
يُنضون كل نجيبة أن يطلعوا جبلا يحل الرأس من شعفاته
ولكم مررت بحاسدين لفضله رغم القلى يروون من أبياته
لا ند يعدله وكم من مجلس أشعار شوقى الند فى سمراته
يتمثل العصر الحديث بشعره حق التمثل من جميع جهاته
ولرُب بيت يستقل بجملة تغنى عن التاريخ في صفحاته
لم يفتتن من عصره بمساويء كلا ولم يغمطه من حسناته
قد لازم الانصاف فى أحكامه لا فرق بين صحابه وعُداته
وإذا سألت عن الجهاد فانه منذ الحداثة كان في سرواته
كالسيف فى أوضائه ومضائه والليث فى وثباته وثباته
ما حل بالاسلام حيف مصيبة إلا وكان بها لسان شكاته
يحمي حقائقه ويوضح سُبله ويقيل طول الوقت من عثراته
يلقى على غمرات كل ملمة قولا يزيل أجاجها بفراته
ويظل يرسلها قصائد شُرَّداً غرراً تشق الفجر عن ليلاته
كانت قصائده هى الصوت الذي سرى عن الاسلام ثقل سُباته
بعثت به روح الحياة كأنها هى صور إسرافيل في زعقاته
قد كان أدرى الناس بالداء الذي قد حط هذا الشرق عن صهواته

داء هو الأخلاق فى اضمحلالها فلذا ترى الأخلاق رأس وصاته

وفّى عن الشرق القديم نضاله من يوم نشـأته ليوم وفاته

قد ذاد عنه بقلبه وبلُبِّـه شأن الأبي يذود عن تركاته

ماضٍ يحذره استلاب تراثه منه ويحفزه لأخذ تِراته

أعلى منار الشرق في أوصافه وأجاد وصف الغرب فى آفاته

ووحى الى الشرقى بالطرق التى يمشى النجاء بها لأجل نجاته

أملى مكافحة الذئاب عواديا بالواد قد حـلوا مكان رعاته

الجائسين ببحره وبره والجائشين بنجده ووطاته

والغاصبين لزرعه ولضرعه والآكلين لتمره بنواته

أشعاره تحيا وتحيي أمة تجد الحياة الحق في كلماته

يا راحلا ملأ الزمان بدائعاً من قبل أن نزل القضا بسُكاته

أتركت بعدك شاعراً ترضى بأن ترعى جيـاد الفـكر في تلعاته

يبكى بك الاسلام خير جنوده أبداً ويرثى الشرق خـير حماته

وكأن وادي النيل من أحزانه يلقى على الشطـين من زفراته

ونوادب العربية الفصحى لهـا ندب عليك يذيب فى رناته

انظر الى الاخوان كيف تركتهم من كل مضطجع على جمراته

انظر لحـال أخ فداك بروحه لو كـان يحي الميت عزم فُداته

قد كنت طول العمر قرة عينه والآن يجري السخنَ من عبراته

مضت السنون الأربعون ونحن فى هذا الاخاء نمز من قهواته

أرعاك عن بُعد وترعانى على عهد نهزُّ الرطب من عذباته

عهد رعيناه مديد حياتنـا واليوم زاد الموت من حرماته

قد كنت أطمع أن ترى لي راثياً ... يا من غدوتُ اليوم بين رثاته
كنا نخاف رداك قبل وقوعه ... فلنا الأمان اليوم من دهشاته
تبا لعيش قد يكون مساؤه ... نوحا وكان سروره بغداته
والمرء إن ينظر لما يبلى به ... لا فرق بين بقائه وفواته
فالميت وهو يذوب في حشراته ... كالحي وهو يذوب من حسراته
نرجو لك الدار التى عمارها ... هم كل من صنع الجميل لذاته
يضفى عليك الله ثوب نعيمه ... والله لا تحصى ضروب هباته
قد كنت فى الدنيا هزاراً صادحا ... يشجى ويسلي الناس في نغماته
فالآن كن بجلال ربك ساجعا ... والطائر المحكى في جناته

***

وقلت أرثى صديقى الطيب الذكر الحاج عبد السلام بنونه من عيون أعيان تطوان بل المغرب كله المنتقل إلى رحمة ربه فى ٣ شوال من هذه السنة (١٣٥٣) وهذا آخر شعر لي إلى تاريخ نشر هذا الديوان

وقد أرادت جريدة «الحياة» الصادرة فى تطوان في عددها المؤرخ فى ٣ ذى القعدة سنة ١٣٥٣ الموافق ٧ فبراير سنة ١٩٣٥ أن تتلطف بالكلمات الآتية قبل إثبات القصيدة :

لوعة أخ على أخيه

رثاء لمفخرة المغرب المرحوم الحاج عبد السلام بنونه

نور الله ضريحه وروح روحه

الأمير شكيب أرسلان رجل الساعة فى العالم الاسلامى، ابتدأ يخدم القضية الاسلامية منذ خمسين عاما، وهو أول زعيم عربي رفع

صوته في الشرق والغرب مدافعا عن قوميتنا المغربية المهددة ، فبلغ صدى صوته الخافقين ، يحب المغاربة حبا جما ، وتربطه برجالهم روابط حب متين وإخلاص مكين ، وليست هذه القصيدة التى نقدمها للقراء اليوم إلا صورة مصغرة منبئة عن عواطفه النبيلة نحو أمتنا وقادتها في الحياة والموت ؟

« الحياة »

يامدمعيَّ اكفياني نار أحزاني ... إني عهدتكما من خير أعواني
نار تأججُ في قلبي فهل لكما ... أن تطفئاها بتسكاب وتهتان
إن لم يك اليوم لي رنات ثاكلة ... فأي يوم له وجدي وتحناني
أقضي الليالي لا أحظى بطيف كرى ... موزَّعا بين حيران وحرَّان
مالي بغير كؤوس الدمع مغتبق ... وليس غير نجوم الليل نَدماني [1]
تأبى المروءة قلبا غير متقد ... على حبيب وطرفا غير ريَّان
لا بوأتنى المعالي متن صهوتها ... إن كان لم يُصْمِ [2] قلبي فقد خلاني
وليس كل أخ تأتي منيتهُ ... على رؤوس ذويه دكَّ بنيان
إنا فقدناك يا « عبد السلام » لدن ... كنت المرَجى لأوطار وأوطان
وكنت ركنا لها إن أمة لجأت ... من الورى لأساطين وأركان
الباهر الخصل [3] يُعيي من يسابقه ... والقائل الفصل عن علم وبرهان
يرمي بكل مُراشٍ من كنائنه ... عن كل قوس من التفكير مرنان
كانت محامده شتى نقول لها ... سبحان ناظمها في سلك إنسان
مهذب الخلق في صفو وفي كدر ... وناصح الود في سر وإعلان

(١) بفتح أوله المنادم وقد يكون جمعا

(٢) أصمى الصيد رماه فقتله وهو يراه

(٣) الخصل اصابة الغرض والخطر الذي يخاطر عليه فى النضال يقال أحرز فلان خصله أي غلب

مناقب سنَّمتهُ ذروة قعست ... وما أقرت لأقران باقران[1]

بصيرةٌ تستشف الغيب أغمضَه ... وهمة تقرن العالي إلى الداني

كانت له في هوى الاسلام صارخة[2] ... الموت فى سبلها والعيش سيان

وعزة العرب العرباء مالئةٌ ... عروقَهُ مَلْءَ أنداءٍ لأغصان

أخي الذى كنت أرجوه على ثقة ... إذا تشابَه إخوانٌ بخوَّان

يمضى إلى المجد إذ يمضى بلا ملل ... ولا يبالي بأحقاد وأضغان

ما كان يَثنيه عن علياءَ يقصدها ... ثان ولا يرتضى في السبق بالثاني

إن صوّبت نحوه الاعداء أسهمَها ... فالمجد والسلْم في الدنيا نقيضان

إن شئت تعلم شأوَ المرء فى شرف ... قِسه بما هاج من بغيٍ وعدوان

إن الحقيقة مثل الشمس آيـة ... إلا التجلي لقوم غيرِ عميـان

تتعتع المغرب الأقصى لمصرعه ... فلا ترى من بنيه غير سكران

كأنما كل ما فى الغرب من مهج ... تجمعت وغدت فى وسط تطوان

قد كنت آمل أن نحيا معاصرةً ... مديد عمر وألقـاه ويلقاني

أدعو له في جناني كلما انفردت ... نفسى بنجوى وأرعاه ويرعاني

نخيب البـين ما قد كنت آمله ... وكم أرتنى الليالي ضد حسباني

خذ في حياتك ما تشتاق من نعم ... وخذ بمقداره تهمام وجدان

واعلم فما صادفت عيناك فى زمن ... من قرة فهي يومًا قرحُ أجفان

لم تَحلُ لي من زماني لحظةٌ عذبت ... إلا أمرّت وحاكت وقع مُرّان[3]

---

(١) أقرن له أطاقه

(٢) الصارخة الاغاثة مصدر على الفاعلة كالعافية

(٣) بضم أوله الرماح الصلبة اللدنة واحدها مرانة

ولا توفر لي حظ ألذُّ به إلا تضمَّن أشجاني وأشجاني[1]

يا راحلا فجع الاسلام أجمعه فالشرق فى ندبه والغرب صنوان

ومسلما بطلا كانت حميته تملا الفجاج باسلام وإيمان

بُدِّلت من هذه الدنيا سماء عُلاً فابشر أمستبدل الباقى من الفاني

شقيت في دارك الدنيا بجيرتها فاسعد من الملأ الأعلى بجيران

أثواك ربك فى أفياء جنته ممتع الروح فى رَوْحٍ ورَيْحان

وجاد ترب ضريح أنت ساكنه بكل أوطف دانى الهدب حنان[2]

وأورث الله من أنجبت من ولد خلالك الغر ، هذا خير سلوان

فاذهب عليك سلام الله ما طلعت شمس وناح حمام فوق أفنان

يقلُّ بعدك ، مدفونا فجعتُ به ان أستطارَ على ضعفي لحدثان

---

(١) أشجاه أحزنه مثل شجاه

(٢) وطفت السحابة تدلت ذيولها ومنه الاوطف والهدب بمعنى الذيل والحنان الذي له صوت

القسم الرابع

﴿ فى المدائح السلطانية ، وشئون السياسة العثمانية ﴾

لي عدة قصائد سلطانية كنت أمدح بها السلطان عبد الحميد ولم أكن أقدمها للحضرة السلطانية وانما كنت أنشرها فى الجرائد تعظيما لمقام الخلافة وتأييداً لوحدة الامة . فمن هذه القصائد مالم أعثر عليه حتى هذه الساعة ولذلك ترانى مملياً منها مالا يزال في خاطري كيفما اتفق

منها قصيدة نظمتها فى الاستانة سنة ١٣١٠ هـ ١٨٩٢ م أي من ثلاث وأربعين سنة لا أزال أحفظ منها ما يلى:

ما إن لشأو في البيان يبين   تدنو لمدحك غاية وتبين

شأو لو الحدقى(١) حاول مثله   أعيا البيان لديه والتبيين

إيتاء حق الشكر حق خليفة   تزّين الدنيا به والدين

(ومنها)

تغشى الامور بفكرة وقادة   الظن منها فى الامور يقين

يا طالما صدت مقارعة الظبى   إن العقول معاقل وحصون

(ومنها)

فاسلم أمير المؤمنين ولا تزل   تعطى مناك وما تريد يكون

فى دولة غراء عثمانية   متكنفاها النصر والتمكين

ومنها قصيدة أخرى بائية نظمتها فى سورية وأظن عهدها يرجع الى أربعين سنة وقد بقى منها فى حافظتى الابيات التالية

---

(١) المراد به الجاحظ وكتاب البيان والتبيين من أشهر كتبه

قف بين معترك الأمواج والهضب ... بنقطة الامتين الترك والعرب
بدار سلطنة الدنيا ومركزها ... ومرجع الارض من قُطب إلى قُطب
بحيث قد فرق البرين ربهما ... وحيث قد مرج البحرين عن كثب
وقابل الشرق في أزياء قُدْمته ... بصنوه الغرب فى أثوابه القُشُب
ثغر الثغور حماه الله قام له ... من لطف بوسفوره أحلى من الشنب
مازال من عهد قسطنطين مرتقبا ... يجدُّ نحو بنى عثمان في الطلب
حتى أتته جيوش لا كفاء لها ... نزلن عند أبي أيوب في الرحب[1]
سخَّرن من أرضه قرنا يذل له ... اسكندر ناطح القرنين للسحب

ومنها في ذكر السلطان

حاز الخلافة فى عصرٍ أبى لَهبٍ ... له جيوش العدى حمالة الحطب
فاطفأ النار من بعد السعير له ... رأى يفرق بين النار والخشب

ومنها قصيدة نشرتها في المؤيد عهدها يتأخر عن عهد القصيدتين الأولين بعدة سنوات وأذكر منها مايلي :

مشارق أرض لفها بمغارب ... وغادر قطبيها مِزاجاً لقاطب
وجانس بين الغور والنجد عندها ... كلا أرضها لم يعي وقع السلاهب
وضيق بين الفرجتين فصارتا ... إلى مثل ما ضُمّت أنامل حاسب
وقرّب بين العدوتين كأنما ... له كرة الغبراء أكرة لاعب
مروّى شعار الهند دان وراوياً ... سبان المعالي عن رقاق المضارب
لواء من الاسلام قد عز نصره ... أطل على الآفاق من كل جانب
لواء لوان الارض طال أثيرها ... لما زال حتى اندق بين الكواكب

---

(١) إن أكثر الحرب يوم فتح استانبول وقعت على الخليج القسطنطيني — قاسم باشا — وهناك مزار ابي أيوب الانصارى (رض)

ولو أن قرن الشمس أرخى ذوائباً لما كان منه غير إحدى الذوائب
تداوله بعد النبي خلائف مفاخرهم كلٌّ على كل غارب
لعمري لئن طال التحكك بالسهى وقارب روق النجم أولم يقارب
لما طاولت أحسابَ عثمان عصبةٌ ولا دان منها مطلب نحو طالب
أرى آل عثمان بنصر محمد هي الأزد الا انها لم تصاحب (١)
مَليون بالامر الذي يحملونه خلّيون عن خلف المساعي الكواذب
لقد نوّروا ليلا من النقع داجياً بشُهبِ رماحٍ للنحور ثواقب
وقد فرعوا من كل ملك عقيلة رياضتها أعيت على كل خاطب
لقد جمعوا البرين مع زاخريهما وأحسن منه جمعهم للمناقب

ومنها في ذكر السلطان

حفظت لعثمانٍ وفاراً مريده تردى باذن الله حلة خائب
وحسنت بل حصنت ماشئت واقتضت خواطرك الغرا وحسن المذاهب
سردت له هذا الحديد فلم تزل تمدُّ بقضبانٍ له وقواضب
قواضبه في الحرب إن تُنتَدَبْ لها وقضبانه في السلم ان لم تحارب
وما عفت نار الحرب الا تعقلا وكل من الدولات تدلى بجاذب
وما عفتها الا احتفازاً لقربها وهل ينهض البازي بغير مخالب
لكل من الامرين أعددت عدة فسالم إذا ما طبت نفساً وغاضِب
سهرت وقد نام الأنام بمقلة لها قاب شيحان وجثمان شاحب

وآخرها

فحبك ذا شرعي وعرفي ومذهبي ومدحك ذا فرضي ووترى وواجبي

---

(١) أي ان آل عثمان في نصر محمد (ص) هم كالأوس والخزرج الا أنهم لم يدركوا زمن الصحابة

***

ونظم المرحوم شوقي بك عند ماذهب إلى الآستانة وكان ضيف أمير المؤمنين القصيدة الآتية :

رضى المسلمون والاسلام فرع عثمان دم فداك الدوام
كيف نحصى على علاك ثناء لك منك الثناء والاكرام
هل كلام العباد في الشمس إلا أنها الشمس ليس فيها كلام
ومكان الامام أعلى ولكن بأحاديثه يتيه الأنام
إيه « عبد الحميد » جل زمان أنت فيه خليفة وإمام
ما رأت مثل ذا الذي تبتنى الـ أقوام مجدا ولن يرى الاقوام
دولة شاد ركنها ألف عام ومئات تعيدها أعوام
وأساس من عهد عثمان يبنى في ثمان ومثلهن يقام
حكمة حال كل هذا التجلي دونها أن تنالها الافهام
يسأل الناس عندها الناس هل في الـ ناس ذو المقلة التى لا تنام ؟
أم من الناس بعد من قوله وحـ ـي كريم وفعله إلهام؟
صدق الخلق أنت هذا وهذا ياعظيما ما جازه إعظام
شرف باذخ وملك كبير ويمين بسط (١) وأمر جسام
« عمر » أنت بيد أنك ظل للبرايا وعصمة وسلام
ما تتوجت بالخلافة حتى توج البائسون والأيتام
وسرى الخصب والنماء ووافى الـ بشر والظل والجنى والغمام
وتلقى الهلال منك جبين فيه حسن وبالعفاة غرام
فسلام عليهم وعليه يوم حيتهم به الأيام

(١) يمين بسط بالضم مبسوطة

و(بدا الملك) ملك عثمان من علـ   ـياك في الذروة التى لا ترام
يهرع العرش والملوك اليـه   وبنو العصر والولاة الفخام
هكذا الدهر حالة ثم ضد   ما لحـال مع الزمان دوام
ولأنت الذي رعيته الأســـد ومسرى   ظلالهـا الآجام
أمة الترك والعراق وأهلو   ه ولبنان والربى والخيـام
عالم لم يكن لينظم لولا   أنك السلم وسطه والوئام
هذبته السيوف في الدهر واليو   م أتمت تهذيبـه الأقلام
أيقولون سكرة لن تجلّى   وقعود مع الهوى وقيام
ليذوقن للمهلهل صحوا   تشرف الكأس عنده والمدام
وضع الشرق في يديك يديه   وأتت من حماته الأقسام
بالولاء الذي تريد الأيادي   والولاء الذي يريد المقـام
غـير غاو أو خائن أو حسود   برئت من أولئك الاحلام
كيف تهدى لمـا تشيد عيون   في الثرى ملؤها حصى ورغام
مقـل عانت الظلام طويلا   فعماها في أن يزول الظلام
قد تعيش النفوس في الضيم حتى   لترى الضيم أنهـا لا تضام
أيهـا النافرون عودوا إلينـا   ولجوا البـاب إنه الاسلام
غرض أنتم وفي الدهر سهم   يوم لا تدفع السهام السهام
نمتم ثم تطلبون المعالي   والمعالي على النيام حرام
شر عيش الرجال ما كان حُلما   قـد تسيغ المنيـة الاحـلام
ويبيت الزمان أندلسياً   ثم يضحى وناسه أعجام

***

عالي الباب هز بابك منا ... فسعينا وفي النفوس مرام

وتجليت فاستلمنا كما للنـــاس بالركن ذى الجلال استلام

نستميح الامام نصرا لمصر ... مثلما ينصر الحسامَ الحسام

فلمصر وأنت بالحب أدرى ... بك ياحامىَ الحمى استعصام

يشهد الله للنفوس بهذا ... وكفاها أن يشهد العلام

وإلى السيد الخليفة تشكو ... جور دهر أحراره ظلام

وعدوها لنا وعودا كبارا ... هل رأيت القرى علاها الجهام؟

فمللنا ولم يك الداء يحمي ... أن تمل الارواح والاجسام

يمنع القيد أن نقوم فهل تا ... ج فبالتاج للبلاد قيام

فارفع الصوت إنها هى مصر ... وارفع الصوت إنها الأهرام

وارع مصرا ولم تزل خير راع ... فلها بالذي أرتك زمام

إن جهد الوفاء ما أنت آت ... فليقم فى وفائك الخدام

وليصولوا بمن له الدهر عبد ... وله السعد تابع وغلام

فاللواء الذي تلقوا رفيع ... والامور التى تولوا عظام

من يرد حقه فللحق أنصا ... ر كثير وفي الزمان كرام

لا تروقن نومة الحق للبا ... غي فللحق هبة وانتقام

إن للوحش والعظام مناها ... لمنايا أسبابهن العظام

رافع الضاد للسها هل قبول ... فيباهى النجوم هذا النظام

قامت الضاد فى فمي لك حبا ... فهي فيه تحية وابتسام

ان في «يلدز» الهدى لخلالا ... أنا صب بلطفها مستهام

قد تجلت لخير بدر أقلت ... فى كمال بدت له أعلام

فالزم التمَّ أيها البدر دوما ... والزم البدر أيهذا التمام

فعارضته بالقصيدة الآتية:

هل لسان أقواله الالهام ؟ أم بيان آياته الاحكام ؟

فتبارى الالفاظ شأو المعانى ويوفى حق الثناء الامام ؟

الذى شرفت خلافته الار ض فخف البرية الاكرام

وغدت لهجة الثناء عليه مثلما دام للصلاة إقام

قعدت نهضة البلاغة عنه ودنت عن خياله الاوهام

قعس في الصفيح من أطاس العز تهاوت من دونه الافهام

***

إنما وصفه على فاتح الافكار فى الذروة التى لا ترام

كل طرف للفكر عنه كليل كل طرف للجري فيه كهام

قصر الوصف دون من يفضح الوصف وعند الفعال يخفى الكلام

ينبذ الشعر والشهود الرياضيات عدا والحجة الارقام

إن ماسال فى ثناه يراع لا كما سح من يديه غمام

وفعال الضرغام أوقع في النفس من القول إنه الضرغام

***

كل يوم له صنائع تترى في البرايا لباسهن الدوام

تكفل الناس مثلما يكفل الغبراء غيث له عليها انسجام

طوق الخلق جوده ونداه فهي فى مدحه لعمرى حمام

وجدير أن تنطق الطير والوحش فيتلو الصداح فيه البغام

***

نسخت عنده الملوك وأمسى خبرا من أخبار كان الكرام

ما رأى مثله الزمان عظيما　　صبية عنده الرجال العظام
جاء من ضئضىء الخلافة فردا　　هو من معشر الملوك السنام
فرع عثمان وكفى المجد والاحـ　　ـساب والمكرمات والاحلام

***

دولة حجة الزمان على الخلـ　　ـق بها دون مرية إلزام
ليس للشرق غيرها فبنو المشـ　　ـرق طرا بدونها أيتام
قد أقامت سرادق العز يعليـ　　ـه الوشيج الرماح والاقلام
فوقه راية الهلال منيرا　　يدبر الظلم عندها والظلام
ينضوي تحتها النقاد مع الاسـ　　ـد وترعى الذئاب والآرام

***

مجد عثمان ليس غيرك مجد　　كل مدح من دون مدحك ذام
لم تزل شامخا بأنف عزيز　　ولكم أعطس الملوك الرغام
لا ترى دولةً هزُ الاوضدها　　حولها المسلمون والاسلام
وعلى رأسها خليفة عصر　　دهره تابع له وغلام
لم يزل قائما لديه بأبوا　　ب عليهن للجباه ازدحام
حيثما تهطع الملوك وتعنو　　تحت تيجانها الطلى والهام
موقف تخشع النواظر فيه　　وتسوّى الرؤوس والاقدام
قد حباه عثمان أُسّا متينا　　مثل البيت عنده والمقام
شاب قرن الزمان وهو مكين　　وتخطّت مئاتها الأعوام
وغدا آلفا سهام الليالي　　فلذا لا تنال منه السهام

***

إيه «عبد الحميد» إن زمانا　　أنت فيه عباسه بسام
أوله نصرك العزيز وأيد　　وارو مصراً له اليك أوام
أشخصت نحوك العيون حيارى　　أمم الخافقين والأقوام
وتصبى القلوب منك خلال　　يحرم العشق دونها والهيام
أقبل العصر يرتجيك وفى اليمـ　　ـنى كتاب وفى الشمال حسام
حبذا الدولة التى صار فيها　　توأمين العلوم والاعلام
هو ذا الشرق فى حماك لك الامـ　　ـر جميعاً وفى يديك الزمام
هزه هزة تثوب بها الرو　　ح وتحي الآمال وهى رمام
أرهف الحد للخطوب فما ينـ　　ـفع مع هذه الليالي احتشام
لم تزل أرضنا مآسد بالله　　ومأوى رجالنا الآجام

***

إن للشرق هبة بعد نوم　　أزعجته خلاله الأحلام
هبة تبعث الحمية فى النا　　س كما يبعث الخمار المدام
يسال الغرب عندها الشرق هل جا　　ءك روح تحيا به الأصنام ؟
ترسل الكهرباء فيها شعاعا　　ويرى للبخار فيها ركام
وتشب النيران في كل أرض　　فتعود النيران وهي سلام
انما تثلج الصدور بسلم　　حيثما يوقد الصدور ضرام

***

يا إمام الهدى هنيئا وأولى　　أن يهنا بالعيد عنك الأنام
إنْ أحاول على علاك ثناء　　فهو مما قضى عليّ الذمام

أو أعارض فتى القريض[1] فماعا رض ورد الحدائق القلام[2]
ذا مجال رضيت فيه من السبـ ق بعزم لم يثنه الاحجام
وإذا كان بدع وصفك سمطا جاء عفواً من القريض النظام

***

إن يوما به الجلوس تجلى هو يوم خدامه الايام
كفّر الدهر فيه عن كل ما جر فلم يتجه عليه ملام
جاء ختما لطارقات الليالى فاختلافاتها الينا لِمام(٣)

***

ليس يلحى على أوَاليه عصر بمعاليك طاب منه الختام

***

ولما استرجعت الدولة العثمانية مدينة أدرنة وتوابعها بعد الحرب البلقانية المشئومة أرسلت الدولة وفدا الى أدرنة من رجالات العرب لتهنئة أهل تلك الديار على رجوعهم الى حضن الدولة فجرت احتفالات وقيلت خطب، وكنت من جملة أعضاء الوفد العربى المذكور، فتلوت أمام ضباط الجيش العثمانى قصيدة نشرتها أكثر الجرائد العربية والتركية ولا أزال أحفظ منها الأبيات التالية

فِداً لِحمانا كل من يمنع الحمى ومن ليس يرضى خوضه متهدما
فما العيش إلا أن نموت أعزة وما الموت إلا أن نعيش ونَسلما
تأملت في صرف الزمان فلم أجد سوى الصارم البتار للسلم سلماً

---

(١) شوقي (٢) القلام القاقلي . قال المعري:

لولا غضا نجد وقلامه لم يثن بالطيب على رنده

(٣) جمع لمة . يقولون ماتزورنا إلا لماما اي في الأحايين

ولم أر أنأى عن سلام من الذي تأخر يعتد السلامة مغنما
يقولون وجه السيف أبيض دائما وما ابيَض إلا وهو أحمر بالدما
فإن يك دفع الشر بالرأي حازما فما زال دفع الشر بالشر أحزما
تجاهل أهل الغرب كلَّ قضية اذا لم يجيء فيها الحسام مترجما
وكابر قوم ينظرون بأعين ألا َعمَهُ الالباب أعمى من العمى
(أدرنة) يا أم الحصون ومن غدت لدار بنى عثمان سوراً ومعصما
فديناك ربعا ما أبر بأهله وأُمًّا علينا ما أعز وأكرما
عمرناك أحقابا طوالا فلم نزل بأهلك من أهل البسيطة أرحما
فلما أتاك المصلحون بزعمهم أعادوا إلى تلك الجنان جهنما
ألا قل الفردينان(١) أسرفت عادياً وأكثرت في وادي الضلالة مزعما
وهاجمت والاحلاف غدراً وغيلة رجالا غدوا عما تكيدون نُوَّما
رجالا لها بعضاً ببعض تشاجر فكان قضاء الله فيهم مُحتما
تعرَّض هذا الملكُ منكم ومنهمو لسهمين كل منهما انقضَّ أسهما
(أدرنتنا) لو كان للصخر ألسن بها يوم عاد الراجعوها (٢) تكلما
فما من فتى إلا وأجهش بالبكا وما من جواد عاد إلا وحمحما
ولا غادةٌ إلا وكفكف دمعها مَكرٌ حماة العرض كالسيل مفعما
ولا منبر إلا وأورق بهجة وقام عليه ساجع مترنما
وقرَّت عيون المصطفى في ضريحه وهناه في الفردوس عيسى بن مريما

ومنها :

تعجلتمو منا ثغوراً شواغرا فهلا وقد جاء الخميس عرمرما
خميس إذا النيات صحَّت رأيته يخيم معه نصره حيث خيما

---

(١) ملك البلغار (٢) رجعه رده مثل ارجعه

تأمل أهاضيب الجبال وقد رست ... وحدث عن البحر المحيط وقد طمى
تضيء نواحيه بغرة عزة (١) ... مشيع ما تحت الضلوع غشمشما
يليه من الابطال كل غضنفر ... اذا عبس الموت الزؤام تبسما
تراهم ليوثا في الوغى وضياغما ... وفي أُفق النادي بدوراً وأنجما
فمن مبلغ البلغار أنّا الى الوغى ... واخواننا الاتراك نزحف توأما
وأنا جميع العرب والترك إخوة ... عليهم اليهم يبتغون تقدما
وليس يزال العربُ والترك أمة ... حنيفية بيضاء لن تتقسما
وقولوا لهم بانت سعاد فلا يزل ... فؤادكمو دهرا عليها متيما
ستلبث عثمانية رغم أنفكم ... وأنف الالى منا يصيحون لوما
فلا يطمعنكم في أدرنة مطمع ... ولا تفتحوا في شأنها أبداً فما
أدرنة صارت عندنا تِلوَ مكة ... وماء المريج اليوم أشبه زمزما

ومنها:

فيالك من يوم أتى في خُطوبنا ... كشادخة غَرّاء في وجه أدْهما
وكانت بقايا السيف تبكي فأصبحت ... تضاحكهم طُرًّا ملائكة السما
وما زالت الدنيا سرورًا وغُمة ... وما زالت الأيام بُؤسى وأنعُما
عسى كل يوم بعد يوم أدرنة ... يعود على الاسلام عيدا وموسما
وليس على المولى عسيرٌ بأن نرى ... هناء محا ذاك العزاء المقدما

***

ولما أعلن السلطان عبد الحميد الدستور العثماني وعم الفرح في ذلك الوقت جميع الأمة حصل اجتماع كبير في بيروت فتلوت فيه هذه

(١) أحمد عزت باشا الارنأوطي قائد الجيش

القصيدة ذاهبا فيها مذهب من لا يريد أن تكون الحرية مقرونة بالفوضى ومن يغار على مقام الخلافة

ألا يابنى عثمان حسبكم بشرى
لقد جاد رب العرش بالنعمة الكبرى

وقد فزتم ذا اليوم بالغاية التى ... عليها رجال قد قضوا دونكم قهرا
اطلت عليكم بغتة شرد المنى ... تحقق بعث الله مع عسره اليسرا
أتت وحجاب اليأس قد حال دونها ... كما ينشر الديان من سكن القبرا
وكم قد أسأتم من ظنون وقلتم ... مضينا وبعض الظن يحتقب الوزرا
فعن غير وعد بدل الله حالكم ... لتضحى لكم رحمى وتغدو لكم ذكرى
ويعلم أن الله لا رب غيره ... وليس سواه يملك النفع والضرا
أراد تلافي الشرق من عثراته ... فألقى عليه من عنايته سترا
وألهم مولانا الخليفة ظله ... قياما على الدستور في الدولة الغرا
تداركها رمقا باكسير ناظر ... إذا مال نحو الترب صيره تبرا
فنلتم بنعماه حياة جديدة ... غدت بنفوس عند غيركم تشرى
سلاما وبردا نلتموها بلطفه ... وجيرانكم بالسيف هاماتهم تفرى
بكم ظن اشفاقا وفي أرض غيره ... فما أكثر القتلى وما أرخص الاسرى
وحاشا أبا بر الابوة مثله ... يريد بنا ضيما ويرهقنا عسرا
إمام له في كل يوم عوارف ... على الشرق والاسلام لا تقبل الحصرا
تلقاه عصر بالخطوب فلم يزل ... يكافح في آرائه وحده العصرا
أذل عناد النائبات فأسلست ... وأصبح بالتدبير يقتادها قسرا
لنا من نداه الجم في كل حادث ... سحائب في الأقطار قد حكت القطرا

ولو لم يكن إلا الطريق الذي به غدا أمماً شباك طه أبي الزهرا [1]
لكان لعمري كافياً فى ثنائه وأن يبلغ الفخر المؤثل والأجرا
لقد منّ بالنعمى التى جاء وقعها على الخلق وقع الماء من كبد حرّى
وأمة عثمان ازالت بلحظة به بالليالي البيض أيامها السمرا
فيالك بشرى فى مسامع أمة بها قدغدت سكرى ولم تعرف الخمرا
وياللك من أمر به البرق جاءنا فسالت له سحب الدموع من السرا
وياللك من وقت سعيد أظلنا ويوم تبشرنا به يعدل العمرا
فشكراً على النعماء اخواننا الألى لدى تلكم البأساء قد أحسنوا الصبرا
ألا قدروا هذى المكارم قدرها وأدوا عليها من صداقتكم شكرا
فكم قد وقفتم صابرين وكنتم على شاطيء لا تملكون له عبرا
ولا تذكروا ذاك الزمان الذي مضى فقد عاض حلو اليوم من مُرّ ما مرا
لقد طال ليل بالمحبين غاسق فقد نسى الظلماء من شهد الفجر
ولا عذر في التقصير بعد الذي جرى فما فات فرض الصوم من شهد الشهرا
وفدوا أمير المؤمنين بأنفس كفتها إلى عثمان نسبتها فخرا
سيغدو لكم دور جديد بجوده وقبلا أياديه على هامكم تترى
تلقوا لنا العصر الجديد بحكمة فقد جاء عدوا في شبيبته الخضرا
لقد منّ بالشورى عليكم بمقتضى (وشاورهم بالامر) إن تحمل الامرا

وهذه الابيات من قصيدة نظمتها وقت إعلان الدستور العثمانى وقد فقدت القصيدة:

تذكروا مثل الخطاب حين جرى ذاك الخطاب عساها تنفع الذكرُ
إذ ارتقى منبراً يدعو رعيته إذا ترون اعوجاجا بي فلا تذروا
فقيل والله لو أنا نرى عوجا إذاً أقمناه بالاسياف يا عمر
فقال أحمدُ ربى اذ على يدكم باتت تقوم منى البيض والسمر

---

(١) سكة حديد الحجاز

وكتبت هذه القصيدة من ساحة الجهاد فى الجبل الأخضر لأول هجوم إيطاليا على طرابلس الغرب

سراعا بنى أمي بحث ظعونها(١) فما حرك الآلام غير سكونها
ومازال فري الخطب تحت خفافها وشرح صدور الركب فوق متونها
لعمر المعالي ما عدون ديارنا ولا حربت(٢) إلا بطول هدونها
ولا كان ماقد آثرت من فتورها سوى الأصل فيما كابدت من فتونها(٣)
يعافون مورود الصعاب إلى العلا ولا مجد إلا بارتقاء حزونها
فمن يرد الأيام بيضا فلا يكن جزوعا لكرات الليالي بجونها
ركبنا ظهور الصافنات وقد ثوت بأصلابنا فرسان مافى بطونها (٤)
وقلنا لهادينا الفلاة فاننا رجعنا إلى آبائنا وشؤونها
طووا شقق البيداء شرقا ومغربا ألم نك من ماء الأوالي وطينها ؟
وما إن شأى(٥) بالكهرباءة مركب بشاحطة الصحراء مد هجينها
فان يقطع القوم البحار فعندنا مهامه لا تلقى لهم بسفينها
على غير شيء غير أنّا عصابة غضاب لدنيا المسلمين ودينها
تعدوا حدود الصبر حيفاً بأمة غدوا لبداً (٦) فى عزم قطع وتينها
وقد طالما بتنا نغالط أنفسا ونبغي من الأعلاج سل ضغونها
إلى أن تجلى العزم لا حجب دونه وقصر بالأعذار نص مبينها
ولم يبق من مستعجم فى مرادهم بأمة صدق أمعنت في ركونها

---

(١) الظعون بفتح اوله البعير يحمل عليه (٢) أي ماسلبت ملكها الا بفرط سكونها (٣) الوقوع في الفتنة (٤) أي أولادنا فرسان أولادها (٥) شأى سبق (٦) أي اجتمعوا والصق بعضهم ببعض ومنه قوله تعالى في سورة الجن (كادوا يكونون عليه لبدا)

فقلنا عليكم بالسيوف فانها لأفصح من أقلامنا برنينها
فان يخفر الأعداء بيض عهودنا فعند ذمام البيض[1] ردع خؤونها
ألا شد ماقد أصغرت من مقامنا وما اقتحمتنا فى الغزاة لحينها
تناست سريعا ما مضى من بلائنا وأنّا علونا عاليات قرونها
وظنت عروش الشرق مالت وأصبحت كأن لم يكن بين الصفا وحجونها (٢)
وأن زمان الثأر وافى فأوجفت ألا خاب ماقد قدمت من ظنونها
فلم يزل الاسلام غضا[3] بأهله ونيرانه لم تنطفيء بكمونها
وما رقرق القرآن ماء طباعها فهيهات يخشى من نضوب معينها
فلا يغترر قوم بظاهر ليننا فما الصعدة السمراء هونا بلينها
لنا من بنى عثمان كل غضنفر تخر له أبطالهم لذقونها
فلسنا نباهي أن نحرنا سخالها وقبلا صرعنا أسدها في عرينها
فما اضطلعت بالسيف أيدي جنودها وإن مهرت فى الشحذ أيدي قيونها
جحافل فى سيف البحار تخالها من الذعر وُرقا عكّفا في وكونها (٤)
ولولا الجواري المنشآت تمدها من اللج زجت في مفاغر (٥) نونها
لئن جردتها رومة لحصارنا لقد أودعتها عندنا بسجونها

---

(١) البيض الثانية هي السيوف (٢) أصبح مثلا مضروبا أصله قول الجرهمي
كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر
والحجون مكان بمكة بفتح الحاء ناحية البيت . قال الاعشى
فلا أنت من أهل الحجون ولا الصفا ولا لك حق الشرب من ماء زمزم
(٣) الغض الطري الناضر (٤) الورق جمع ورقاء وهي الحمامة يضرب لونها الى الخضرة.
والوكون جمع وكن بفتح فسكون وهو مأوى الطائر (٥) المفاغر جمع مفغر ويقال واسع
مغفر الفم أي فتحة الفم . والنون الحوت

وفي كل يوم وقعة لجيوشها   تضيق بها بطحاؤها بدفينها

لقد طعمت مما جنته وضيعة (١)   تخالط فيها جبنها بجنونها

قد استوقدتها الحرب نار شكوكها   إذ العرب واثتها بثاج يقينها

فدونكمو يا أيها العرب حملة   نزارية فاستبسلوا لزبونها (٢)

وصونوا ذمار الملك شدا فلم تمل   سروج المطايا غير رخو وضينها (٣)

وهذى طلى الطليان تهفو اليكمو   سقوط ثمار الدوح من عن غصونها

ستعلم أطرابلس أننا صحابها   وبرقة لا نرضى لعمري بدونها

وكل ذراع عندنا من ترابها   كخالصة الأعلاق عند ضنينها

سلمت أمير المؤمنين لأمة   محمد طول الدهر نور عيونها

تقيم بها في الحق حكم أميرها   وترعى لها بالرفق عهد أمينها

ومن أمراء الشرق حولك عصبة   سطاك كراسيها وشم حصونها

أعباس يا عضد الخلافة والذي   يضاء به في داجيات دجونها

ويا سيف نصر عاملا في عداتها   وقائمه لما يزل في يمينها

إذا اعتصمت في روعها من محمد   بصاحبها منك اهتدت لمعينها

وإن جهمتها(٣) الحادثات فلم يزل   بعباسها بسام نور جبينها

إذا عالم الاسلام أولاك شكره   فما لذباب بلغة بطنينها

تحن إلى ناديك مهجة غائب   يقطعها في البعد فرط حنينها

فان تك آلت نجدة لقبيلها   فمثلك من يرضى ببر يمينها

ولولا الحقوق الواجبات لما نبت   أماكن من أوطانها بمكينها

تظل الدعاوى في المعالى كثيرة   وما كل باغ وصلها بقرينها

---

(١) الوضيعة الحطيطة (٢) يدفع بعضها بعضا من الكثرة (٣) حزام السرج

(٤) جهمه استقبله بوجه مكفهر

إلى ملتقى الجدين والسيف فاصل ... هنالك يدرى غثها من سمينها
هناك لنا فى جانب الغرب إخوة ... تسومهم البؤسى العدى بفنونها
بكينا لها نحن الالى ما تعودت ... مدامعهم في الخطب بذل مصونها
فان نحن قاررنا على ضيم أهلنا ... فهيهات نرجو العز من بعد هونها
ترى النفس دينا وقفة في صفوفها ... قضاء عن الأرحام بعض ديونها
فما الشام والنيل السعيد ودجلة ... سواها لدى أفراحها وشجونها
ووالله لا أعطي المقاد لظالم ... ولما أرد بالنفس حوض منونها
اذا بات إخواني ببرقة سهداً ... فكيف تنام العين ملء جفونها(١)

(عن مخيم عين منصور في ظاهر درنة أول ربيع الاول سنة ١٣٣٠)

وفي أول حرب طرابلس الغرب واندفاع المصريين بمساعدة إخوانهم الطرابلسيين أقيمت في القاهرة سوق خيرية لشراء أشياء يعود ثمنها إلى المجاهدين والجرحى وفى ذلك الوقت مثلوا في الاوبرا بمصر رواية « صلاح الدين الأيوبي » وتليت قصائد ثلاث إحداها قصيدة لي تلوتها بنفسي، والثانية قصيدة للمرحوم «شوقي» والثالثة قصيدة لشاعر القطرين « خليل مطران » وقد فقدت قصيدتي من بين أوراقي فأمليت منها مالا يزال عالقا بخاطري وهو :

---

(١) هذا الشطر الاخير تضمين أصله للابيوردي في رثائه للقدس يوم فتحها صليبيون فهو يقول :

وكيف تنام العين ملء جفونها ... على هفوات أيقظت كل نائم
وإخواننا بالشام صرعى مقيلهم ... ظهور المذاكى أو بطون القشاعم

ولعل «الهفوات» هنا تصحيف «جفوات» فان الهفوات تستعمل غالبا بمعنى الزلات الخفيفة ولم يكن إهمال بغداد للشام من هذا القبيل

سلا : هل لديهم من حديث لقادم ... عن الغرب[١] يروى فيه غلة هائم
وهل وردتهم عن كريم مقامه ... سمان المعالى في لطاف النسائم
وهل نظروا من نحو برقة موهنا[٢] ... فلاحت لهم منها بروق الصوارم
تألق في ليلى ظلام وقسطل ... فتنشىء سحب الدمع من طرف شائم
مواطن إخوان تملوا من الردى ... كؤوسا تساقوها بملء الحلاقم
دفاعا عن الأوطان إن دفاعها ... لدى كل قوم كان أولى المكارم
تهيبهم فيها العدو مهاجما ... فجاء دبيب اللص في ليل قاتم
ولين في إقباله من إهابه ... وهل يخدع الانسان لين الأراقم؟
فثاروا وما كانت زعانف رومة ... من العرب أكفاء الليوث الضراغم
ونعم سقاة الموت هم كلما بدت ... بروق المواضى في رعود الغماغم
وحسبك منهم كل قوم نمتهمو ... أرومة قحطان ونبعة هاشم
وكم وقفوا يستنصفون عدوهم ... وهزوا من الاملاك جذع المراحم
فلما رأوا عجز الدليل تطلبوا ... لدى الصارم البتار صدق التراجم
فلم يك مثل السيف كاليوم قاضيا ... ولا العهد مثل الآن أحلام حالم
وما طال نوم السيف إلا تنبهت ... عيون الدواهى منه عن جفن نائم
أخلاى سوق المنايا مقامة ... تباع حفافيها غوالى الجماجم
فهل لكمو في سوق بر ورحمة ... تنالون فيها باقيات المغانم
غياثا لمظلوم ونصرا لصارخ ... وضمداً لمجروح وقوتا لصائم
كفى بالهلال الاحمر اليوم هاديا ... لمن حار في ليل من الشك داهم
وأكرم بأم المحسنين[٣] الذي طمى ... جداها كاَّج العيلم المتلاطم

(١) فيه تورية بين الغرب الذي هو الوطن المغربي والغرب الدلو الذي يستلزم الري
(٢) الوهن نصف الليل أو ما بعده
(٣) والدة الخديوي السابق وكانت بذلت بذلا عظيما لمساعدة الجرحى.

سايلة « إلهامى » فمن كل جانب لهـا نسب نحو البحور الخضارم
وأجـدر بقوم أمطرتهم هباتهـا بأن يأملوا قرب انفراج المـآزم
وحاشا بلاداً أنتم عن يمينهـا يُفت باعضاد لهـا ومعاصم
تخيلتها شوقا على بُعـد دارها تصافحكم بالقلب لا بالبراجم
لقد حوصروا برا وبحرا وأُمطروا بحمر المنايا من سواد الغمائم
وقد طالمـا أرهفت حد يراعتى فلما تعالى الخطب عدت لصارمي
أجـل إننـا من أمة عربيـة نـكافح عنهـا عاديات الأعاجم
ولو أنصف الأقوام في حقهم رأوا مؤاساتهم فرضا على كل آدمى

وقبل الحرب العامة بسنة جرى في الاستانة تمثيل رواية « صلاح الدين يوسف الأيوبى » باللغة العربية ، وقبل التمثيل تليت قصائد منها قصيدة للأستاذ الـكبير جميل صدقي بك الزهاوي العراقى مبعوث بغداد يومئذ ، ومنها قصيدة للأستاذ الـكبير فارس بك الخوري السوري مبعوث الشام يومئذ ومنها هذه القصيدة لى . وإني لموصى قراء هـذا الديوان بالتأمل في الأبيات الاخيرة منها التى فيها الـكلام على مصير البلاد الشرقية ليتأملوا كيف تم كل ماقيل :

اذا افتخر الشرق القـديم بسيد تميد بذكراه ابتهاجا محافله
ونُصت موازين الفخار وقد أتى يماتن كلٌّ خصمه ويساجـله
فمن كصلاح الدين تعنو لذكره رؤوس أعاديه ومن ذا يعـادله
يخالط أعمـاق القلوب ولاؤه وتفعل أفعال الشمول شمائله
وأقسم لو في الحي نودي باسمه لدى سنوات المحل لاخضر ماحله
له عاملا حرب ، وسلم ، كلاهما كـفيل باذلال العـدو وقاتله
مهنده في عنق قرن مساور ومنته في عنق خصم يجـامله

وما قتل الحر الابي الذي زكت ... سجاياه كالعفو الذي هو شامله
وما كلَّ يوما عضبه عن كريهة ... ولا مل من حلم ولو مل عامله
تظل طوال الوقت تندى سيوفه ... دماء وتندى جانبيها فواضله
فكم من عدو قد تردى بحربه ... قتيلا وعاشت من نداه أرامله(١)
وفي الحرب قد تخطى مراميه مرة ... وفي كل حال ليس يخطيء نائله
تفيض على بؤس العداة دموعه ... ولم يلف يوما سائل الدمع سائله
كأن الورى كانوا أهاليه جملة ... فمهما يكن من بائس فهو كافله
ومن فهم الانسان في الناس فهمه ... رأى أن كل العالمين عوائله
كذلك من كان التمدن دأبه ... سجية صدق محضة لا تزايله
وليس كمن بات التمدن يدعي ... مقاوله قد كذبتها مفاعله
تعلم أهل الغرب من يوسف العلى ... وإن بهرتهم في التلافي فضائله(٢)
سلوا الشرق عن آثاره في غزاته ... على حين كل الغرب صفا يقابله
مشى الغرب طرا قضه وقضيضه ... وفارسه رام النزال وراجله
مئات ألوف والفرنسيس(٣) وحده ... غدا أمة في الارض ان صال صائله
وريكارد(٤) قلب الليث في كل موقف ... يؤازره في طوله ويماثله
ومن أمة الالمان جيش عرمرم ... يسير به من أبعد الارض عاهله(٥)

---

(١) نعم فتح بيت المقدس بحرب تشيب الاطفال ثم لما ثقف الافرنج اسرى من عليهم وأطعمهم وكساهم وقال لهم : كنت أقدر أن أفعل بكم ما فعلتموه بالمسلمين يوم دخلتم القدس ولكن تأبى شيمي ذلك

(٢) كثير من مؤرخي أوربة المنصفين قالوا إن صلاح الدين بعمله هذا اخجل أوربة أبد الدهر (٣) فيليب اوغست ملك فرنسة (٤) ريكارد قلب الاسد ملك الانجليز (٥) الامبراطور فريدريك بربروس عاهل المانيا

هي الامم الكبرى وما ثم قيصر ... سواها ولم تزحف الينا جحافله
فصادمهم من نجل أيوب وحده ... فتى بهم جمعاً تميل موائله
حليف وفاء لا يضام نزيله ... ولكنه أمسى يضام منازله
له ثقة بالله ليست بغيره ... ومن يرجُ غير الله فالله خاذله
وقال وقد تعي الجبال جموعهم ... ليفعل إلهي اليوم ما هو فاعله (١)
تجمع كرّات بعكا عدوه ... ومن تل كيسان تهد صواهله (٢)
ويصطدم الجمعان حولين كلما ... خبت نار حرب أوقدتها مشاعله
ذرا برجال الشام شُمٍ جيوشهم ... فبادوا كعصف بدّدته مآكله
وسخّر هاتيك المعاقل كلها ... وليست سوى آي الكتاب معاقله
وسل عنه في حطين (٣) يوما عقبقباً ... غداة لواء الحق عُزّز حامله
وعن ملك الافرنج وهو اسيره ... وارناط (٤) إذ تبكي عليه حلائله
هنا انتصف الشرق الاصيل من الذي ... أغار عليه واستطالت طوائله
فهل كان مثل الشام حصناً لامة ... تمشى اليها الغرب تغلي مراجله
ومن قصد الشام الشريف فانه ... ليعرفه قبل التوغل ساحله
فيا وطني لا تترك الحزم لحظةً ... بعصر أحيطت بالزحام مناهله
وكن يقظاً لا تستنم لمكيدة ... ولا لكلام يشبه الحق باطله

---

(١) أتته الكتب من الشمال وهو يقاتل الصليبيين على عكا بأن ٢٠٠ الف زاحفون اليه قد وصلت طلائعهم إلى كيليكية فلم يهن له عزم من شدة توكله على الله

(٢) تل كيسان وتل العياضية إلى الشرق من عكا كان فيهما مخيم صلاح الدين

(٣) عند طبرية وفيها انتصر صلاح الدين في الوقعة الفاصلة وأسر ٣٠ الف افرنجي وقيل ٥٠ الفا والملك الافرنجي غوي وجميع الامراء

(٤) أرناط برنس الكرك الذي كان قذف بالنبي (ص) فنذر صلاح الدين ليقتلنه بيده فلما وقع في اسره تولى قتله بيده

وكيدعلى الاتراك قيل مصوّب ... ولكن لصيد الأمّتين حبائله
تذكر قديم الامر تعلم حديثه ... فكل أخير قد نمتْهُ أوائله
إذا غالت الجلى أخاك فانه ... لقد غالك الامر الذى هو غائله
فليست بغير الاتحاد وسيلةٌ ... لمن عاف أن تغشى عليه منازله
وليس لنا غير الهلال مظلة ... ينال لديها العز من هو آمله
ولو لم يفدنا عبرةً خطب غيرنا ... لهان ولكن عندنا من نسائله
سيعلم قومي أنني لا أغشهم ... ومهما استطال الليل فالصبح واصله(١)

***

ولما كنت في طبرية سنة ١٣٢٠ ذهبت إلى قرية حطين التابعة لطبرية لأجل مشاهدة الموقع الذي دارت فيه رحى معركة حطين الشهيرة بين السلطان صلاح الدين يوسف رحمه الله وجزاه عن الاسلام خيرا وبين الصليبيين. وبعد ان شاهدت حطين ولوبيا وقرون حطين التى جلس عندها السلطان بعد الظفر ولديه ملك الصليبيين ورفاقه وسائر الجيش الافرنجي أسرى نظمت القصيدة الآتية ونشرتها إذ ذاك فى مجلة المقتطف. ثم إنه من سنتين أعادت نشرها جريدة «الفتح» بمناسبة ذكرى وقعة حطين. وعلق الاستاذ ليث كتيبة الكتاب السيد محب الدين الخطيب عليها بعض تفاسير. فنحن ننقلها هنا عن الفتح ونضم شيئا من التفسير زيادة على ماعلقه الاستاذ الخطيب

(١) نعم وقد انتهى الليل وجاء الصبح وظهر اننا ماغششنا قومنا وانما حذرناهم من أن ينخدعوا.

أحسنُ ما فيه يسرح النظر ... وادٍ بحيث الاردنُ ينفجر (١)
غارت عليه النجود من شغف ... فالغور ما بينهن منحصر (٢)
قامت على الجانبين تخفره ... كذلك الحسن شأنه الخَفَر (٣)
مبتدئ الجرى في الشمال لدى ... شيخ له الكِبْر بات والكِبَر (٤)
هاو إلى الموت في الجنوب لدى ... بحر ولا كالبحار يُحتضر (٥)
ومن يعم البياض لِمَّتَهُ ... فهل سوى الموت بات ينتظرُ؟

***

ياشرق هونين (٦) كم لديك جرى ... معين ماء حصباؤه دُرَرُ

---

(١) الاردن (ويسمى نهر الشريعة) ينبع من سفوح جبل الشيخ في الشمال ويتكون من (الحاصباني) و (بانياس) و (اللدان) ويخترق بحيرة الحولة وبحيرة طبرية ووادي الغور وينضم اليه نهر (اليرموك) و (الزرقا) و (حسبان) ثم ينصب في البحر الميت. وبه تنفصل فلسطين عن شرقي الاردن. وطول الارض التي يمر بها من بحيرة طبرية الى البحر الميت ١٠٤ كيلو مترات ومن منبعه الى مصبه ١٧٠ كيلو مترا وطول مجراه بمنعرجاته ٤٠٠ كيلو متر

(٢) هو غور بيسان في جنوب طبرية بينها وبين نابلس

(٣) تخفره أي تحرسه أما الخفر الثانية فهي الحياء (ش)

(٤) إشارة إلى جبل الشيخ الذي ينبع الاردن من سفوحه وسمي جبل الشيخ لان قمته متوجة بالثلوج صيفا وشتاء، وهذا الجبل على ٥٠ كيلو مترا من دمشق جنوبا وارتفاعه ٢٨٣٩ عن سطح البحر

(٥) يشير الى البحر الميت الذي ينصب فيه نهر الاردن ويسمى (بحيرة لوط) وقد يعجب المرء كيف ينصب الاردن في بحيرة صغيرة ولا تفيض وسر ذلك أنه يتبخر من ينابيعها كل يوم ستة ملايين طن على ما يقال، ونهر الاردن يغذي البحيرة يوميا بمثل هذه الكمية من المياه

(٦) جبل هونين هو الجبل الذي الى الغرب من غور الحولة (ش)

الشطرُ تلُّ القاضي (١) يسلسله — والشطر من بانياس ينحدر (٢)

والحاصباني بات إثرهما — يشتد في الجري ليس يصطبر (٣)

يملأ منها الأردن بركته — ويزدهي مرج حوله الخضرُ

حيث وَشيجُ اليراع مشتبكٌ — كأنما الخطُّ ثم والسَّمُرُ (٤)

حيث نموّ النبات معجزة — كأنما سوق قمحه الشجر

والصيد ما إن يزال عن كثب — لا كِنٌّ من دونه ولا قتر (٥)

بحيرة لم يرِم (٦) بساحتها — ضاق بها أن تقله الصغَرُ

يمم أخرى ورام ثالثة — لقد ترامت به نوى شُطر (٧)

أمّن جسر البنات معبره — وربما خاض دونه الجسر (٨)

حتى إذا فاض من هناك غدت — أرض البطيحاء منه تزدهر

أرض علت ماؤه مناكبها — وبات منها في البحر ينفغر

أقبل يرغى وما به قَطِمٌ (٩) — وظل يعدو وما به بَطرُ

---

(١) منبع من منابع الشريعة (٢) بانياس مدينة قديمة في كعب جبل الشيخ ينبع عندها القسم الآخر من الشريعة (ش)

(٣) في هذا البيت والبيتين قبله أسماء مياه وأماكن بين جبل عامل غربا والجولان شرقا وجبل الشيخ شمالا وبحيرة الحولة جنوبا وهي بقعة من أخصب بقاع الارض وأجملها

(٤) الخط مكان في البحرين تباع فيه الرماح الخطية والسمر بفتح فضم شجر من العضاه في غاية القوة

(٥) الكن الستر والقتر جمع قترة وهي ناموس الصائد

(٦) أي لم يتوقف بها لصغرها وهي بركة الحولة

(٧) نوى شطر بضمتين: بعيدة (٨) الجسر الاولى جسر بنات يعقوب والجسر الثانية جمع جسور (٩) القطم اشتهاء اللحم وهو إشارة إلى قول المتنبي عن بحيرة طبرية:

والموج مثل الفحول مزبدة — تهدر فيها وما بها قطم — (ش)

حتى إذا ما مياهه اختلطت … به تولاه بغتة سكر
من بعد تلك الحياة بات به … ميتاً وفي البحر يغرق النهر

*
* *

بحر الجليل الذي شواطئه … في كل شبر من رحبها أثر (١)
غذا دماءَ المسيح مورده … وراقه منه ريقه النضر
وبين أمواجه وأربعه … كانت تجلى آياته الكبَر
كم فيه للكاتبين من سِير … وكم نبيين فيه تُذّكر
عيسى حواريه وصفوته … والناس من حول وعظه زُمَر
والصائدون الالى له اتبعوا … هدى وذاك الشراع منتشر
وكفر ناحوم مع عجائبها … ومن بها آمنوا ومن كفروا
والمجدل القرية التى نشأت … مريم منها والطيب منتشر
والزهد فيه الافراح قد دمجت (٢) … والفقر معه البيان والفقر
والخبز تقرى الالوف كسرته … والمشى فوق المياه مشتهر
والقول هذى الفتاة نائمة … والبكر عزريل نحوها بكر
ولم نبتْ بالسفين عاصفة … وظن أن الركاب قد غبروا
فسكن البحر وهو مضطرب … من بعد مااستصرخوا وماجأروا
سجا (٣) بايماءة له ونجا … من حملته الالواح والدسر

---

(١) بحر الجليل هو بحيرة طبرية والارض الممتدة منها الى حيفا تسمى أرض الجليل تتوسطها الناصرة التي ولد سيدنا عيسي فيها ونسب اليها النصارى

(٢) دمج في الشيء دخل فيه (ش) (٣) سجا سكن ومنه قوله تعالى (والليل اذا سجا) وقد سردنا هنا معجزات سيدنا عيسى عليه السلام حسبما هي في الانجيل (ش)

في ضفتي هذه البحيرة لو تبحر الفكر حارت الفكر
كم خبأ الدهر في جوانبها وكم رمى فوق موجها القدر
ما الابحر السبع من نتائجها ما الروم ما الهند ثم ما الخزر
وقوم موسى لهم بساحتها مركع صدق وأدمع غزر
في طبريا مواقف حمدت وارضها مقدس ومغتفر
بها رجال التلمود قد سكنوا وجل آرائهم بها زبروا
وكم نبي في ذي البلاد قفا موسى وكم مرّ ههنا الخضر
يكفيك ما في الاردن من عبر نهر عليه آباؤهم عبروا
وان يحي [1] على شواطئه بين يديه الانام تطّهر
ما القنج ما النيل في جوانبه ما دجلة ما الفرات يعتبر
والغور بين البحرين منبسط تسرح فيه الجآذر العُفر
لو طبقته أيدي الورى عملا على فلسطين فاضت المِيَرُ
قد كان والماء غابراً شرعا والآن ما إن يكاد ينحسر
بحيرة كل شأنها عجب وهي من الحسن كلها غرر
لله در الكندي واصفها كأنها في نهارها قمر (٢)
كانت تحفّ الجنان دورتها والآن تحتفّ دورها السّدَر (٣)

---

(١) يحي هو الذي يسميه النصارى يوحنا المعمدان كان يعمد بماء الاردن

(٢) قال المتنبي في وصف هذه البحيرة :

كأنها في نهارها قمر حفت به من جنانها ظلم

(٣) ليس حول هذه البحيرة اليوم جنان وانما حولها كثير من شجر السدر والسدر بكسر ففتح جمع سدرة ﴿ش﴾

مرآة نورٍ من السفوح لها ... إطار نورٍ لم تحكه الأطرُ (١)
كأنها في صفائها فلك ... وفلكها فيه أنجم زهر
أجمد بقوم رأوا محاسنها ... يوما فما أنشدوا ولا شعروا
عند الشمال الاردن واردها ... وفي جنوبيّها له صدر
شريعة من مياهها ظهرت ... وقد تلتها شرائع أخر (٢)
علّم عيسى هنا شريعته ... وقوم موسى توراتهم فسروا
وفي حروب الصليب قد رفعت ... أعلام دين الذى نمت مضر

***

يا يوم حطين كم حططت من الا
فرنج شأنا ما كان ينكسر
هبّوا من الغرب كالجراد فلم ... يكن لشرقٍ بردهم قُدَرُ
واستفتحوا القدس والبلاد ولم ... يعص عليهم بدو ولا حضر
وهددوا المسجد الحرام وكم ... دعا ملبٍ فيه ومعتمر
وكاد يبكى الميزاب فيه دما ... ورقّ مما أصابنا الحجر
ونابت المسلمين داهية ... دهماء قد عمهم بها الذعر
فكل كفٍّ أصابها شلل ... وكل عزم أصابه خور

---

(١) المتنبي يقول :

فهي كماوية مطوقة ... جرد عنها غشاؤها الادم

وقولي مرآة نور بضم النون واطار نور بفتحها أي ان البحيرة مرآة نور بصفاء مائها وقد أحيطت باطار من الزهر (ش)

(٢) ينحدر الى الشريعة أي الاردن نهر اليرموك ويقال له شريعة حوران وأنهر اخر (ش)

وكل جمع ناواهم انقلبت ... فرسانه وهي للظّبى جزر (١)

وحوصرت جلّق ولو أخذت ... لم تبق مدن لنا ولا مدر (٢)

وقيل دار الاسلام قد حصرت ... وحف باقي بلاده الخطر

ما زال ملء القلوب رعبهم ... ولم يكن نافعا لها الحذر

حتى تولى زنكي (٣) فنازلهم ... وكان من شيركو (٤) له وزر

طليعة النصر في ولاية نو ... ر الدين (٥) ملك بالعدل يأتزر

مجاهد ماهد بخطته ... في الفتح والعدل سارت السير

تُقر عين النبي سيرته ... ويرتضى مثل هديه عمر

ثم ابن أيوب (٦) جاءه خلفا ... وليس إلا سرزجه سرر

مهّد دار المعز (٧) فانقلبت ... بيوسف مصر وهي تفتخر

لما استقامت له الامور ولم ... يبق رقيب وانجابت الغمر

أقبل في جحفل له لجب ... يطلب ثأر الدين الذي وتروا

بفتية سمرهم إذا عشقوا ... سمر صعادٍ وبيضهم بتر

غير طعان النحور ما عرفوا ... وغير جرد الخيول ما زجروا (٨)

أناخ في شاطيء البحيرة إذ ... اليه عن كل ناجذ كشروا

---

(١) جزر السباع اللحم الذي تأكله قال: جزر السباع وكل نسر قشعم

(٢) جلق: دمشق وحاصرها الصليبيون وعجزوا عنها (٣) هو عماد الدين زنكي والد الملك نور الدين (٤) أبو الحارث شيركوه بن شادي بن مروان أسد الدين عم السلطان صلاح الدين (٥) أي الذي من ملوك الاسلام بدأ بقهر الصليبيين هو نور الدين زنكي (٦) هو السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادي

(٧) أي القاهرة المعزية

(٨) اشارة إلى قول المعري:

يا ابن الألى غير زجر الخيل ما عرفوا ... إذ تعرف الناس زجر الشاء والعكر (ش)

فقام من أرضه لصدمهم في السهل من لوبياء واشتجروا (١)

***

يوم تلاقى الجمعان والتظت الـهيجاء حتى كأنها سقر
يوم تلاقى الجمعان وانتصب المـيزان رهن انحرافه الظفر

الشرق والغرب بعد طول وغى تواقفا والـبراز مختصر
ثلاثةً والنزال بينهما نزال من بعـد يومه العُصر
فأمطرتهم قسيُّ جيش صلا ح الدين نبلا من دونه المطر (٢)
ودوا وقد أبصروه عارضهم لو سترتهم من دونه حفر
كأنما قومنا وقد ثبتوا شم حصون لها القنا جدر
كأنما قومنا وقد وثبوا زعازع للغصون تهتصر
ذاق العدا من سلاف طعنهم كأسا بغير العنقود تختمر
لما بدا الأمر غير ما حسبوا والناس من فوق صبرهم صبروا
ولوا ظبي يوسف ظهورهم تأخذ منها فوق الذى تذر
ضياغم أجفلوا وقد نظروا حمر المنايا كأنهم حمر (٣)
وأدبر القمص (٤) مع فوارسه ما غره مثل غيره الغرر
لا عجب أن نجا وحيط به عادة ذي الارض نشر من قبروا
مالوا لحطين طالبين نجا فلم يفدهم ضلع ولا دبر (٥)

---

(١) لوبياء قرية غربي طبرية وقبلي حطين (ش)

(٢) النشاب سد الافق ذلك النهار (ش) (٣) الحمر الاولى جمع أحمر والحمر الثانية جمع حمار الوحش (٤) القمص: كونت طرابلس، فر يومئذ بسبعين فارسا قبل نهاية القتال (ش)

(٥) أي لم يفدهم لا ميل ولا فرار

وأسفر السبت عن هزيمتهم — وأصبح الملك(١) ضمن من أُسروا
وفوق ذاك الصعيد نائمهم — كأنه النخل وهو منقعر
والهيكليون (٢) من قساورهم — لم يبق إلا هيا كل دثر
لم يجبنوا ساعة وإن خذلوا — وانما الليث دونه النمر
في حضرة من شعيب قد شعبوا — كذا لهم عن مزاره زور (٣)
فأزلفوا نحو يوسف خضعاً — رقابهم، ناكسا لهم بصر
ترهقهم ذلة وتحسبهم — قوما سكارى كأنهم حشروا
يوسف عصرٍ صلاحُ مملكة — بكل أمر للبر مؤتمر
أصبح مستحييا دماءهم — حياؤه والخلائق الزهر
أبى عليه الاباء مصرعهم — وعف إذ عفّ وهو مقتدر
عفواً به عمهم وأخرج من — بنكثه السهل ضاق والوعر
وفى بأرناط نذره بيد — إذ طالما لم تحكْ به النذر (٤)
وقال إذ تلّه بصارمه: — هاأنا ذا للنبي أنتصر (٥)
أزوجَ بين التهليل مهجته — مخضوبة صارما هو الذكر
فأصبح المُلك وهو مرتجف — ما شك أن بالحسام يبتدر

(١) الملك غوي ملك القدس (٢) هم الذين كان يقال لهم «التامبليه» وكان لهم نظام خاص وقاموا بدور عظيم في الحروب الصليبية (ش) (٣) قبر شعيب في قرية اسمها الخيارة بجوار حطين (٤) أرناط كان فرعون الصليبيين وكان ملك الكرك والشوبك في شرق الاردن وانما قتله صلاح الدين بيده لانه اطال لسانه بحق النبي صلى الله عليه وسلم وكان كثير الغدر عظيم الجرائم

(٥) كان صلاح الدين استتاب البرنس ارناط مراراً وكل مرة ينكث الى أن أسر الحجاج وحبسهم في قلعة الكرك وقال لهم ادعوا محمدا يخلصكم. فاستحلف المسلمون صلاح الدين بأن لا يعفو عنه إذا وقع، فلما وقع في حطين قال له صلاح الدين: أنا أقتص منك لمحمد، وقتله بيده (ش)

أبصر جسم البرنس منعفراً(١) فقال إثْرَ البرنس أقتفر

فأفرخ الروع منه ساعة إذ بُشِّر أن لن يصيبه ضرر(٢)

عوقب بالأسر موقن بردى وجلّ ملكا مع العمى العور

***

قاصمة الظهر للفرنج غدت وقعة قرْنى حطين مذ ظهروا

كأن عليا حطين مبتدأ وكل فتح من بعدها خبر

حظ ابن أيوب أن يفوز بها والله من خلقه له أُثر

وحظ جيش ابى النداء غدت فى اللوح مكتوبة له الأجر

قوم أراحوا الاقوام إذ تعبوا وقد أناموا الانام إذ سهروا

بهم جدود الاسلام قد صعدت من بعد ما كان أهله عثروا

ولابن شاذى ذكر شذاه سرى فى كل قطر كأنه القطر (٣)

قام بوجه الفرنج منفرداً والقوم من كل أمة جمروا (٤)

حتى استرد البلاد أكثرها وأصبح القدس دان والصخر

كانت مئات الحصون تعصمهم منيعة إذ ثغورنا ثغر

من كل حصن أماط عزّتهم بالسيف لم يمش نحوهم خمر (٥)

واستعصمت صور في معاقلها وكل طرف به لها صور

---

(١) انعفر في التراب تمرغ (٢) عند ما رأى الملك غوى مصرع ارناط اعتقد أن الدور سيصل اليه فارتجف فسكن صلاح الدين روعه وأخبره بأنه ماقتل ارناط الا بعد نذر نذره لكثرة نكثه وغدره (ش) (٣) العود يتبخر به (٤) لم يكن في وجه الصليبيين إلا صلاح الدين برجال الشام والجزيرة الفراتية ومصر والحال أن الفرنسيس والانجليز والالمان والطليان وغيرهم كانوا ابداً على المسلمين في تلك الحروب (ش) (٥) مشى إليه الخمر محركة أي متواريا (ش)

من فرط ما عمهم برأفته ... وفَلته فلهم وقد كثروا (١)

فامتنعوا كلهم بعقوتها ... فهي لهم ملجأ ومعتصر

ان عيب بالحلم والوفا بطل ... فانه خير ما هفا البشر

ماشانَ طول الاناة في رجل ... إن لم يكن شان باعه القِصر

قد كان في رقةٍ وفي جلدٍ ... كالسيف في ماء حدّه الشرر

جمرة بأسٍ ماشابها وهلٌ ... غمرة حلم ما شابها كدر

ما كان يدرى من الوغى ضجراً ... والكل في الجانبين تدضجروا

حتى يميط العوار أجمعه ... ماهان من كان همّه العسر

أدنى دار الاسلام بعد عنا ... كذلك الشهد دونه الابَر

لم يلهه عن ثغور مملكة ... ثغر ولا ناظر به حور

وكان من حرمة العدو له ... أن ذكره في بلادهم عِطر (٢)

تغدو عظام الملوك (٣) واقفةً ... ببابه وهو أعظم نخر

وينحنى حاسرا بتربته ... رأس بأعلى التيجان معتجر (٤)

شهادة منهم لخصمهم ... والحق كالشمس ليس يستتر

والفضل يحيا من بعد صاحبه ... والذكر يبقى ولو عدت غِير

ونحن من بعد كل ذاك وذا ... لم يبق إلا الحديث والسمر!

---

(١) عفا صلاح الدين عن عشرات ألوف من أسرى الصليبيين من حبه بالعفو فتجمعوا في صور وكثرت جموعهم فأصبح لا يقدر على أخذها مع أنه كان استرد أكثر البلاد ثم عادوا فزحفوا منها إلى عكا واخذوها بعد حرب استمرت سنتين وهي الصليبية الثالثة ، وفلته مثل أفلته (ش) (٢) لا يذكر صلاح الدين في جميع أوربة الا مقرونا ذكره بالاجلال (٣) اشارة الى زيارة القيصر ويلهم الثاني عاهل المانيا لمرقده في دمشق ووضعه تاجا عليه ولما دخل الامبراطور الى مقام صلاح الدين دخل حاسراً عن رأسه وانحنى أمام القبر حرمة وتعظيما (ش) (٤) أصل الاعتجار للعمامة ولكننا أجرينا التاج هنا مجراها (ش)

ذكرى الاندلس

نظمتها لما شاهدت مسجد قرطبة في سياحتي الى الاندلس سنة ١٩٣٠

لك الله ان شئت الصبوح فبكّر ... بكأس دهاق من حُميّا التذكر
وَغنِّ على ذكرى الليالي التي خلت ... قصائد أن تُنْشَدْ على الميت ينشر
فقد تعجب الذكرى ولو لفجيعة ... ويشفي أُوار الصدر فرط التحسر
ولولا المراثي والمآقي وراءها ... لافنى الورى حر الأسى المتسعر
تقضت لبانات الرجال من الجوى ... بتذكار ماض أو إثارة مضمر
لعمرك لا يرجى لنشأة مقبل ... ومستقبل من لم يفكر بمدبر
وما هذه الدنيا سوى متقدم ... يكرر تجديدا على متأخر
أدرها ترد الرشد في عقل ذاهب ... وتذهب عقل الراشد المتبصر
وتحيي لنا عهدا يصوب عهاده ... منازل قلب من هوى الذكر مقفر

***

وكائنة لم يعرف الدهر أختها ... ولا حدثت عن مثلها كتب مخبر
يكاد الذي يقرا غريب حديثها ... يظن خيالا أو أحاديث مفتر
يقولون كانت أمة عربية ... بأندلس سادت بها جم أعصر
وقد عمرت أقطار أندلس بهم ... فكم بلد فخم ومصر ممصر
وكم أربع خضر وحرث مطبّقٍ ... وفاكهة رغد وزهر منور
وكم قائد قرم وجند مدرب ... وكم سائس فحل وأمر مدبّر
وكم بطل ان ثار نقع رأيته ... يبيع بأسواق المنايا ويشترى
وما شئت من علم ورأي وحكمة ... ودرس وتحقيق وقول محرر
الى شمم جم ومجد مؤثل ... وفي عزة قعسا وَوفرٍ موفرِ

نعم كان فيها من نزار ويعرب جموع تخيل الارض في يوم محشر

فراحت كان لم تغن بالامس وانقضى لهم كل ركز غير ذكر معطر

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس ولم يسمر هناك ويُسهر

كأن لم تكن فى أرض اندلس لنا جحافل إن تحمل على الدهر يذعر

فماذا الذي أخنى عليها وما الذي رماها بهذا الخسف بعد التصدر

إذا أعمل المرء البصيرة لم يجد لها علة غير الخلاف المتبِّر (١)

خلافان هذا بين قيس ويعرب(٢) مقيم وهذا بين عرب وبربر (٣)

ولا شر يحكى شر حرب اذا التقت صناديد قيس مع غطاريف حمير

***

عمرك لو لا الخلف لم يك مشرق ولا مغرب يعصى عليهم ويجترى

لقد عصفت في شقة الغرب ريحهم فسادت ولكن لم تكن ريح صرصر

فقد أثّلوا فى أرضها مدنية ترى الخصم فى عليائها ليس يمترى

وسووا جميع العالمين بعدلهم ومن يتمسك بالسوية يعمر

ولا عارضوا في دينه غير مسلم(٤) ولا عاملوا أهل الكتاب بمنكر

ولا نصبوا ديوان تفتيشهم على عقائد أقوام بجوس ويفترى (٥)

ولا أحرقوا بالنار من قيل إنه على صلة مع دينه بالتستر

---

(١) تبر اهلك ودمر ومنه قوله تعالى (وليتبروا ماعلوا تتبيرا) (٢) الحروب بين المضرية واليمنية لم تكن تنقطع، وكان العدو يستفيد منها كلها (٣) اول فتنة بين العرب والبربر كانت السبب في ذهاب شمالي الاندلس ثم جاءت فتنة قرطبة بين الفريقين فكانت هي مبدأ الانهيار (٤) يعترف الافرنج ان مسلمي الاندلس ايام سلطانهم تركوا للنصارى واليهود حريتهم الدينية على الوجه الاكمل

(٥) ديوان التفتيش الذي نصبته الكنيسة الكاثوليكية على المسلمين الذين اكرهوا على التنصر وكانوا يحرقون من اشتبه فيه انه كان باقيا في الباطن على اسلامه

بذلك هاتيك الممالك أصبحت ... مثالا قويماً للعلى والتحضر
وقد صار نهر الرون(١) ثغر بلادهم ... وكم صبغوه فى الجهاد بأحمر
وشكوا الواهم في ذرى قرقشنة (٢) ... وسلوا على نربونة(٣) كل أبتر
ودانت لهم صيد الجلالقة «٤» الالى ... بلى منهم الرومان كل غضنفر
ولم يقف البشكنس(٥) فى وجه زحفهم ... ولا أوطأوا الجرمان ثغرة معور
وان يك لاقى الغافقي(٦) حمامه ... ومحص في يوم البلاط المقدر
فقد لبثت من بعد ذاك جيوشهم ... تعرض دهراً للفرنج وتنبرى
يقول الالى قد شاهدوا غزواتهم ... هم العرب فوق الخيل أم جن عبقر
وصقر قريش(٧) حين جاء مشردا ... فانشب فيهم أى ظفر مظفر
وشاد بها تيك القواصى امارة ... لها أجفل المنصور والد جعفر
وخلف أملاكا سموا وخلائقا ... أسود عرين منهم كل مخدر
كفى بالامام الناصر(٨) الفذ عاهلا ... كسى أمة الاسلام حلة مفخر
تقبل أملاك الفرنجة كفه ... ويقصد عالي بابه وفد قيصر(٩)
غداة تجلى للخلافة رونق ... به ظهر الاسلام أروع مظهر
وأضحت بها الزهرا تميد جموعها ... فيالك من يوم أغر مشهر
تلعثم فيه كل رب فصاحة ... فعيوا سوى قاضى الجماعة(١٠) منذر
ولا تهمل المستنصر(١١) الحكم الذى ... تلاه ومن يستنصر الله ينصر

---

(١) النهر الذي يخرج من سويسرة ويشق فرنسة وينصب عند مرسيلية (٢) مدينة محصنة في جنوبى فرنسة استولى عليها العرب ٤٨ سنة (٣) العرب يسمون نربونة اربونة وكانت مركز قوتهم في جنوبى فرنسة (٤) اهل جليقية في شمالي اسبانية

(٥) الجيل الذين منهم في اسبانية وفرنسة، ويقال لهم الباسك (٦) عبد الرحمن الغافقي قائد العرب في وقعة بواتيه الشهيرة والعرب يسمونها بلاط الشهداء

(٧) عبد الرحمن الداخل الاموي (٨) عبد الرحمن الناصر (٩) يوم جاءه وفد صاحب القسطنطينية (١٠) منذر بن سعيد البلوطي (١١) الخليفة المستنصر بن الناصر

غدت قبة الاسلام قرطبة العلى ... وسارقت الزوراء لحظة أزور
وبارى بنى العباس فيها أمية ... وجروا على بغداد ذيل التبختر
وكان بها العمران يزخر مثلما ... تلاطم أمواج الخضم المهدر
ولما رأيت المسجد الجامع الذى ... بقرطبة من فوق فوق التصور
عضضت على كفي بكل نواجذى ... وقلت لعينى اليوم دورك فاهرى
هو الجامع الطامي العباب بوقته ... يحاكى به عمّاره لجّ أبحر
ظللت به بين الاساطين سائحا ... بفكرى حتى غاب عنى محضرى
تخيلته والذكر يتلى خلاله ... نظير دوى النحل من كل مصدر
تأمل خليلي كم هنا من مهلل ... إلى ربه صلى وكم من مكبر
وكم أزهرت فيه ألوف مصابح ... وكم أوقدت أرطال عود وعنبر
وكم قارىء بالسبع في وسط حلقة ... وكم خاطب بالسجع من فوق منبر
وكم عالم يلقى على الجمع درسه ... وكم واعظ يمرى (١) مدامع محجر
وكم ملك ضخم وكم من خليفة ... هنا كان يجثو عن جبين معفر
تسد فجاج المغربين جيوشه ... ويبدو هنا في ثوب أشعث أغبر (٢)
خليلي تأمل كالعرائس تنجلى ... أساطين قد تحصى بألف وأكثر
أساطين من صم الجماد مواثل ... يذوب لها قلب الحنيف المفكر
تراها صفوفا قائمات كأنها ... حدائق نُصّت من جمادٍ مشجر
من العمد الأسنى (٣) فكل يتيمة ... لها نسب من مقطعٍ متخير
أجادت تحريها قروم أمية ... معادن شتى من فلزٍّ (٤) ومرمر
نبت دونها زرق الفؤوس وأصبحت ... لدى الفرى تهزا بالحديد المعصفر

---

(١) مرى الضرع استدره (٢) كان الخليفة الناصر قد يأتي إلى المسجد بثوب خلق تواضعا منه لله تعالى (٣) العماد ما يعمد به وجمعه عمد بضمتين وعمد محركة اسم الجمع (٤) الفلز بتشديد آخره هو الحجارة وقيل هو اسم جامع لجواهر الارض

ولكن لفضل الفن ألقت قيادها فصالت بها الصناع صولة عنتر

فبينا هى الصم الصلاد إذ انثنت مقاطع جبن أو قوالب سكر

عرائس للتخريم فوق رؤوسها أكاليل در في قلائد جوهر

ووجه إلى المحراب طرفك ينسرح من الصخر في مثل الطراز المحبر

وحدق بهاتيك النقوش وزهوها كأن فاتها صناعها منذ أشهر

وبالقبة العلياء يبدو شعاعها بألمع من زهر النجوم وأزهر

لو ان الثريا في سماها تعرضت لظلت تحدى للثريا وتزدرى

أقول لخصم يبخس العرب حقهم أجاحد نور الشمس دونك فانظر

وياسائحا يبغي مآثر قومه وينشدها في كل سهل وموعر

تطوف فلا تلقاك غير بدائع يميل لديها كل عطف مخصر

تطلع فلا تلقاك غير روائع لها الليث ير نو عن لواحظ جؤذر (١)

خليلي فما فحص السرادق (٢) نائيا وهذا براس الطور حصن المدور (٣)

وهذى رسوم للمنيف (٤) ومؤنس وقصر السرور (٥) الدارس المتبعثر

وكان هنا قصر الدمشق (٦) وأنه يطاول عليا بعلبك وتدمر

وزاهرة المنصور (٧) لاشك جنة تمد من الوادى الكبير بكوثر

وسائل عن المنصور نجل ابن عامر يجاوبك عنه كل قوس موتر

غزا في العدى ستا وخمسين غزوة وآض بها طرا بنصر مؤزر

---

(١) اي مهما قسا الانسان فلا بد له من أن برق لتلك المناظر

(٢) فحص السرادق هو من أشهر ضواحي قرطبة (٣) المدور حصن من عمل قرطبة يمر حذاءه قطار الحديد

(٤) من قصور قرطبة (٥) والمؤنس ودار السرور هما أيضا من قصور قرطبة

(٦) والدمشق هو أيضا من قصور قرطبة (٧) وكان للمنصور بن أبي عامر قصر اسمه الزاهرة قلد به عبد الرحمن الناصر في الزهراء

خليلي وعرج بالبهور «١» فانه ... تقطع عن أمثاله كل (٢) أبهر
وهذي التي كانت تسمى شقندة «٣» ... وتدخل في التخطيط ضمن المسور
وفيها جرى ذاك العراك الذي جرى ... وروى ثراها بالدم المتفجر
وقائع قيس واليماني وكلها ... مصائب إن تذكر لنا نتفطر
وزر ضفة الوادي الكبير وسح بها ... وعرج على الجسر الطويل المقنطر
وهذي الطواحين الشهيرة لم تزل ... كأن تركوها أمس لم تتغير
قصور نبا عنها قصور مشيد ... وعلياء لم تعلم مشيد مقصر
وأفنية تحكي الجنان نضارة ... وأقنية تجرى على كل أخضر
وشم حصون لا تعد ودونها ... مقاصف إن تذكر تهز وتسكر
على همم دلت لهم وقرائح ... ويعرف بالآثار قدر المؤثر
فأخ على تلك المحاسن كلها ... غرامهم بالانقسام المشطر
محا الخلف من أوضاعهم كل نافع ... وصوح من أعمالهم كل مثمر
ولم يستفيدوا من تقاطع بينهم ... سوى عيش ذل تحت نقمة موتر
إذا آنسوا أدنى بصيص لثورة ... تداعوا لها كالماء عند التحدر
فكل الذي قد شيدوه بحزمهم ... أضاعوه حقا بالشقاق المدمر
ولم يبق في هذي الديار لنا سوى ... ممالك فكر من حروف وأسطر
ممالك لا تقوى عليها كتائب ... ولا سالب تاريخها زحف عسكر
إذا حضرت آثار قومي وإن خلوا ... فاني منها في قبيل ومعشر
وأشعر أني في بلادي كأنما ... تخاطبني الارواح من كل مقبر
وأني أرى بالعين مالم أكن أرى ... حقيقته في وصف طرس ومزبر
لعل الذي قد كان منه بوارنا ... يعود علينا خير وعظ ومزجر

---

(١) اسم قصر من قصور قرطبة (٢) عرق إذا انقطع مات صاحبه
(٣) حي من أحياء قرطبة جرت فيه معركة مشهورة بين المضرية والقحطانية

وفى أثناء الحرب العامة جاء وفد تركى مؤلف من بضعة عشر شخصا من مبعوثى مجلس الامة ومن أدباء الاتراك وكتابهم وذلك الى سورية لاجل إحكام علاقات الاتحاد بين العرب والترك وتلافى ماقام به جمال باشا من الاعمال التى أثارت العرب فأقيمت لهم حفلات كثيرة في حلب والشام والقدس وغيرها واقترح علينا والى الشام اذ ذاك تحسين بك أن ننظم أبياتا تتلى في المأدبة العظيمة التى أدبوها لهم في دمشق . فنظمنا قصيدة تلوناها فى الجمع وهي أيضا من جملة القصائد المفقودة من بين أوراقنا ولا يزال منها فى خاطرنا الابيات التالية :

قف بين مُشتبك الاغصان والعذب
بأرض جَيرون (١) ذات السلسل العذب
بربوة في حفافيهـــا المَعين جرى
بجؤجؤ الباز حيث الصَّيد عن كثب

واهتف بساكنها أن ينثنوا طربا ... إن الكريم عليه هزة الطرب

ومنها :

في ساحة المسجد الاقصى يقال لهم ... أهلا وفي عَتَبات المصطفى العربي
لو أنصفتهم ديار الشام قاطبةً ... صفقن بالكف من مصر إلى حلب

ومنها في خطاب الاتراك العثمانيين :

أحبكم حبَّ من يسعى لطيَّته ... في طاعة العَقل لا في طاعة الغَضب
أحبكم حب من يدري مواقفكم ... فى خدمة الدين والاسلام من حقب
ومذ تقلدتمو أمر الخلافة قد ... آويتمو من بينها كل مغترب
لقد ضربتم لعمرى فى حياطتها ... بكل سيف رهيب الحدذي شطب
فكل غر يماري في فضائلكم ... لا يعرف الحشف البالى من الرطب
مهما يكن من هنَات بيننا فلنا ... معكم على الدهر عهد غير منقضب
كفى الشهادة (٢) فيما بيننا نسبا ... إن لم تكن جمعتنا وحدة النسب
مجدي بعثمان حامى ملتى وأنا ... لم أنس قحطان أصلى في الورى وأبي

(١) باب من أبواب دمشق وقد يطلق على البلدة (٢) أي كلمة لا إله إلا الله

ولي تهنئة لاحد عيون أعيان المغرب بزفافه المبارك

اهنأ ابا العباس بالفرح الذي ... حلت ملائكة الرضى بحفافه
فرح به التوفيق يسحب ذيله ... ويهز فيه السعد من أعطافه
ياطالما ارتقب الأنام هلاله ... لينير ليل الهم من أسدافه
حرصاً على ثمرات غصن ناضر ... هو نخبة ويراد من أخلافه
فالآن قد وافاهم النبأ الذي ... طربت قلوبهم بحسو سلافه
هذا هداء فتى يقل نظيره ... فى الدهر ان نجنح إلى انصافه
بذ الشيوخ ولم تزل ايامه ... شرخا وزان شبابه بعفافه
ما زال حب المجد يشغل قلبه ... حتى رقاه الى ذرى اعرافه
تهوى الملائك والملوك لو انها ... محبوة بالفضل من أوصافه
قد أقطع الاوطان كل عنائه ... وأحل خدمتها صميم شغافه
ناديت قطر المغرب الاقصى الذى ... يتألق الاسلام فى اكنافه
يا أيها القطر الذى فتيانه ... يحيون للمتروك عن اسلافه
حقاً نهضت بما تكن من القوى ... حتى استبان الدر من أصدافه
وعمدت للمجد القديم تعيده ... بالنظم بين تلاده وطرافه
بعصابة غراء كل مهذب ... هو سر صنع الله فى الطافه
فلتحي أرخ ولتهنَّ بسيد ... الكون مبتهج بيوم زفافه

١٧٣ ٥٨ ٤٥٠ ١٠٧ ٧٦ ٤٩١

١٣٥٥

الباكورة

قال الامير:

ذكرنا في مقدمة هذا الديوان ما سبق لنا من نشر الباكورة نظمنا وذلك سنة ١٨٨٧ جامعة لبكائر شعرنا من سنة ١٨٨٤ الى سنة ١٨٨٧ أى أيام كنا فى الرابعة عشرة الى أن صرنا فى السابعة عشرة من العمر ولم نجد لزوما لنشر الباكورة كلها لانها مطبوعة ولكننا نظراً لندور النسخ الباقية منها أحببنا أن ننتخب منها عدة قصائد وعدة مقاطيع وهي هذه :

اهداء الباكورة

لحضرة العالم العامل الفيلسوف الكامل واسطة عقد الحكماء ودرّة تاج البلغاء الاستاذ الاكبر الشيخ محمد عبده المصري

أيده الله تعالى

لو هاج مثلُ الفضل خاطرَ شاعرٍ ... القيت بين يدى سواك بواكري

أو لو وجدت بمثل فضلك عاذلاً ... كان الكمال اذا سلوتك عاذري

لكن سطوت على القريض بأسره ... وغدوت أعذب منهل للخاطرِ

فزهوت بين مدارك ومشاهدٍ ... وسموت بين بصائر وبواصرِ

أو كيف لا تسمو ومثلك من حوى ... بأعز نفس كل خَلق باهر

علمٌ على عمل على قلم، غدا ... فى الخطب يهزأ بالحسام الباتر

وفضائل تستنطق الافواه من ... كل البرية بالثناء العاطر

علامة العلماء والبحر الذي ... لا ينتهى مثل البحار لآخر

يا أيهـا العلم الذي أوصافـهُ اضحت رياض قرائحٍ وضمائر
شهد الزمان لنا بانك فرده من كل بادٍ في الانام وحاضر
يا أوحد العصر الذي عقدت على تقديمه في الفضل خير خناصر
لاغروَ ان أهدي اليك رقائقي وانا رقيق فضائلٍ ومآثر
ليس القريض سوى تأثر خاطر مما به المرء قرَّةُ ناظر
تمسي المحاسن وهي فيه بواعثٌ للشعر بين مسبّبٍ ومباشر
غرر على الايام لولاها لما لاحت وجوه الدهر غيرَ بواسر
لم تبرح الشعراءُ صرعى نشوةٍ برحيقها من سالفٍ ومعاصر
فاذا انجلت في مثل ذاتك مرةً كنتَ الاحق بكل مقول شاكر
يامن غدا بعوارفٍ ومعارفٍ يزري على لجج العباب الزاخر
أهديك بعضاً من عقيق قريحتي يابحر لكن لا أقول جواهري
أبيات إحسانٍ وليس جميعها من كل بيت بالمحاسن عامر
قد جادها صوبُ الصّبا وبنشرها نم الصبا عن كل عرفٍ زافر
درجت معي أطوار عمرٍ واصلٍ ماجاش من يومٍ بليلٍ ساهر
قد باكرتني قبل صادق فجرهِ مذ كنت من اعوامه في العاشر
أوحت إلى قلبي الهوى فشعرت إذ غصن الصبابة لا يميل لهاصر
فمضيت بين كمائلٍ ومفاخر ومشيت بين خمائلٍ وازاهر
ماقلت ذا فخراً ولا عجباً وما من معجبٍ في نظمها أو فاخر
لكن لترفق غير مأمورٍ بها فلكم خطت طوراً لنيل الحاضر
إن تأتني عفواً فكم هذّبتها من سخف لفظٍ أو رويّ نافر
مكنتها بعد النزاع وكم حكت قلقَ القداح بدت بكفي ياسر
حتى أتت من بعد تربيتي لها حسبي وأن لم تغدُ ملءَ محاجري

عوضت ماخسرته من حسنٍ بما رُفعت اليك فلم أكن بالخاسرِ
فكن الوصيّ على يتامى ناظمٍ وبنات فكر فى ثناك قواصر
أهديتها لا كي تليق وطالما قبل الكبيرُ هديّةً من صاغر
هي دون ما يُهدى اليك وانما مثلي على مافاق ليس بقادر

الداعى
شكيب أرسلان

وقلت وانشدتها فى محفل مدرسه الحكمة وكنت فى السادسة عشرة من العمر

عما بصباح العلم رغداً وانعما بربع ظلامُ الجهل عنه تصرّما
قدانصاح صبح السعد فى ليل نحسه فغادره شيئاً فشيئاً مهزّما
وثاب اليه العلم عدواً بعودهِ اليه فلا لومٌ إذا ما تلوّما
فاصبح داجي افقه اليوم زاهراً وقد كان زاهي افقه قبل مظلما
وأينع ذاوي روضه اليوم بعدان تصوّح من عصف البوارج في الحمى
ترنح عطف السعد منه بُعَيْدَ أن رأى لثغور العلم فيه تبسّما
وباتت غصون العز تخطر عندما رأت فوقها طير المعارف حوّماً
لعمرك ان الشرق رُدّ بهاؤُه فيرفل في ثوب النساءِ منمنما
وعاد اليه الفضل والعود احمد عليه إذا كان الغياب مذمّما
وما الشرق الاّ ذلك الشرق لم يزل مدى الدهر اعلامَ العلى متسنّما
فان نابه يوماً من الدهر صرفهُ فلم تمض الاّ برهة فتثلّما
وإما تطش دهم الليالي سهامَهُ فهيهات لم تسلبه للحظ اسهما
وان فاته للفضل غيث فانما توخّى اليه الرجّعَ جمّا فعتّما
وان تعرُه الاحداث من بعد بسطةٍ فأيُّ الورى لم يلقَ بوسى وانعما

وإن يكُ يوماً سوّد الجهل افقه ... فقد طالما في الفضل أطلع انجما

نجوم علومٍ اخجلت بضيائها ... نجوم ضياءٍ لحنَ في كبد السما

بهنّ أهتدى في سيره كلُّ بارجٍ ... توغّل فى بحر الكيان الذى طمى

رجالٌ بهم جادَ الزمان وعلّهُ ... على مثل هذا الجود يوماً تندما

أقامهمُ فى الشرق يحيون شأنه ... فاذ هل عمّا نال عاداً وجرهما

هم الملأُ الاخيار والعصبة الأُولى ... رأينا لعمرى الرُّشد فيهم مجسّما

تظلّم منه الفجر قبل مجيئهم ... فجاؤُا فلما اثقلوه تظلّما

وكم أرهفوا بالجد للمجد مخذما ... وكم أرعفوا بالنيل للفضل مخطما

وكم صرفوا وجه الصروف عن الوري ... وكم عفّروا ابا الحزم للدهر مرغما

وسلوا من الآراء ابيض صارما ... ففلوا من الأرزاءِ بحراً عرمرما

أماطوا قناع المكرمات وقد جلوا ... محيَّا المعالي بعد ان كان اسحما

واعلوا منار الرشد فى افق شرقهم ... وخلّوا سبيلاً للمآثر أقوما

وأجروا ينابيع المعارف في الملا ... فطال بها بنت المعاني وقد نما

وشادوا أصولا للفنون وأوضحوا ... لها سُبلاً اضحت إلى النجح سلما

فنعم رجال الشرق قوماً ومعشراً ... الى جدهم أصل المعالي قد انتمى

جروا فى رهان الفضل فى أول المدى ... سباقاً كما أجريت اجرد شيظما

ولم يرهبوا من دونها فى جهادهم ... خِطاراً فقد خالوا التوقي تقحُّما

فهم أسسوا ركن الحضارة فى الورى ... ولم يفعلوا الا لندرك مغنما

وهم اكتنهوا سرّ المعارف أولاً ... وهم عرفوا نفع العلوم مقدما

فلما أحلّ الله فيهم قضاءهُ ... وأوفاهُم داعي الردى متخرِّما

طوتهم أيادى البين من بعدان رموا ... من الهمّة الشمّاء ابعد مرتمى

فغار ضياء الشرق عند غيارهم ... وأظلم وجه الشرق وقتاً واقتما

ودالت الى العرب العلوم مع العلى كما حكم المبدى المعيد وابرما

وأوجف ركب السعي في طلب العلا فكان بذا الجرى الجواد المصمّما

فهادنه صرف الزمان مسالماً ونوّله الخير الاتم المعمّما

وباتت بلاد الشرق من بعد عزها كأن لم تنل مجداً ولم تحوِ مغرما

الى ان تجلى طالعُ العصر بعد ان تحجب عن تلك الجوانب واكتمى

فثابت لدى اشراقه الهمم التى عن العلم قبلا قد تقاعسن نوَّما

عن العلم حق العلم بالفضل ظاهر فذلك للالباب قد كان الزما

وعفتّ على ماكان قبلا وذلّلت جماح زمان قد طغى وتجرّما

فان يك خسف الشرق اضحى محلّلا لديه فما كان الفلاح محرما

الا يا بنى الاوطان انّ عليكمُ الى السعي فى تلك المعالى التقدما

عليكم بها فاسعوا لها وتشبهوا فمن يتشبه بالكرام تكرَّما

ومن قصرت ايديه فليسع طوقه ومن لم يجد ماءً بارضٍ تيمّما

وقد نكتفي بالطل ان بان وابل فان اعورارَ العين خير من العمى

ولاسيما العلم الشريف فاننا نرى نيلهُ جدًّا على الكل مغرما

أما نحن من سنّوا المآثر واقتفى ما ثرنا مَنْ بَعْدَنا حاز مستمى

ألم نُعْلِ اعلام العلوم بقطرنا على حين حدّ السيف يرعف بالدما

ألم نكُ اهل الاولية فى العلى ليالى لم نقصر عن المجد معزما

بلى نحن كنا اهلها فازالنا زمان توخى حيفنا وتحكمّا

ومازال اهل الغرب يدرون قدرنا من الفضل ماابدوا من الدهر معجما

متى يذكر الافضال فيهم خطيبهم على منبر صلّى علينا وسلمّا

فلا تحسبونا قد عرينا وطالما جررنا من الفضل الرداء المرقّما

وهم أثروا عنا العلوم فهذبوا فجرّوا علينا مطرف المجد معُلما

تباروا بعلم بينهم وتنافسوا … فلا جرم انّ العلم سرّ فاشكما

وقد بلغوا من باذخ العز منزلا … يظل لسان الحال عنه مترجما

اذا نظر الشرقي حال صلاحهم … بكى صاحبي منها دماً سال عندما

فيا وطني حتّام تلبث غافلا … وحتّام ياشرقي اراك مهوّما

ألم تدرِ بالغربيّ في الارض سائحاً … على سابح من علمه ليس ملجما

فلله درّ العلم ان جداءهُ … لمّا يفوق العارض المتسجّما

لكم نال من فخرٍ وأيّدَ صاغرا … وكم عال من فقر وقلّد معدما

وكم حلّ من عيٍّ واطلق حبة … وكم فلّ من غيٍّ وانطقَ ابكما

فمن يعتصم بالعلم يظهر بهديهِ … فلم يكُ غير العلم شيء ليعصما

اذا العلم هذا الحق ما فيه شبهةٌ … وحسبك بالحقّ المبين معلّما

ومن عزّ دون العلم شأناً فانه … لسوف يلاقي أمره متحتّما

فذو السيف يلقى العز حيناً ومفردا … وذو العلم يلقى العزّ دهرا وتوأما

ومن نال اخطار اليراع فانما … ستقرن كفاه يراعا وصيلما

فسعدا لمن في حلبة العلم قد جرى … وسحقا لمن في حلبة العلم احجما

وماذلّ من يهوى العلوم وانما … تسوّد من بالعلم كان متيما

سما بالذي كان الحضيض مقرّهُ … فطنّب من فوق الدراري مخيّما

فما يبلغ المنطيق وصف جدائه … ولو كان كل الكون في وصفه فما

فحثوا مطايا العزم كي تظفروا به … تنالوا بيمن العصر منهُ الميمّما

فلا منيةٌ الا ونلتم اعزّها … ولو انها باتت على روقِ اعصما

لئن تبذلوا فيه النفيس فغيركم … لاحرازه هلك النفوس تجشّما

وماغيركم والله الّا اصولكم … نخبّر عنهم لاحديثاً مرجّما

وقومٌ هدوا في الحق هدْيَ جدودكم … الى ان غدوا أعلين في الامر مثلما

اولئك قد سادوا واقصى نكاية ... لنا فيهم القاب علجٍ واعجما
بعلم اذا مابات فيهم متوّجاً ... فيا طالما قد كان فينا معمّما
فاما لعمرى قدوةٌ بمعاصرٍ ... واما تراث للذى صار اعظُما
ولا تحسب الاحوال وهي عوارضٌ ... تغير فى اصل المبادى فنساما
واما نصبنا في سبيل جهادنا ... فاى قرارٍ لايقابل مخرما
وقد أشرع الدرب الموصل نحوهُ ... بما شفع الرحمن فينا والهما
فلا صدفت فتياننا عن ولوجه ... ليغدو بهم رثُّ البلاد مرمما
ويرتق فتق الشرق بعد اتساعه ... ويرفى غطاه بعد ما قد تشرما
فان الفتى من زان مسقط رأسه ... بما ناله من حكمة وتعلما
فذاك الذى في بردة الفضل ينثنى ... وليس الفتى من بالعقيق تختما
فان ينتظم شمل الرجال بقطرنا ... ترتب فيه أمرنا وتنظما
لان نجاح الصقع فى حسن أهله ... اذا كان أمر الود في القوم محكما
وكانوا كما الاعضاء فى الجسم فاغتدى ... على الكل منهم خيرهُ متقسما
فيشتدُّ أزر القوم بعد انحلاله ... اذا شدَّ من عقد التضافر محزما
اذا نبتغى علما بدون تضافرٍ ... اذاً فاتباع الجهل قد كان أحزما
وكل امرىءٍ عن قومه متخلفٌ ... فلا يعدمن الدهر للوطء منسما
فكونوا كجسم واحد ان تألمت ... له انمل تلقى الجميع تألما
تفوزوا بتذليل الصعاب اذا عصت ... وتقووا على ذا الدهر إما تهضما
وتحظوا باعلاق المنى وتحققوا ... بهمتكم من عصرنا ما توسما
هو العصر وافى ضاحكا عن فنونه ... وقد كان من قبل عليكم تأجما
تبدّى وهذا الجهل في الناس سائدٌ ... فاطرق منه هيبةً وتحشما
وراحَ على الدنيا يذثُّ بدائعاً ... فهزَّ أخا عشق ورنح ضيغما

بكم معشر الحضّار تزان أرضنا ... ويصبح عرض الخسف فيها مكلما
تجلون عن أن ترشدوا من مماثلي ... ولكنها ذكرى لما ليس مبهما
كفى عصركم فخرا وعزاً اذا ادعى ... أميرَ الورى عبد الحميد المعظما
ليجهد في استرجاع رونق شرقنا ... وتجديد ما من مجده قد تهدما
فلا زال فى عصر الخلافة قائما ... لما انآد من أمر العباد مقوما
يثنْ عليه الخافقان بعدله ... ثناء جميلا بالدعاء مختما

وقلت في مثل ذلك عند حضور امتحان المدرسة
السلطانية فى السنة نفسها

بدورٌ بافق العلم هذى المواسمُ ... على البدر قد لاحت لهن مواسمُ
لتغدو بها عين الفلاح قريرةً ... وتبدو ثغور السعد وهي بواسم
يقدَّر فيها العلم ما هو كاسبٌ ... ويعرف فيها الفضل ما هو غانم
فتنتج ماقد حاول الجهد في العلى ... وتسفر عما باشرته العزائم
شهورٌ على صدق الفعال أمينة ... ولكن قضاةٌ بالسباق حواكم
مضامير اقران النباهة والنهى ... يميّز مرغومٌ لديها وراغم
هو الجد حتى البعد للقرب سابق ... وحتى الخوافي خلفهنّ القوادم
وحتى ترى ما كان فى نيله الرجا ... صريماً قد التفّت عليه الصرائم
وهل يبلغ الآمال الا مجاهدٌ ... وهل يطرد الاهوال الا مقاوم
وهل دون غاى الجهد تدرك غايةٌ ... ودون اخترام النفس تعنو المخارم
وكيف يرجي الوصل من ليس يمتطي ... وكيف يزيل القرن من لا يصادم
ولا بد من غوص الفتى قصر لجة ... لتخرج غرُّان اللآلي الخضارم
ومن مدرك من فاته وهو قاعدً ... ومن لاحق من جازهُ وهو نائم

وما النفع من جيش تعبّى صفوفه — اذا لازمت اغمادهنّ الصوارم
فان تمام الجهد للنجح واجبٌ — وليس يسوغ الصدّ عمّا يلائم
وان المسمي العقل في المرء صاحبٌ — لعلم غدت منه عليه رثائم
فاجدر بخلّ ان يصاحب خله — ولا يترك الملزوم ماهو لازم
وللعقل طول العمر بالعلم صبوة — بلا سلوةٍ والالف بالالف هائم
اليفان لاينفك كلٌّ متيما — بصاحبه تعي لديه اللوائم
فان عدّ حقا أفضل الناس عالم — فافضل منه عاقلٌ وهو عالم
وان أمكنت من دون ذا العلم عزة — فبالعلم اسنى ما تسود العوالم
كما عزّ بالعلم الاعارب قبلنا — فذلت وهابتهم لذاك الاعاجم
ليالي لا أملاك الا ملوكهم — تعد ولا تيجان الا العمائم
تقدمنا منهم رجالٌ تقدموا — وسادوا وما في القوم الاضبارم
رجالٌ مضوا لم تلههم عن علومهم — وشغل الورى غاراتهم والملاحم
بهم أشرقت تلك الديار وأزهرت — باقطارنا أنجادها والتهائم
وقد استخرجوا درّ المعارف بالعنا — وموج العوادي حولها متلاطم
فمنهم بآثار العدوّ صوائفٌ — ومنهم لآثار العلوم معالم
لقد أوسعوا الامرين فتحا كأنما — مكارمهم في الحالتين مغارم
فغنّت وهام الطير فوق رياضهم — وأثنت عليهم في النزال القشاعم
وسادوا العدى في كل امر فأصبحت — بايديهم أمصارهم والعواصم
وأصبح منهم هؤلاء على الثرى — كما سكنت بطن التراب الاراقم
يخافون امر العُربِ حتى كأنما — لهيبتهم فيهم رقى وطلاسم
ولم يكُ الا العلم علة مجدهم — لمجادهمُ مالا تجود الغمائم
فمن يعتصم بالعلم يمسِ معززاً — ومن يفتتنْ عنه تطأه المناسم

إذا ما تأملت الزمان رأيته ... بكل نجاح في العباد يساهم

فان عد كسب العلم فينا فريضة ... فكل جهالات الانام محارم

وهل نرتضى ذا اليوم ذلاً بتركه ... إذا ساد فيه جيلنا المتقادم

لعمرى لقد كانت لنا بجدودنا ... مآثر في حق القصور مآثم

فلا غروان نقتص آثار مجدهم ... طرائقهم قدامنا والمناجم

ولم لا نرجي كل فوز وما لنا ... سوى الفضل في جنب الزمان جرائم

ونعلم انا ان نجد نجد بذا ... مجرب أمر ليس فيه مزاعم

وكيف يرى نيل الفلاح بدونه ... ويأمل دون الجد ذا النيل حازم

بعصر يفوت القوت فيه معده ... ويعدم ورد الماء من لا يزاحم

وقد نهضت كل الخواطر للعلى ... وزادت جيوشا في الصدور الشكائم

فكل فخار ناهل الفكر حائم ... له وعليه طائر الذهن حائم

فعزما بني الاوطان فالجهد واجب ... بذا وبحول الله فالنصر قادم

فقد قيض الرحمن فينا ذرائعا ... وقامت لهذا الفضل فينا دعائم

ويوم هو المشهور ايامنا به ... مقلدة اجيادها والمعاصم

لدى مشهد يستوقف الركب عن ظما ... وتسكن من جفل اليه النعائم

تناهب فيه الحمد من كل جانب ... كرام صنوف المجد فيهم مقاسم

بهم رجع الفضل الاصيل لاهله ... وعادت الى أصحابهن المكارم

وهل ناجع بالامر الا رجاله ... وهل ساجع بالايك الا الحمائم

وهل يتحرى الفضل الا عميده ... وهل تسكن الآجام الا الضراغم

فسقيا لروض للمعارف ناضر ... بها وعليه عارض الفضل ساجم

لاطياره فى العلم شدو وانما ... به الطائر المحكى في القول جاثم(١)

---

(١) كان الشيخ محمد عبده مدرساً فى تلك المدرسة

يضوع له في الارض عَرْف معارف ثناءٌ على عرفِ الخليفة دائم
سلامٌ على السلطان أما مرامه فنفع وأما شغله فالعظائم
سليل بنى عثمان أما جداؤه فغيثٌ واما عزمه فلهاذم
أطاع له البَرّان شرق ومغربٌ ودانت له فى العدوتين الاناسم
له بين اعباء الخلافة في العُلى صرائم الا انهنّ صوارمُ
اقام امور العرش بعد تظاهرت عليه خطوب للظهور قواصم
وقام بامر الملك حق قيامِهِ يدافع عنه تارةً ويهاجم
فسدّ ثغور الملك بعد انثلامها وجاز الى دار الوغى وهو ثالم
واحكم اجراء العدالة في الورى وعمت له كل العباد مراحم
فيوماً تراه وهو للرزق قاسمٌ ويوما نراه وهو للخطب حاسم
يسهّد جفنا لا يطيب له الكري وفي ارض عثمان ظليمٌ وظالم
فلا زال بدرا نورهُ متكاملٌ وغيثاً علينا ودقه متراكم
يعيد لنا عزّ الخلافة عهدهُ ويغتبط الاسلام اذ هو سالم
تضيءُ على الدنيا مطالع شكرهِ وتعطر فيه بالدّعاء الخواتم

وقلت أشكو الزمان

من الدهر تشكو ام على الدهر تعتب وما صاحب الايام الا معذّب
شكيٌّ بلا قاضٍ شجيٌّ بلا اسىً اذا بات في دنياهُ يعتبُ يعتبُ
يلاقى الاسى في صدره كل مذهب متى ضاق عنه في البسيطة مذهبُ
هو المرء فى كف الزمان مقلبٌ يقاسى عذاب الموت والدهر يلعبُ
تولّد في الدنيا حليف مصائب فلم يغن عنه حرصه والتجنّب
يصاحبها وهي العداة وانه لخسف بان تشنا الذي انت تصحب
اذا نقصت من كل عزٍ حظوظهُ فاسهمه من نكبة ليس تغلب

طريد ليال بات في كف طارد … ومطلوب دهر عند من هو يطلبُ

فبينا يسام الخسف من كل وجهة … اذا هو في بطن الضريح مغيَّب

فلله يادنيا حيائك كربةٌ … وفيكِ غراب البين مازال ينعبُ

رأيتك محض الغش في محض قدرة … فلا منك رهبان ولا فيك ارحب

واني وان ضاقت عليَّ مذاهبي … لديك فصدري من فنائكِ ارحب

ارى بك من نكدي وصبري عجائباً … واعجب من حالي وحالك اعجب

فهل فيك ضيمٌ مثل بعد احبتي … مضى ذلك الامر الذي اتهيب

بكيت عليه وانتحبت لياليا … فلم يجدني ما كنت ابكي وانحب

فكم ليلة منها قضيت مسامراً … نجوم السما طوراً تضيء وتغرب

الى جانب الورقاء تندب في الدجى … شجيين طول الليل نشكو ونندب

تشبُّ شرارات الاسى بترائبي … ويطفئها من ماء عيني صيّب

وقد بنت لا ابغي خمود صبابتي … وازجر طرفي اذ يجفُّ وينضب

بصدري حرُّ الشوق بردٌ يلذ لي … وعندي ورد الدمع والله طيّب

ابى الله ان اهوى السرور وانني … على غير صوت النوح اشجى واطرب

لئن عذب التعذيب لي قبل ذا النوى … بوجدي فهل بعد النوى ليس يعذب

فياليت شعري هل ارى الدهر مرة … لدى غفلة عن نكبتي يتنكب

أليست لتصفو منه يوما سرائر … فيحلو لي طعم وينساغ مشرب

أما تحفظ الايام مني وقيعةً … وتغضب مني مثلما انا اغضب

فقد طال وصفي نكدها غير كاذب … الا ليتها تسعى بردّ واكذب

فتباً لها من مصميات سهامها … ولا ينفع الانسان منها التأتّب

هي الدُّجن اما صاعقات خطوبها … فصدق واما البرق منها فخلّب

قضى قبلنا الكندي «١» احمد حقبة … يعنفها في شعره ويؤنب

---

(١) المتنبي

على انها الدنيا اذا شئت وصفها ... وان لم اشا تملي عليّ وأكتب
واني وان لم تحيني غير صبوة ... فكم ناشئ منها الى اليوم مخلبُ
سأشكرها إذ أنها مذ حداثتي ... لقد عودتني الصبر وهو محبّبُ
وقد نجّذتني الحادثات وأدبت ... وليس كمثل الحادثات مؤدّب
ولكنها مني تمارس شدة ... وقد عجمت عودي فعودي أصلب
وما عدمت من شدة وبراعة ... ولكن من لاقت أشدُّ وأنجب
ولكنه لا نفع فيها لصابرٍ ... إذا لم يكن منها لعمرك مهرب
محاكية للبحر تعلوهُ جيفةً ... وفيه نفيس الدر في القعر يرسب
فيعدم فيها الحظ من يستحقه ... ويحرم فيها الكسب من يتكسب
ويحظى بها بالجد من لا يرومه ... ويشوى بها بالسهم من لا يصوِّب
اذا الحق لم يصبح على الكل سائداً ... فليس لحرٍّ في البرية مأرب
وإن عدم الحق المبين نصيره ... فما يرتضى بالعيش حرٌّ مهذب
وان لم تكن فينا على الخير عصبة ... ففيما سواه ساء ما نتعصّب
فليس بمغن للكريم اتساعها ... اذا كان فيها الحق كالمال ينهب
لكم بتُّ أنضى همتي لا قيمه ... واظهرَه في بعض امر ويحجب
فما زال للابصار تحت ستائر ... اذا زال عنه غيهب جن غيهب
فقد قلت ماقد قلت لاعن ما ربٍ ... اجلْ انا من مثل ذاك وأحسب
واني من القوم الذين هم همُ ... اذا غاب منهم كوكب لاح كوكب
عتاق المعالي قد تسامت جدودهم ... على الشم ممن انسل الشيخ يعرب
لهم نسبةٌ في اقعس المجد عرقها ... لها منزل فوق السماك مطنّب
واصاحبهم فيها الفصاحة والحجى ... وبذل اللُّهى والمشرفيُّ المذرب
بدور اذا الهامات بالبيض عممت ... ليوث اذا الهامات بالبيض تضرب
بحور اذا الارزاء التهت جرانها ... غيوث اذا الاعوام في القوم تجدب

فياصل حق بالبيان وتارةً ... فياصل اذ دار الاصمّ المكعب
لهم حسب يحكي الشموس وضوحه ... يزاحم منه منكبَ الشمس منكب
فان كنت منسوبا اليهم فانها ... اليهم لتعزى المكرمات وتنسب
فدون انتساب المرء للمجد والعلى ... لعمرك لا يغنيه امٌّ ولا أب
فما دمت حيّا فى الزمان فلم تزل ... عليّ حقوق ليس منهن اوجب
أهمّ باشياء كبار ودونها ... من البعد في ذى الحال عنقاء مغرب
ارى الفتح يدنو كلما انا ساكنٌ ... ويبعد عنى كلما انا اقرب
وقد غادرت قلبي العوارض حائراً ... هو القلب من تلك الحوادث قلّب
توارد انواعا كثاراً وكلها ... تؤثر فى القلب اللطيف وتنشبُ

وقلت متغزلا بالحسن المعنوى

مفتخرا باصحابه

مال الصبا بعواطف النشوان ... ميْلَ الصبا بمعاطف الاغصان
ولوى الغرام عنانه نحو اللوى ... وبدا الحنين لابرقَ الحنّان
وهوى الهوى بالقلب بين اعنّةٍ ... ومتالع ومطالع ورعان
فغدا يراوح من معاهدها التى ... فى نجد بين معالِم ومغان
يأتى اللصاب من الشعاب وينتحى ... من منزل الجرعا سفوح البان
فى كل منعطف وكل ثنيةٍ ... يبدو له شجنٌ من الاشجان
ويح المحب لقد تهتك في الهوي ... فرعاه في سرٍّ وفي اعلان
اجرى العقيق بطرفه وبنى بأو ... تاد الضلوع مضارب الكثبان
صب المَّ به الهوى فمضى به ... للحسن تحت أسنة الخرصان
انذرته سوء المصير فقال لي ... أن الصبابة عزة الفتيان

أطلقت للقلب العنان فهمت لا ... ألوى ولست لذا العنان بثان

لهفى عليه عدت بمهجته الظبا ... حباً الى حيث الظبي بمكان

بين البوارق والصفوف زواحف ... تحت البيارق والرماح دوان

طلب المحاسن فى الخيام ودونها ... ضرب يطيح سواعد الشجعان

واذا هوى نجد تحكم فى فتى ... جعل الردى فى حيز النسيان

* * *

هيهات ليس لعاشق أمنية ... يسعى اليها فى طريق أمان

واذا العواسل دون معسول اللمى ... نزداد معها القلب فى الخفقان

واذا الخدود القانيات تعرضت ... للحب سال لها النجيع القانى

واذا الاسود وقد تردت فى الحمى ... صرعى أمام كوانس الغزلان

واذا رجال كتائب النعمان قد ... ذلت لعز شقائق النعمان

واذا الأعز الأيهم الغسان قد ... أمسى رقيق الأهيف الغسانى

حال تطيش بها العقول وربما ... أخبت ذكاء ثواقب الأذهان

تعيي فؤاد الأحوذى كأنه ... مما أصيب صريع خمر دنان

ما ان يقاوم بأسها بطل ولو ... حازت يداه عزة العقبان

تغشى مقاصير العظام ولم تكن ... عنها تعز مناسك الرهبان

عمت فان فاتت عديم القلب بالـ ... ـوجدان ما فاتته بالبرهان

لكن ما أودى بعذرة حبه ... لم يختلف بشعوره اثنان

وترى القلوب على المحاسن أقبلت ... مثل الدلاء جذبن بالاشطان
وترى الى وصل الحبيب حنينها ... يحكى حنين النجب للاعطان
كيف الخلاف وللفؤاد تأثر ... بجميع مامرت به العينان
أو كيف لا أهوى الجمال وقد بدا ... من نور ذاك العالم الربانى
عين الوجود اللامع النور الذى ... مالاح مثل سناه للاعيان
العاقب الا كليل مصباح الهدى ... والصادق المبعوث بالفرقان
هو احمد المحمود من فى حله ... كنف الوجود تشرف الثقلان
فالله يشهد أن طه المجتبي ... هو خير من سارت به قدمان
واذكر صحابة صاحب المعراج من ... حازوا السباق بأول الميدان
الراشدين العاملين الى الهدى ... والناشرين شريعة القرآن
هم عصبة الدين الحنيف وشيعة الشـــرع الشريف وفتية الايمان
تلقى أبا بكر بصدرهم انبرى ... يهدى الأولى رجعوا الى الكفران
وترى أبا حفص يقيم المسجد الا ... أقصى بهمته على أركان
يرمي الممالك بالجيوش وقد غدت ... فى قبضتيه شواسع البلدان
ضرب القياصرة العظام بصارم ... أنسى البرية «سيفَ» فى غمدان
فعنت له بالرغم شم أنوفهم ... وخلا له كسرى من الايوان
وأباد فارس سيف سعدَ واذعنت ... مصر لعمرو أيما اذعان
وقضى الاله علاءَ ذادة دينه ... بالنصر والجيشان يلتقيان

فالهَدْى فيهم ضارب أطنابه ... والحق ملق فى الورى بجران
والدين تعصف بالممالك ريحه ... عما يُزِلُّ مواقف البهتان
بجهاد قوم أصبحت أعمالهم ... أبداً بجيد الدهر عقد جمان
فيهم أبو الحسنين صفحة سيفه ... فجر ينوّر ليل كل طعان
قد كان ليث عرينة وفؤاده ... بحقائق الاكوان بحر معان
وافى منازل فى العلوم تقطعت ... عن دركهن نياط كل جنان
فلكم حوت تلك الصحابة سادة ... غراً من الانصار والاعوان
صرفوا الى الأرواح جل عنائهم ... وتجانفوا عن خدمة الابدان
أسياف حق بالهداية قطعت ... بين العباد هوادى الاوثان
حق الفخار بهم لكل موحد ... لثبوت مجدهم بكل أوان
فاذكر فتوحات العقول برشدهم ... تهدى لحق العلم والعرفان
واذكر لهم فتح الممالك فى الورى ... من كل ناحية وكل لسان
من مشرق ذاق النكال ومغرب ... طلعت عليه كواكب الفرسان
هم قدوة للعالمين بها اهتدى ... شم المعاطس فى أولى السلطان
أهل الخلافة من بنى العباس من ... بعد الخلائف من بنى مروان
بلغوا اجدار الصين من جهة ومن ... أخرى تخطوا شاهق البيران
وترى حذاء فروق وقع سيوفهم ... وتجاوب الاصداء فى السودان
والغزنوية يوغلون بزحفهم ... فى السند آونة وهندستان

وبنو أمية فى الجزيرة حكموا　　أمضى ظباهم فى ذوى التيجان
وانظر بنى أيوب لما أعملوا　　فى المعتدين عواسل المران
وصلاح دين الله أنزل بطشه　　بالقوم فى حطين كل هوان
ولواء يوسف تاشفين بمغرب　　خرت له الأعداء للأذقان
ثم السلاجقة العظام وإثرهم　　أصوات ضرب الصيلم العثمانى
سيف الصناديد المساعير المغا　　وير القروم المعشر الغران
ما كان ينضى فى وغى الاملا الد　　نيا برعب صليله الرنان
سل عنه عثمان القديم وان تمل　　لزيادة فاعطف على أرخان
وانظر مراد وبا يزيد بغربه　　قادا الأعادى كلها بعران
وارمق أبا الفتح الأعز محمدا　　اخنى على جرثومة الرومان
فى مأزق والجانبان تصادما　　وتقابل البران والبحران
والخيل باشرت البحار فردها ال　　فرسان فامتنعت على الارسان
والبيض تخطب فى الرؤوس رواكعاً　　طوراً وتنطق ألسن النيران
حتى تصاغرت البلاد لأمره　　واستسلمت ليديه مثل العانى
وغدا سليم رب كل ايالة　　فى الشرق محمياً به الحرمان
وأتى سليمان الزمان بفيلق　　خضعت له الافلاك فى الدوران
مادت لهيبته البسيطة ميدة　　لم تبق من أحد ومن ثهلان
وسعت عزائمه الزمان وقائعا　　من كل حرب فى العداة عوان

تفدى بنى عثمان كلُّ قبيلة | فى الارض أبرزها لنا العصران
حملوا الخلافة والبلاد طرائق | فى كف أهل البغى والعصيان
فغدت وقد صارت لهم أطرافها | تيهاً تجر ضوافى الاردان
ولهم بها العدل الذى أبدى لنا | كيف استواء الشاة والسرحان
حتى اذا ما أمَّنوا فيه الورى | ردوا غرارهم الى الاجفان
فبمثلهم فلنفتخر وبهديهم | فلنهد بعد تقاعد وتوان
فى السالفين من الأفاضل عبرة | تجلو المراء بأقصر الامعان
فى كل يوم من برازخهم لنا | داع ينبه خاطر الغفلان
أولا نجيب ونحن أحيا فى الورى | يوما ندا الأجنان فى الاجنان
ان نعتذر بزماننا وطباعه | فهى العوارض لم تخص بآن
ان المبادئ لاتزال فواعلا | مابين مايتعاقب الملوان
فيها يكون الى الحصول توسل | وبدون ذلك علة الحرمان
يغدو الزمان بها على أحواله | بالناس من زيد ومن نقصان
والعقل لا يعنو لحالات اذا | ماشاء أوقعها بحال تفان
واذا تحصلت الشجاعة لم تكن | عند المحصل غاية الامكان
فلنعملن فالرأى فى نيل المنى | هو أول وهى المحل الثانى

وقلت مفتخراً بالسلف

أقلُّ عذابى ماتصاب مقاتلى وأضيع نصحى ماتقول عواذلى
وأسعر نارى ماتكن جوانحى وأهدأ حالى ماتهيج بلابلى
تفيض دموعى كلما لاح بارق وتطرب من مر النسيم شمائلى
وانى لتشجونى الحمائم ان شدت على عذبات البان عند الأصائل
سواجع بالشكوى ينحن على النوى نواعم لايعرفن غير الخمائل
يبكّين أوقات الصفاء التى خلت وأبكى لأيام الصباء الرواحل
وانى لصب لم أزل أندب اللقا بدمع طويل الذيل هام وهامل
حنينى الى عهد الوصال وأهله وسهدى على هجر الخليط المزايل
ولكنه قد رمَّث الحب مهجتى وروَّق اعنات الغرام مناهلى
تفردت فى طبع الى الحب نازع وقلب على حكم الصبابة نازل
فيطربنى همس القصائر فى الحمى ويعجبنى فى الرمل هدى المطافل
وأهوى لحاظ العين معسولة اللمى وأعشق ربات الخصور النواحل
وأختال فى غى الهوى غير عابئ وأمرح فى بذخ الصبا غير سائل
وانى ليجرى فى جنانى هوى الحمى وحب الدمى مجرى الدما فى مفاصلى
فياظبية الكثبان حسنك فاتنى ويا غادة الجرعاء حبك قاتلى
وياهذه الأعطاف رمحك طاعنى وياهذه الألحاظ سحرك بابلى
وياعاذلى اقصر فلست بوازعى أطلت بتعنيفى على غير طائل

سأمنع عن عيني لاجلك نومها ... وأقسم ماتبكيه بين المنازل
وأجرى بمضمار الهوى متهتكا ... أجرِّر فى شوطى فضول الغلائل
لأعشق حتى ليس لى من معادل ... واكلف حتى ليس لى من مماثل
وأرهن هذا القلب للغيد والمهى ... وأجعل هذا العقل مهر العقائل
وما الحب الا خلق كل مهذب ... وما الوجد الا شأن كل حلاحل
وما الحسن الا دون كل عرينة ... وما الوصل الا فى مجال الغوائل
اذاً كل طرف ذابلٍ عند ذابل ... وكل قوام عاسل دون عاسل
تجول جياد الخيل فى كل عرصة ... وأنضى اليها كل يوم رواحلى
وتحمى سيوف الهند عن كل كلة ... لقد طالما علقت فيها حمائلى
أزور خيام الربع غير موارب ... وأغشى ديار الحى غير مخاتل
وانى من الشعب الذين اذاسعوا ... يحلون قدراً عن حؤول الحوائل
ألم ترهم بالأمس حزماً وقوة ... مفاعيلهم فى الامر قبل المقاول
فما آجل يرجونه غير عاجل ... وما عاجل يأبونه غير آجل
لقد خيبوا آمال كل معارض ... وقد زلزلوا اقدام كل منازل
بشقر سراحيب وسمر ذوابل ... وبيض أصاليت وصفر عياطل
غداة بلاد الناس شرقاً ومغرباً ... اطلوا على أقطارها بالجحافل
لقدد كدكوا الاجبال فيها وشيدوا ... سواهن شما من غبار القساطل
سقوا تربة الارضين سهلاومرقباً ... من الدم بالانهار لا بالجداول

أطاروا قلوب الكاشحين وارقصوا فرائصهم من كل حاف و ناعل
وقد سحقوا ابطشاً رؤوس عداتهم وقد نزّلوهم من رؤوس المعاقل
فما زال منهم باخعاً كل عامل وما زال فيهم عاملا كل عامل
الى أن ولوا بالسيف أقصى بلادهم فلم يدعوا فيها مجالا لجائل
فهم خير من فى الأرض سلوا صوارماً وقادوا عتاق الخيل قب الاياطل
وهم خير من ضموا اليراع الى القنا وهم خير حد بين حق وباطل
لقد نشروا العلم الحقيقيّ فى الورى على حين تغلى الحرب غلى المراجل
وقد خطبوا فى الارض بالحق من على منابر عز من متون الصواهل
أزالوا سفاهات الشعوب وقابلوا سفاسفهم بالمكرمات الجلائل
وشادوا على تلك الرسوم حضارة اقيمت على أس التقى و الفضائل
فأصبح منهم عامراً كل غامر وأضحى لديهم ممرعاً كلُّ قاحل
زها ونما نبت الوشيج بأرضهم وفى مدنهم زادت فنون الصياقل
أولئك آبائى فجئنى بمثلهم والا فهم فى الأرض خير القبائل
رجال لديهم راق جمع مناقب عفاف واقدام وحزم و نائل
بدور بآفاق الزمان أوافل نحيي على تلك البدور الاوافل
أقاموا زماناً ثم مر عليهم عتو الدواهى والليالى الدوائل
زماناً قضوه بالعلاء ولم تكن ليالى علاهم بالليالى القلائل
كذلك قد كانت أوائل قومنا الا ليتنا نبنى بناء الاوائل

ونحيي رسوماً غادروا لاعتبارنا ... فأصبح منها دارساً كل ماثل

اما نحن من حازوا الغنى بعقولهم ... وجادوا على كل الورى بالفواضل

وقد كان منا كل ندب مجرب ... بنور الحجى جالٍ دياجي المعاضل

وكل همام مشبع الحِجر راشد ... موفق آراء دليل مجاهل

وكل امام كالغزالى وهو من ... اذا قال لم يترك مجالاَ لقائل

وكل حكيم كالرئيس الذى جرى ... وخلى ارسطو خلفه بمراحل

وكل أريب كابن رشد ومن على ... هداه وكالرازى ند الاوائل

فبالشرق منا كالرشيد وقومه ... وبالغرب منا ناصر بعد داخل(١)

ولا تنس فى وادى الفرات وجلق ... وفى مصر آثار الصلاح وعادل(٢)

ولا سادة منهم محمد(٣) جاعل ... بقبضته البرين دون مطاول

لعمرى اذا ندرى الامور فانما ... زوال العنا بين القنا والقنابل

وغر العلى فوق العوالى دوامياً ... ونيل المُنى دون المَنى والمناصل

لنعم نداء الحرب فى كل أمة ... أناخ عليها دهرها بالكلاكل

لينشر من أكفانه كل ميت ... ويوقظ من تهويمه كل غافل

فذلك أمر لايزال مجددا ... نشاهده فليذكرن كل ذاهل

اذا ضاق عنه النثر فالبحر واسع ... بنا والقوافى رافدات الفواصل

---

(١) عبد الرحمن الناصر الاموى بعد جده عبد الرحمن الداخل

(٢) صلاح الدين يوسف بن أيوب وقبله نور الدين زنكى الملقب بالملك العادل (٣) محمد الفاتح العثمانى

وكتبت الى السيد جمال الدين الافغانى رحمه الله

يا جمال الاسلام والاسلامُ صده عن هوى الجمال الملام
مثلما أنت فى الحياة والا نحياة الفتى عليه حرام
هكذا ان يصح فى الارض مجد دونه كل مانرى أوهام
همم دونها الكواكب مثوى ومضاء من دونه الايام
قاذفات على المصاعب عزماً لو تبدى تدكدك الأعلام
مثل هذا حويت يارجل الار ض فماذا عسى يدل الكلام
لم تزل تحرز المحامد حتى كل حمد له عليك ذمام
أنت فرد فيما شملت ولكن فى اقتدار الجنان أنت لهام
لك نفس الاملاك فى عزة الأف لاك فى جود من يداه الغمام
لك طبع سام ووجه وسيم أدبر الظلم منهما والظلام
ورموز ملء الحقائق طرا وعلوم فوق العلى أعلام
ويراع كالغيث منه انسكاب وذكاء كالنار فيها ضرام
ومعان لو اوحيت لجماد هزه الشوق نحوها والغرام
حيرت كل ذى حصاة الى ان قيل لاشك إنها إلهام
كل هذا حوى الجمال واوفى ياجمال الدنيا عليك السلام
كل حى لم يحذ فضلك حذواً كل ساعات عمره آثام
فلتطاول بك الكواكب وليفـــخر بعلياك آدم لاسام

ونجب ماتدعو اليـه والا　　فلحق النفوس منا اهتضام

كل نفس قصد الفلاح عليها　　طلقاً ليس تخلق الآنام

وقبيح يانفس قولك هـذا　　فوق همى وقوة لاتضام

أبدع الله فى العباد أموراً　　وعليها عليهم الاقدام

حسبنا الله من وكيل ولـكن　　لنقل مثل ذا ونحن قيـام

دون نيل العـلى ربى ووهاد　　لاننال العلى ونحن نيام

نطلب المجد من سوانا ولكن　　لم يسوّد عصام الاعصام

يازماناً أتى بكل عجيب　　أى يوم كنا وخسفاً نسام

جئْ بمـا شئت يازمان غريباً　　وتحكم اذ أنت لست تلام

ان أمراً أصحابه تركوه　　بعد ما أفطروا عليه وصاموا

فغدوا مثلما جعلت وما كا　　ن الهى مغيراً لو داموا

ياجمال الاسـلام انى امرؤ مم　　ن عليهم والله ضاق الـكظام

عبثاً يجهز الزمان علينا　　« ما لجرح بميت ايلام »

ليس يخلو الزمان يوما من العبـ　　ـرة لـكن قـد شلت الافهام

حالة عن فصال أمثالها الأيـ　　ـام قد مسها لعمرى العقام

منك يرجى ياسيدى ياجمال الد　　ين وصل الحبال وهى رمام

أنت للمسلمين فى دينهم حجـــة　　حق لغـيرهم الزام

عطف النفس ما استطعت علينا　　نحن لولاك فى الورى أيتام

ماشككنا فى أن تنال الأمانى سيد أنت والزمان غلام

ماعجبنا للفرس اذ بصنيع الد ولة اليوم حفك الاعظام (١)

اظهر اليوم يامحمد وابهر أنت فى المشرقين بدر تمام

وتغلب على العوائق واجعل كل مالا يرام مما يرام

قاطعٌ رأيك المسدد فى الدهـ ر الذى ليس يقطع الصمصام

فيك يأتى القريض منتظما عفـ وا وتنساب وحدها الأقلام

ذا مجال ان تجتنبه خناذيـ ذ القوافى فاننى الضرغام

فامهر اليوم مازففت قبولا ياجمالا أنا به مستهام

خدم الدهر باب عزك بالاخـ لاص ماواصل افتتاحا ختام

وقلت وكتبت بها الى الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده

لقلبى ماتهمى العيون وتأرق وللعين مايبلى الفؤاد ويرهق

وما كنت ممن يرهق العشق قلبه ولكن من يدرى فنونك يعشق

وما كنت ممن يرشق السهم لحظه فيهوى لذا لكن يراعك أشيق

أصبت به كل القلوب وانه لينضحها بالنبل قبل يفوق

تركت الورى أسرى هواك وانما أسيرك فى ميدان فضلك مطلق

لديك استرقتهم من الطبع رقة فأنت لهم حق رقيق ومعتق

جذبت بهاتيك المعانى قلوبهم وتيمها والله ذاك التأنق

---

(١) كان هذا فى أول ذهابه الى ايران قبل أن ينكبه فيها الشاه ناصر الدين

كلام اذا ألقيته فى جماعة … غدامنك مثل اللؤلؤ الرطب ينسق
عليه من النور الالهى مسحة … تكاد على أرجائه تتألق
مناهل الطاف وأعين حكمة … تظل على روض المعارف تغدق
يبيت بها غصن البلاغة ناضراً … وريقا على نبت الفصاحة يسمق
سلام على وجه الامام محمد … محيا به ماء الحيا يترقرق
ولله دُرُّ البحر دَرُّ محمد … تتوج منه للمعارف مفرق
وأخلاقه الغرا اذاشئت وصفها … وان لم أشأ توحى الى وأنطق
إمام بخصل العقل والنقل فائز … سبوق لغايات حكيم محقق
اذاماانبرى فى حلبة الفضل قصرت … حوالى مداه حلية هن سبق
خطيب الورى بالحق للحق مظهر … ظهير وللبطلان مردٍ ومزهق
اذا قام من فوق المنابر فاصلا … فأى ضلال ليس يمحى ويمحق
تميد الورى عند استماع خطابه … وتعجب للأعواد إذ ليس تورق
فما قام بالحق الحنيفى صادعا … وللفكر شمل بات ليس يمزق
له القلم المشهور يزرى مداده … بتبر اذا فى مهرقٍ هو مُهرَق
عجائب مولى فى محمد عبده … وربك يعطى مايشاء ويرزق
لك الله يامولاى هل من فضيلة … بهذا الورى الا بها أنت أليق

ومنها

وفى أمل أنى لدى فعل واجب … أسكن قلبا دونه بات يخفق
اذا نال مثلى من كلامك لفظة … تشرفه فهو السعيد الموفق

وقلت أمدح الامير الكبير على باشا صاحب تونس الخضراء وأقرظ تأليفه المسمى بمناهج التعريف فى أصول التكليف

عج باللصاب وعنق الليل مقتول ... بصارم ابن ذكاء وهو مسلول

ومنها

باتت سعاد على ذا كله وغدت ... تضفو عليها من النعمى سرابيل

اذا تمر الصبا فى خدرها غلسا ... راحت عليها من الريا مثاقيل

كذاك حتى اذا شمس الضحى طلعت ... قامت ومنها وشاح الصدر محلول

قامت سعاد تحيينا فما قمر ... على قضيب على الكثبان محمول

جلت محاسن مايلفى لها مثل ... وما لملتمس منهن تنويل

نقول بدر وغصن كى نشبهها ... وانما قولنا ياصاح تمثيل

فلا يغرنك فى مثل لها طمع ... فدون أمثالها العنقاء والغول

حتى اذا شغف القلب الذى اجتذبت ... «بانت سعاد فقلبي اليوم متبول»

يحاول الجهد كى يقتص مدرجها ... وهل يطيق تباع العيس مغلول

تجوب جوز الفلا فى كل ناحية ... تزل عن متنها رقطاء زهلول

مرثومة بالبرى خلت مخاطمها ... جذبا كما غودر الثوب الرعابيل

فاعطف على طلل بالجزع اندمى ... منها على طلل بالجزع مطلول

كانت لنا غر أوقات مضت معها ... والخطب منهزم والهم معزول

تلك الليالى التى مابت أذكرها ... الا شجيت وبى اهتاجت عقابيل

كنا نهيم بها والعمر مقتبل ... والعيش غض وربع الانس مأهول

في كل واد من الآرام ليس به ... الاأغن غضيض الطرف مكحول
أما الليالى فقد عادت وهن بنا ... من بعد ما كن أطفالا مطافيل
ولت سعاد و بدلْنا بها جزعا ... وكل شيء له فى الارض تبديل
فلا يغرنك من دنياك زخرفها ... فما زخارفها الا الاباطيل
انا نزلنا على وادى تضلل قد ... تدفقت من حوالينا الأضاليل
يمد فى كل يوم للورى شركا ... والناس منهم به ناج ومحبول
فمن سعى عن طريق الغى مبتعداً ... فحبل مسعاه بالخيرات موصول
ومن تهافت عمداً فى ضلالته ... فليعلمن فعرش الكفر مثلول
كم زلزل الله من قوم لكفرهم ... قدما وأهلك جيل قبله جيل
فليس تبرح للرحمن حامية ... لتزهق البطل ان البطل زحليل
هل باى تونس الا السيف جرده ... فى الارض ربى فحد البغى مفلول
فاليوم للرشد بين الناس واسطة ... وللتعسف والالحاد تذليل
بكف أبلج ميمون مطالعه ... فخم الجناب وقيلٍ قيله القيل
أشد أوسع من فى ذرعه سعة ... طولا وأطول من فى باعه طول
مشبوب عزم بحسن الحدس متقد ... فؤاده وبحب الله مشغول
يلاحق القصد بالتسديد منتهجا ... اذا انتحت هدية السارى العواقيل
اذا تغضف جنح الخطب معتكراً ... فما على غيره فى الكشف تعويل
من معشر المؤمنين الغر محتده ... لدى عمامته تعنو الأكاليل

ومنها

بفيلق لجب من كل ملتثم … له صديق غداة الحرب عزريل
مقذف يقذف العادى بصهوته … اذا علا النقع تكبير وتهليل
لله هذه عُلى باى الزمان فهل … لمثل محصوله فى المجد تحصيل
عن مثل علياه كف الدهر قاصرة … وأعين السخط من حساده حول
فليس ينضى لروع عضب همته … الا وتنجاب فى الحال العراقيل
وليس يمسك عن عاف مواهبه … الا كما يمسك الماء الغرابيل

ومنها

حقائق طى ذاك الصدر محرزة … على شتات فمعقول ومنقول
تزهو بهن تآليف مفردة … على افتراق فتجميل وتفصيل
منها مناهج للتعريف واضحة … يدل سالكها حكم وتعليل
تجلو بفصل خطاب كل مسألة … عوصا وان كثرت فيها الأقاويل
الله أكبر هذا فضل سيدنا … فأين من وصفه مدح وتبجيل
يبغى جميع الورى ايفاه دين ثنا … فيعجزون ودين الشكر ممطول
مهلا أبا حسن نجل الحسين فما … أنتم أيا سادتى الا بهاليل
تزهو بكم تونس الخضراء ممرعة … وليس يزعب فى أغوارها النيل
كفاكم شرفاً أهل الحسين فهل … مقصر عنكم فى الوصف معذول
أثنى عليكم بتقصيرى على أمل … لعل عذرى عند الباى مقبول

وقد اعارض فيكم فارساً [١] بطلا ... لا يترك القرن الا وهو مجدول
فيامليكا تقاصى فى ممالكه ... لكن لنعمته فى الارض تظليل
ان كنت بدراً بأفق الغرب منبلجا ... فالشرق من لطف ذاك النور مشمول
فاسلم وعزك للاحلاف معتصم ... من الرزايا وللاعداء تنكيل
وارع الحنيفية البيضاء معتصما ... بالحق والله بالتوفيق مسئول

وقلت فى الاستاذ الشيخ محمد عبده أهنيه بالاضحى

هل الدهر الا ذا النهار وضده ... يعاود كلاًّ منهما الدهر ندُّهُ
يدور فمن أى الجهات ابتدرته ... وتابعته تبدا به وتحده
ولا خير فى يوم يمر على الفتى ... اذا لم ينل فيه ثناً يستجده
فليست حياة المرء الا شهادة ... على فضل مولاه فيظهر مجده
اذا كان لا يختار تمجيد ربه ... فان الاله اختار مافيه نكدُهُ
والا ففى دار الفناء ثناؤه ... مقام وفى دار السعادة خلده
وحىٍّ غدا فى ماسوى الروح ميتاً ... لقد حل عندى حيثما حل وأده
ومن كان لا يوتى الجماعة نفعه ... فإغفاله فيها سواء وعدُّه
لعمرك ليس العمر فى المرء عيشه ... ولكن حق العمر فى المرء حمده

---

(١) احمد فارس الشدياق له فى أحد بايات تونس قصيدة أولها :

✲ زارت سعاد وستر الليل مسدول ✲

فأحجى به إجهاد ما بات فاقداً — لاحراز شيء ليس يحسن فقده
فيغنيه عن رغد المعيشة شكره — وليس بمغنيه عن الحمد رغده
كذا السيف معدوم وقد غاب نصله — وليس بمعدوم وغاب فرنده
وما الحمد الا الجد فهو وراءه — وما الجد الا الجَد فهو مُعده
وهل قيمة الانسان الا فعاله — وهل قدره الا عناه وجهده
ولولا اشتغال المرء ماذاع ذكره — ولولا اشتعال العود ماضاع نده
فأجمل من خضب بكفك شغلها — وأحسن من كحل بطرفك سهده
واصلح من ذل بنفسك موتها — اذا كنت ممن مورد العز ورده
كذا فلتكن تلك الحياة التي أرى — والا فكم سهل على الحر لحده
أودّ بها خلقا كثيراً وانما — أود من الايام ما لا توده

ومنها

لقد آثر المولى بنعماه آنفا — فلا غرو ان يسعد محمد عبده
هو البدر لكنّ المعالي سماؤه — هو النجم لكنّ الفضيلة سعده
هو الليث لكنّ المحامد غابه — هو السيف لكنّ المكارم غمده
هو البحر عن كل النقائص جزره — ولكن الى كل الكمائل مده
محيط بأشتات العلوم جميعها — ففي أي علم جئت يقدح زنده
مجدد روح صار في وسط نزعه — وموضح أمر أقلع اليوم رشده
حكيم فلا تلهيه الا جواهر — غدا عبرة فيما سواهن زهده

لقد ظل سلطان الكلام بأسره   فاعلامه الأقلام والكتب جنده

له قلم يزرى بكل مهند   يصول على العادى به فيقدّه

له فى رهان المكرمات مآثر   كبت دونها قبّ السباق وجرده

تردى بأثواب المحامد كلها   وفوف من كل المحاسن برده

الى كل مايسنى الثناء صباؤه   وعن كل مايؤذى الكرامة صده

أيا من ورودى فى البيان معينه   فأصبحت فى مدحى له أستمده

تباهى البرايا مصر أنك نجلها   ويفخر هذا العصر أنك فرده

لديك رقيق الشعر يحلو نشيده   وفيك دقيق الفكر يحسن نشده

ويفنى مداد المرء فيك لدى الثنا   وان يكن البحر المحيط يمده

ومثلك من تبدى المواسم فضله   وفيها مع العليا يجدد عهده

فهنأك الأضحى ولا زال عائداً   عليك سعيدا دائما لك شُكده

عليك من المولى يصب سلامه   وفى قلبك الوقاد ينزل برده

ولى تهنئة للشيخ محمد عبده بزفافه فى بيروت وهى بنت ساعتها :

ماذا يحاول مثلى فى قوافيه   وان تكن جمعت كل القوى فيه

من مدح من حين لاحت لى مكانته   من العلا لم أصوب رأى مدحيه

تعنو المعانى لديه وهى صاغرة   كأنها فى البرايا من جواريه

تأتى سواه فتسمو فوق هامهم   وتنتحيه فلا ترقى مواطيه

رب المقام الذى باتت تحف به غر الفضائل تعليه وتغليه
قد حازه والليالى من موانعه من دونه والعوادى من عواديه
بفكرة ما انتضى فى الخطب صارمها الا تمكن قطعا من هواديه
أذل كل جماح للزمان بها ولا حسام ولا رمح يروّيه
وانما الفكر إذ صحت مبادئه عن الجيوش غدا والله يغنيه
فهو الذى كل رأى منه منبلج فى الروع عن كل فجر فى حواشيه
من يكشف الأمر خافيه كظاهره ويبلغ القصد قاصيه كدانيه
ما ان جلا عامه فى مطلب لبك الا وأسفر صبحا عن دياجيه
مجدد روح هذا الدين منعشها من بعد ما بلغت منه تراقيه
من منه دهرك ماضيه وحاليه مقلد جيده بالفخر حاليه
آلى على نفسه ألا يفارقها الا على مبدأ للدين يحييه
فسل نجوم العلا عن شأو همته والشرق والغرب فاسأل عن مساعيه
لاأختشى إن أقل من ذا يساجله من ذا يساوره من ذا يساويه
إذ ينتضى قاما كالعضب يظهره على حسام صقيل الحد ماضيه
أو ان يقل كلماً تغدو وقائلها ذا البحر يزرى وذى تزرى لآليه
فليس تتلو الورى من قوله غررا الا ونادوا جميعا جل باريه
نالت فوادى رغباه فوائده وبلغتنى آمالى أماليه
ياليت مقدرتى فى وصف حكمته كانت تعادل بين الناس حبيه

فكنت أشعر أهل الارض قاطبة   إذ بت أهيمهم من فطرتى فيه
لكننى دون ذا مع ذاك معتمد   على مقالة أن الفعل أنويه
انى امرؤ لم تكن تحصى مطامعه   ولم يخل فى الورى شيئا ليكفيه
حتى رآه فأمست دون مبلغه   من كل مأثرة صرعى أمانيه
وانه والذى سوّى محمد من   لم أرض عن ناظرى حتى ارانيه
فهو الهمام الذى فخر القلوب به   اذا ابتدا اللب يروى عن معانيه
المسترق قلوب الخلق منطقه   اذا أفاض فلا حر بواديه
وقد غدا طالب التأهيل عن رشد   وشيمة الحر تأبى غير أهليه
آتاه ربى من النعمى موفرها   إذ يمنح الفضل ربى مستحقيه
أراه انجال انجاب وأسعده   بخفض عيش رفيع الشان ساميه
ومد فى عمره ذخراً لملته   بالذود عن حرم الاسلام يقضيه
فهو الذى فى الورى غرّان أنعمه   قد انطقتنى ارتجالا فى تهانيه

تاريخ

بارك الله لمولانا زفا   فا قرينا للرفا والولد
جئت فيه اليوم أرخ قائلا   حلت الشمس ببرج الأسد

١٣٠٤

ولى رثاء لحرم واصا باشا متصرف لبنان وهى من نظمى يوم
كنت فى الرابعة عشرة من العمر

أتنكر نبذ الصبح فيما تحاوله بعذل وباكى العين جارت عواذله
وتحجو انصباب الدمع ويحك منكراً اذا دبجت خضر الروانى هواطله
فأرود فاقصر، عمرك الله، واتئد فانأى من العنقاء ما أنت آمله
تحاول تجفيفاً لدمعى كعامد لتجفيف بحر محور الارض ساحله
وإطفاء نار بالحشى مثل من أتى لظى سقر يطفى الصلا وهو آكله
أيا لائمى فى الحزن كلنى للأسى شجياً فقد طابت لدى مناهله
ولا تتعبن أو تعتبن حيث لم أصخ فهيهات إصغائى لما أنت قائله
عذلت بما قد ظلت تجهل همه ألا فاعذلنى بالذى أنت عاقله
ولو كنت تدرى ما الرزيئة لم تلم ولكنما يستصغر الأمر جاهله
مصاب بدت للموت فيه شدائد بما لم تكن تدريه يوماً غوائله
به ذهب اليوم الردى كل مذهب كأن الردى لم يدر ماهو فاعله
أزال بأفق المجد شمس فضيلة تميد بها من ذا الزمان جلائله
عقيلة صون قد أصيب بها العلى على مثلها مات العلا وعقائله
تعطل خسفاً جيد ذا الدهر بعدما تحلى بها دهراً من الدهر عاطله
مضت فمضى منها الى الله ممتعاً بنعماه شخص لاتعد كمائله
فقامت لها فى كل حى نوادب لحسن ثناء يفعم البر نائله

الا ان لبنان الاغر تخضبت ربـاه دماً مما بكته قبـائله

تمثل دك الطور فى صعقاته دمادمه مما تميـد معاقله

أمصرعها يوم الثلاثا وقد سرى بها نعشها كالفلك والدمع حامله

تصعد فيـه الناس كل شرارة بما فيه قد ساوت ضحاه أصائله

فيا قبرها فى الحازمية فوقه غطاء من العفو المهيمنُ سادله

سقتك شآبيب الرضى كل غدوة وظل الحيا ينهل فوقك وابله

أراحـلة من عالم الموت للبقا ويا حبذا من ذلك الحى راحله

لك الله بالصبر الذى قد قضيته بداء مدى السبع السنين يناضله

تخـذت الليالى النابغية مألفاً فما شأن طرف حالك الليل كاحله

وتصبر حتى أصبح الداء عندها أواخره قد سويت وأوائله

فويح الردى كيف انبرى لاختطافها ولم تدمَ مذ مدت يداه أنامله

تخرمها لا يرهب البأس من حمى وزير وفت أسيافه وعوامله

فـلم يتهيب للوزير بسالة تسامت ولم تغن الوزير مناصله

أقام السرايا فوق لبنان تنجلى فأين السرايا للحمام تنـازله

أصيب لعمر الله ليس تفيده فتيلا على درء المصاب جحافله

ولا غرو فيه من مصاب معظم فما واثب الضرغام الا ممـاثله

وان الذى جـل الزمان بفضله لاحرى بأن هانت عليه نوازله

لقد جل أن يخشى من الدهر بأسه بل الدهر يخشاه فليس يعادله

وزير اذا قال الثناء فانما … شمائله بالالتفات شوامله

هنيئاً للبنان به ان ذكره … يضوع بأذكى ماتضوع خمائله

تولاه واصا حيث واصى أياديا … تواصى الثنا طول المدى وتواصله

فدنياك طراً الا تطع باعث الاسى … فانك لايعنيك فى الخطب هائله

وان الذى قد صلتته يد القضا … حسام غدت أمرَ الاله حمائله

فهل فى قضاء الله تنجيك حيلة … اذا نصبت للاقتناص حبائله

وهل كل شأن مبتغيه وسائله … يصح به فيما يروم وسائله

لجدلت ذاالعدوان بالسيف عنوة … ولكن هذا الموت ليس يشا كله

فعطف على المكروه نفساً فانه … قضاء عميم مقصدات مقاتله

فمثلك لايعنو لاثقال نكبة … على ان حزم الرأى اذ ذاك كاهله

ومثلك فى لبنان همته انتضت … فوائف ماكانت ترجى أواهله

نشرت لواء العدل فوق هضابه … خفوقاً بآلاء غدت لاتزايله

فدمت عليه والياً تسعد الورى … كمادمت جوداً فيه يخضر وابله

ولى بعد ذلك تهنئة بزفافه

ادر لنا راح تذكار الحمى ادرِ … وصف لنا اليوم مجلى سفحه النضر

وارمق سناوته وانظر سماوته … ترى دراريّها تزدان بالدرر

ترى قباب السنا فى الافق صاعدة … على أساطين نور ناثر الأكر

أنعم بها ليلة لبنان تاه بها ... وبات يرفل فى ثوب من الحبر
جاد الزمان بأهليه بطلعتها ... من بعدظن بهافى سالف العصر
كأنما كان منذ البدء حاملها ... حتى تمخضها ذا اليوم عن كبر
يزين قبتها نور وساحتها ... نَوْرٌ فتزهر بين الزهر والزهر
حتى كأن ضياها امتد متصلا ... بيومها وكأن الأرض لم تدر
مشاهد كملت أنوار زينتها ... مابين منتظم منها ومنتثر
يكاد لبنان أن يهتز من طرب ... وان يميس بما يحويه من مدر
عمت بذى البهجة العليا مسرته ... جميع أهليه من باد ومحتضر
تأرجت من ثنا المولى الوزير لنا ... أرجاؤه بأريج ضائع عطر
هو الوزير الذى ماشئت من وزر ... منه على دهرنا الفيت من وزر
أقسمت مادام منه الخير منصرفا ... الى العباد فما زند الزمان ورى
كنا نحاذر دهراً قبل همته ... فالآن نحن وما نبقى على حذر
يرتد عن مجده الوضاح منكسراً ... طرف عن الشمس أضحى غير منكسر
بدر ينير على الأقطار قاطبة ... بحرٌ سواه جميع الناس كالغدر
مهذب تبخع الجلى لحكمته ... يرى ويمضى مضاء الصارم الذكر
مؤيد سنة العدل التى شرفت ... ورافع راية الارشاد فى البشر
طافت بكعبته الآمال واعتمرت ... وليس الا البنان الرطب من حجر
الى مكارمه الآنام واردة ... تترى ولكنه ورد بلا صدر

باتت تحدث عن معنى سماحته ... وعدل أحكامه الغراء عن عمر

أبدى فأيد أيدى المكرمات بنا ... جوداً كما كف كف الرزء والغير

أين الرزيئة تجتاح العباد فقد ... رمى بها بين سمع الارض والبصر

له بكل مكان كل مأثرة ... غراء معلومة الاحجال والغرر

اذا أفاض على العافى مواهبه ... أزرى بغيث من الوطفاء منهمر

وان سطا بطعان مل من يده ... قرى الوشيج وغرب الصيلم البتر

يامن لتأييد علياه وسلطته ... تدعو الرعية فى الآصال والبكر

بك انقضت غصة الأيام وانكشفت ... صروفها بالزمان الاخضر النضر

لك الأيادى على لبنان ترسلها ... سحباً على رائح فيها ومبتكر

لكم رأبت له صدعاً وكم شعث ... لممت فيه وكم قومت من صعر

سقيته الغيث من رغد ومن دعة ... كذاك يسقى جديب الأرض بالمطر

فعاد بعد ذوىّ عيشه نضراً ... وشب بعد وضوح الشيب فى الشعر

ماان ترى ماس بين الناس غصن هنا ... الا ولبنان أمسى خير مهتصر

مالى اعدد ما واصيت من نعم ... على حماك وما شيدت من أثر

فمثل فضلك بحراً ليس يحصره ... لسان مثلى فى ذا العى والحصر

فاهنأ بسعد هداءٍ لاتزال به ... مقارن العز والنعمى مدى العمر

تزهو لنا اليوم فى تاريخه جمل ... فقل تجلى قران الشمس والقمر

١٨٨٥

ولى للمرحوم حسن افندى بيهم من أعيان بيروت
تهنئة بزفافه وهى أيضاً من أوائل شعرى

اليك التهانى تستحث وفودها ... وفيك القوافى يستمال شرودها
وتُسلكنا فيها معانيك هينة ... اذا استصبحت أقبالها ونجودها

ومنها

تعاتب عزمى فيك كل خليقة ... عليها سرابيل العلى وبرودها
كانى قرضت الشعر قبل زمانه ... ليوجب فى يوم على نشيدها
وكنت اذا ما اعتمت صمتى عن الثنا ... اكلف نفسى خطة ماتريدها
فان كنت للحسنى عميداً وصاحباً ... فانى مديحاً صبها وعميدها
وان صيغ عقد المدح فيك فطالما ... تحلت بك العلياء وازدان جيدها
كأنك من ماء الشهامة منهل ... تظل العلى حرى اليه كبودها
لقد شملت منك الجميع بلطفها ... شمائل يزرى بالشمول ورودها
وقد فزت حظاً بالمعلى من العلى ... فتقدح ناراً فى يديك صلودها
حصلت على شم المعالى فلم يزل ... بأفق العنان البدر وهو حسودها
صبوت اليها وهى نحوك قد صبت ... فلاغرو ان تفتن بحسنك غيدها
غلبت القوافى كلها وسبقتها ... وان يزر بالدر النضيد نضيدها
بهمة مقدام العزيمة لاترى ... عياء ولا وقع الصعاب يؤودها
وأخلاق ميمون النقيبة ماينى ... يصوب بها غيث الثنا ويجودها

فتى لو أعار الشمس ضوء جبينه　　لما ساغ تحت الدجن يوما ربودها
ولو لابس الظلماء نور جنانه　　لما احتيج من نور الصباح وقودها
ولو مزج الله الحياة بلطفه　　لما احتملت سقم الجسوم جلودها
نشا كلفاً بالمكرمات فلم تزل　　له نفحات ليس يجحد جودها
الى الغاية القصوى منازع همه　　فأقرب هاتيك المغازى بعيدها
توليه ذات الاروعية نفسه　　على عقبات لا يرام كؤودها
يهتك أستار المغالق حزمه　　لدى معضلات لا ينادى وليدها
اذا اعترضت دهم عوابس فى الورى　　فمنه لهم مهديها ورشيدها
على ملتقى سبل المعانى تخاله　　فيبتدر من كل صوب يصيدها
أمالت له كل القلوب من الورى　　مكارم تترى فى القلوب قيودها
لقد ألف الافضال وهو ربيبه　　وهل تألف الاغيالَ الاسودها
ولاقت به زهر السعود جدوده　　كما تتلاقى فى البروج سعودها
رعى الله من يرعى المودة والولا　　بباصرة مايطبّيها هجودها
أيا حسناً لم يبق حسنا لغيره　　برفعة شأن لم يزل يستزيدها
ويامخولا لا تاركا طارف العلى　　اذا كان أولاك الغناء تليدها
عشقنا معانيك الحسان وانها　　وحقك عين لا يطاق صدودها
تضاحك ثغر الاقحوان ثغورها　　وتفضح والله الشقيق خدودها
تباهت بك الأقلام انك ربها　　وانك مطبوع المعانى مجيدها

ومنها

فخذها من الشعر العراقى غادة   تناهت الى ماء السماء جدودها
على غير عهد بالثناء ولم يكن   حداها الى ناديك الا عهودها
وقد أنقذتها نحو مدحك همة   تَجاذبها إقدامها وقعودها
أخا الحسن فاهنأ بالزفاف الذى زها   ودامت لك الدنيا وأنت سعيدها
ودم بهنا هذا القران ممتعاً   قرينك من هذى الحياة رغيدها
بقيتَ بقاء الدهر فخراً لأهله   وخُلدت لو نفس يرجى خلودها
ولا زلت بدر الشرق ماذرّ شارق   وما طلعة الاصباح لاح عمودها

ولى ثناء على جمال بك نجل رامز بك قاضى بيروت لذلك العهد وكان من أفذاذ القضاة فى العدل والنزاهة

ليس من يملأ العيون جمالا   غير من يملأ القلوب كمالا
وأخو العشق ذو الهيام الذى قد   تخذ الليث فى هواه الغزالا
ياجمالا عشقت منه خصالا   لست أرجو لغيرهن وصالا
زادك الله رفعةً ويقينى   بكمال اذا رأيت الهلالا
جمعت فيك ياجمال معان   يتمنى المديح منها المحالا
أو مافيك ذلك العزم ماوجـــه يوماً الا استخف الجبالا
يسبق القول منك فعل اذا ما   سبق القول فى الأنام الفعالا

يا ابن من قصر الأماثل طرا ... ان يرونا لذاته أمثالا
نجل قطب الزمان عدلا على الا ... طلاق لم يُبدِ نِدَّهُ الدهر حالا
لست أبغي وصفاً لما أنت فيه ... أنا ما ان أطيق هذا المجالا
لا ولا شكر ما محضت من الو ... د صديقا تراه باسمك آلى
مكرمات ورقة وذكاء ... ذى المعالى فليعلون من تعالى
وزمان يظل ينشد عنها ... هكذا هكذا والا فلالا

وكتبت الى صديقى ايوب افندى عون مدير مدرسة
الكاثوليك فى حلب الشهباء

حتام تجذبنى القدود وأجنحُ ... ويصدنى عنها الصدود وأجمحُ
ويهيجنى سوق الحسان وأدمعى ... أبداً على سفح المعاهد تسفح
غاضت دموعى بعد فيض شؤونها ... وعهدت عين الدمع ليست تنزح
وبقيت فيما بين لذع صبابة ... يكوى وبرح دائم لا يبرح
أحيي الليالى آملا أن تنجلى ... صبحا وليس بأمثلٍ ما تصبح
ان كان يوحشنى الظلام لذى النوى ... فالهجر فى يومي لعينى أوضح
ولقد أتوق الى الكرى فلربما ... طيف الحبيب بزورةٍ قد يسمح
فلئن يكن ذاك الغزال محرما ... وصلى فحسبي فى الكرى ما يسنح
يا ليلة بالجزع تجزعنى بها ... نوحا وراقى الايك مما تصدح

باتت تذكرنى ليالى بينها ⁂ كنا وكان المنحنى والأبطح
ما بين هاتيك الظباء سوانحا ⁂ تمشي بحبات القلوب وتمرح
باتت تتيه بها العقول اذا بدت ⁂ تيها كبانات النقا تترنح
من كل مياس أغن اذا انبرى ⁂ فالعقل يعقل والنواظر تطمح
يلهو ويجرح فى النهار وانما ⁂ قد ظل يجرح مهجتى إذ يجرح
يامن يعذبنى ويحسب أننى ⁂ لعذابه طول الزمان مرشح
يسطو علىَّ ولا يرق فعنده ⁂ قلب ولكن بالحديد مصفح
دلهتني فى ذا الغرام فها أنا ⁂ قيس ولكن بالفراق ملوح
فالى م تهجرنى وقد كاد الصبا ⁂ يذوى ورطب غصونه يتصوح
ما كنت أيوب الصبور وان يكن ⁂ بالصبر معنى اسمى بفارس يشرح
ذاك السمىُّ الباهر الشيم التى ⁂ أخلاقه بالأروعية تطفح
المشبع العقل الذى أخلاقه ⁂ غرُّ الوجوه حسيبة لا تُرجح
الواسع الفضل الذى لثنائه ⁂ فى كل خلق من علاه مفتح
الناصح الجيب الذى آثاره ⁂ عن حسن مايطوى عليه تصرح
يثنى عليه بالوفاء وانما ⁂ تمديحه بوفائه لا يمدح
حر تفتح للوداد فؤاده ⁂ وكلامه عند الثنا يتفتح
فهو الذى ان ضاق فى الخلق الولا ⁂ ففؤاده بالود مغنى أفيح
واذا تزحزح ركبه عن أرضنا ⁂ فهو الذى فى العهد لا يتزحزح

لاغرو ان شرك المزار فانه ... قلم اللبيب بكل مسك ينفح

سمح القريحة فى رهان قريضه ... يجرى كما يجرى الجواد الأقرح

تلقاه يرعف فى الطروس يراعه ... كالسيل فى بطن الجوا يتبطح

ويخوض فى لجج الفنون ويجتنى ... دررا بها صدر الزمان موشح

تزهو جنان العلم بين سطوره ... اذ كل ما فيها لعين مسرح

غرر تترجم عن علو مقامه ... ولعلها من كل مدح أفصح

ياصاحبا سمح الزمان ببعده ... و ببعده وجه الزمان مكلح

لابدع ان تبعد وأنت عزيزه ... فالدهر يبعد فى الورى ماءنح

أثويت فى الشهباء أفسح منزل ... لكن محلك فى فؤادى أفسح

وقلت فى رثاء لأحد الأعزة وهى من أوائل نظمى

هى الأحكام يصدرها القضاء ... فليس لمبرم الا المضاء

ولا ينبو حسام الموت مهما ... أتيح له على الخلق انتضاء

لقد عم الردى كل البرايا ... ومات الناس حتى الأنبياء

وأصبحنا رعايا للمنايا ... علينا من ولايتها لواء

ألسنا الخلق غايتنا زوال ... وعنصر خلقنا طين وماء

وسفر مراحل وذوى حياة ... لها بالويل ختم وابتداء

نُهلُّ الى البكاء متى ولدنا ... ويصحبنا الى الرمس البكاء

ولا نرجو بذى الدنيا بقاء ألا ان البقا منا براء

حياة كانسياب الطيف مراً بدنيا للفَنَاء هى الفِناء

اذا كانت نهايتها خفوتاً فأطولها وأقصرها سواء

يغر المرء منها ورد عز يخال به السعادة وهو داء

موارد علقم تبدو عذاباً كذا الدنيا وما فيها رياء

يدير الدهر فينا كلَّ كأس لنا من صرف خمرتها انتشاء

ويرهقنا من الارزا ببطش تقصر دونه الأسل الظماء

يمزق فى البرية كل شمل فيصبح مثلما نثر الهباء

ويهدم للمعالى كل ركن فيشمله بأيديه العفاء

كذا قضت الليالى من بنيها بأن لا يستتب لهم هناء

لعمرك فى البرية أى أم على أولادها منها اعتداء

فواعجباً لضاهدة لديها أواصر ما بهن لها اعتناء

لقد آلت رعاها الله قدماً يميناً أن تسر بما نساء

تفجعنا بكل فقيد فضل عليه يلطم الوجهَ العلاء

لقد كانت تتيه به المعالى وكان عليه من شرف رداء

رويدك أيها المنعى نعيا به تنعى المكارم والرجاء

ويامترحلا مهلا لعمرى فداك الناس لو صح الفداء

ورد حمامك الآسون لكن دوىٌّ الموت ليس له دواء

تناديك الفضائل وهى تبكى ولكن ليس ينفعها النداء
وكم جفت عليك شؤون دمع بعين لم تجف لها دماء
ألا من مبلغ الافضال عنى توفى ندبه وله البقاء
فان يجزع فليس عليه لوم كذا تبغى الصداقة والولاء
وان يصبر فذاك على فقيد بنشر حياته كفل الثناء
أغر أبر سمح الخلق كانت تصرفه السماحة ما تشاء
عليه مدت التقوى وشاحا وشد به مناطقه الصفاء
اذا أم العفاة ندى يديه فكم يعرو الحيا منه الحياء
حوى غرر الخلال وكل حر له بسنىّ شيمته اقتداء
فتبكيه المفاخر والمعالى وتندبه الطلاقة والسخاء
وظل ثناؤه فى القوم طراً يضوع ولا كما ضاع الكباء
فان يك فارق الدنيا مجداً فأثوته مراقيها السماء
لينعم باللقا أبداً وفيها يكون به احتفال واحتفاء
فيا أنجاله الانجاب مهلا عزاءكم وان عز العزاء
ولست أزيدكم حبا بصبر جميل برد لابسه بهاء
ولا راع البلاء لكم قلوبا ولكن فى البلاء لكم بلاء
ولا يبكى على من فات دنيا ليخلد فى النعيم له ثواء
فياصوب الحيا باكر ثراه فمنه طالما سح العطاء

وزر جـدثا بقرب البحر تعثر ... على بحرين بينهما اللقـاء
هنالك غَيب الأقوام شهما ... وغُيبت المروءةُ والوفاء
وياذاك الفقيد اذهب فحاشا ... مقامك أن يقوم به الرثاء
عليك سـلام ربك ماتوالى ... صباح منذ يومك أو مساء
ومن كان الصلاح له ابتـداء ... فبالاجر الجزيل له انتهاء

وكتبت مجيبا صديقي الطيب الذكر أيوب افندى عون

مالذات الوشاح جاءت تبخترْ ... والضواحى بردهـا تتعطرْ
تقتل الصب بالرنو فيردى ... وتلافيـه بالدنو فينشر
غادة فى خدودها جنـة للـــعين، والثغر للمراشف كوثر
تخجل البدر طلعة حـين تبدو ... تفضح البرق مبسما حين تفتر
جردت من قوامها كلَّ رمح ... وانتضت من لحاظها كل ابتر
كلمـا اسامت لحديه روح ... صاح يامسلمون الله أكبر
ما انثنت أو رنت لعمرى الا ... حاربتنا بأبيض بعـد أسمر
دمية بيعةَ النفوس أحلت ... مارآها الحنيف الا تنصر
تتجلى عن جبهة وضحاها ... فلهذا منها سنا الشمس اسفر
ذات وجه اذا تلاها منير ... ذات ثغر عن مثله صل وانحرْ
وصلت بعد هجرة فأقامت ... من هوانا كمقلة من محجر

آنستنا حتى اذا ما ائتلفنـا — فتكت فتكة الرشيد بجعفرْ
انمـا الحب مثلما قيـل قتل — وارد الحب ماله من مصدرْ
مالنا نعشق الحسان وندرى — ان حمر الخـدود موت احمر
ويح قلبي يهيم فى كل واد — وهو يسعى ورا الظباء النفر
تستبيه بكل ألعس أحوى — أفلج تحت كل ادعج احور

ومنها

مالك للقـلوب فى دولة الحب — غـــدا داعيا له كل منبر
هو كسرى الملوك لحظا ولكن — فعله بامرئ الهوى فعل قيصر
لا أزال الاله دولتـه الغر — ا ، وان كان قد طغى وتجـبر
ان فى ظلها رعايا معان — نصرتها فى الفتك نصراً مؤزر
جالد الثغر كل قلب الى ان — فتقت ريح ذا الجلاد بعنبر
ورمى الوجـدُ كل صدر بنار — وغزا الحبُّ كل نفس بعسكر
ان سهم العيون ينفذ فى الصد — ر ولو ألبس الحديد المعصفر
موطن عنـده يهى كل عزم — ويولى قذاله كل مسعر
ينفد الصبر فيه من جعبة الصد — ر لعمرى حاشاك بل أنت اصبر
يا عجيب الذكاء يا نادر المثـــل الذى ظل للعجائب مظهر
أنت والله من كنوز الليالى — أبرزتك الأقدار كلك جوهر
كيف نحكى علاك يا كامل العـ — ـدة اذ نحن فى مجالك حسر

يطرب الشعر منك أحسن مايطــرب صوت الخلخال فى ساق اعفر (١)

يالك الله من أديب اذا ما ... عدّ يوما فغيره ليس يذكر

بينه فى الذكا وبين سواه ... فرق ما بين أميلٍ ومكفَّر

جاءنى منك ياخليلى كتاب ... لاتسل كم سرى كروبى وكم سر

طالما اشتاقه فؤادى حتى ... ضاع منه فتيق مسك أذفر

ماكفى يافريدة العقد حتى ... أصبح اليوم أكتب القوم أشعر

ماترى فى فتاة خدرٍ سبتنى ... بمعان بها المدارك تخدر

بطراز من الفصاحة أزرى ... صنع صنعاءَ وهو وشىٌ محبّر

أنت يامعدن اللآلى الغوالى ... مثل ذا الدر منك لايستكثر

جئت تثنى على بيانى وفضلى ... ذاك تالله أنت أذكى وأمهر

قد كفتنى منك الشهادة فى إثـ ... ـبات من قال بالخلاف وأنكر

وبعون الاله ياصادق الأفـ ... ـعال قد رد شانئى وهو أبتر

قل لمن رام ستر فضلىَ بغضاً ... لم تكن شمس ضحوة لتستّر

ان لى كل طعنة فى مجال ... عفَّرت عارض العزيز الأصعر

لى من الحزم جُنة ودلاص ... ومن العزم لأمة وسنوّر

وبكفى من المضاء حسام ... وعلى هامتى من العز مغفر

لاترى من يريد بى السوء الا ... واقعاً تحت ظفر ليث مظفَّر

---

(١) اشارة الى قول صالح التميمى العراقى : « كما يطرب الخلخال فى ساق اعفرا »

منذرىّ يفى النذور اذا أنـ ذر يوم اللقا أطاح وأندرْ
قيل فى اسمى ليث صبور لعمرى لا يكون الصبور الا غضنفر
لست ممن يقول شيئا فريا أنت فى كنه حال خلك أبصر
ولكم كنت للضعيف معينا وكما قلت لى مجيراً لمعشر
ان يكونوا بى استجاروا فمنى يستظلون تحت لِبدة قسور
ياصديقاً نأى على متن شهبا ء سبوح من الجياد الضمر
ان أرم تركك ذكره فهو أشهى أو أرم ذكر فضله فهو أشهر
ولعمرى من كان بالسعى أجدى فهو بالذكر والمدائح أجدر
ان شوقى اليك جمٌّ ولكن جمٌّ عتبي عليك أوفى وأغزر
أين كتب الأصحاب تطلع تترى مثلما يحتسى السلاف المكرر
هل نسيت العهود هيهات ما كا نت عهود ماييننا العمر تخفر
يارعى الله عيشنا سابقا والد هر ولّى بذيله يتعثر
تلك أيامنا تقضت سريعاً كخيال المنام ليلا اذا مر
كم رشفنا كأس السرور دهاقاً وهصرنا غصن الصبابة أخضر
جمع الله لى بكم عن قريب خير شمل بجاه طه الأزهر

واقترح علىّ الرثاء الآتى لأحد الأعيان الفقهاء

أعامت من فجعت به تلك العلى وسألت أىّ رجالها صدع البلا

حتى اكتست ثوب السواد لفقده ... وتناوحت بالندب نوحاً ثكلا
وعرفت من لبنان أى شيوخه ... غال الردى حتى أميل وزلزلا
من كان أسبق قومه فضلا ومن ... قد كان صدر ذوى المآثر محفلا
من كان نبل القصد فى أعماله ... شرعاً وكان القصد فيه منهلا
من كان أمضى همة من صارم ... فى كف مخترط وأفتك مقتلا
من كان فى عزماته فى جحفل ... أمسى يفل من الحديد الجحفلا
من كان فى حزم النهى فى حزمة ... تزرى مطاعنُها الرماح الذبلا
سبق الرجال الى المآثر فاعتلى ... شرفا وبرَّز مجده فتأثلا
وقضى زمانا بالسداد ورأيه ... فى الفقه لايرتدُّ الا فيصلا
وقضى حقوقَ المجد إذ لم يعتزل ... الا وقد بلغ السماك الأعزلا
حتى قضى والموت فينا سنة ... وسيوف مدرجه رواتع فى الطلا
جار القضاء على القضاء بموته ... لو لم يكن بين الخلائق منزلا
فهو الذى أحيي رسوم الشرع فى ... لبنان تنسف سوحه أيدى البلا
وهو الذى فى ما مضى غرس المنى ... فجناه أهل زمانه مستقبلا
عمت فواضله البلاد كأنما ... قد كان منها بالفلاح موكلا
زن الزمان بذكره، وبفضله ... حفلت مغانى العلم وامتلأ الملا
هو راجح العقل الذى من عقله ... وثباته بنت الحصافة معقلا
رب البيان البيِّن اللسن الذى ... قد كان أذلق من سنان مقوَلا

رحب الذراع اذا الجدال تدافعت ... أفواجه ترك الخصيم مجدّلا
ما كان يقصر فى السماح تفضلا ... يمتاح منه ولا يردُّ مُؤمِّلا
ياقاضيا بات القضا من بعده ... يبكى وجيدُ المكرمات معطلا
من عاش دهراً لايشقّ غباره ... فضلا وكان بناره لايصطلى
ولَّيت عن دار الفناء الى البقا ... فوليت فى الدارين وضاحَ الولا
والناس ركب سائرون بجميع ... للموت يتّبع الأخير الأولا
يسعون للأخرى وتلك حقيقة ... مذ كونت هذى مجازاً مُرسلا
والمرء رهن كوارث ما تنقضى ... تلقى عليه كل يوم كلكلا
والنفس تملأ جسمه فاذا مضت ... وجدت مضيقَ لهاته متسهلا
لا تخدع الدنيا اللبيبَ فكلنا ... بتنا على حكم المنية نزّلا
فاذهب عليك من الاله تحية ... تجنى بها ثمر النعيم معللا
تُحدَى السحائب فى السماح حتى اذا ... بلغت ثرى مثواك سحّت هُطَّلا

وقلت أرثى العلامة الشيخ الامام محيي الدين اليافى الشهير
تغمده الله برضوانه

أحقا علينا الدهر دارت دوائره ... اما انه للدين صارت مصائره
فشدَّ على الاسلام ذا اليوم ريبُهُ ... بخطب وكانت لا تعد كبائره
الا انه الدهر المصرَّحُ باسمه ... بأن لافتىً الا غدا وهو داهره

بواتره فينا مجرّدة وما بواترهُ والله الا بوائره
لهـا كل يوم فى البرية فتكة تناديك لامنجاة مما تحاذره
فكم ملك ضخم تخطفه الردى قساوره من حوله وأساوره
تخرّم كسرى كاسراً احدّ بطشه وقيصرَ أردى ماو قَتهُ مقاصره
وما زال يُفنى كل عز يؤمُّهُ ببأس ويُلقى كل قِرن يساوره
هو الموت من ذا دافع مبرم القضا اذا الواحد القهار وافت أوامره
فسبحان من تعنو الوجوه لوجهه ولا حى الا وهو بالموت قاهره
دعا اليوم محيي الدين نحو جنابه يقربه من قدسه ويجاوره
سرى نعيه فى كل حى ففى الورى تعازيه لـكن فى الجنان بشائره
وباتت شؤون الدين تجرى شؤونها على فقده والفقه تدمى محاجره
وكل امرئ يبكى عليه دماً فما عواذله فى الحزن الا عواذره
لعمرك ما للشرق ذا اليوم اقتمت مشارقه واليوم أظلم ناظره
وللدين وجـد ليس تطفأ ناره وللشرع طرف ليس يقلع ماطره
أصاب بنى الاسلام خطب عرمرم بذا اليوم فالاسلام تبكى منابره
لقد كان فيه الشيخ ركناً مشيداً وكانت طلاع الخافقين مآثره
فطبق آفاق البرية ذكره وسار به بادى الزمان وحاضره
إمام بأفواه الجميع علومه وبحر بأعناق الجميع جواهره
مبارك خلق طيبُ الذكر عابدٌ مهذبُ طبع مشرق الوجه سافره

بقية ذاك السالف الصالح الذى بأمثاله الأقطابِ جلت ذخائره

قد ارتفعت أسراره وتطهرت له سيَر غرٌّ حكتها سرائره

وأصبح فى أيامه علم الهدى تعم البرايا بالضياء منايره

تداعت بيوت العلم يوم وفاته وخر عماد الفضل وانهد عامره

وراح عليه الفقه يلطم وجهه اذ انتكثت مما دهاه مرائره

ولم أدر أن الصبر تفنى دروعه الى أن قضى والعزم تفرى مغافره

فقد فرغت من كل باك دموعه كما نزفت من كل راث محابره

ترحل عن دار الفناء الى التى بها عيشه فى الخلد تجرى كواثره

فقد دك طود باذخ المجد شامخ وغُيض بَحر زاعب الفيض زاخره

وأغمد سيف صارم الحد باتر وغُيب بدر ثاقب النور باهره

سلام على قبر تضمن تربه فذلك لحد ساطع العرف عاطره

سقت تربه الوطفا ولا برح الحيا يراوحه فى رجعه ويباكره

وما الموت الا مسلك عم نهجه وجسر جميع الخلق لا بد عابره

وما المرء الا ميت وابن ميت ومن بدؤه الميلاد فالموت آخره

وكتبت الى أحد الادباء

مابين غزلان العقيق وبانه حرب بها بطل الهوى كجبانه

حرب تضرم بالحضيض سعيرها وعجاجها بالجزع فوق رعانه

ومنها

عبثت بعشاق العقيق وأوغلت فدماؤهم تُربى على غدرانه
لم يرهبوا بأساً لقاء أسوده فأبادهم حتفاً لقا غزلانه
يا زائراً تلك الربوع وسائراً بعراصها الفيحاء فى ركبانه
ان تنزلن سفح العقيق فاشرفن واسفح عقيق الدمع مع عقيانه
وتأملن صنع الهوى بفريقه فاذا رضيت فبعد ذلك عانه
سبحان من خلق الفؤاد وطامه أبداً على حب الحمى وحسانه
وأعز سلطان الهوى حتى غدت أسمى ملوك الارض من عبدانه
رقّا كمارق القريض لمن غدا بالألمعية مالكا لعنانه
الشاعر المتفنن الندب الذى يروى حديث النظم عن حَسانه

ومنها

هذا أبو الفضل الذى لا بد أن يُمسى ببقعتنا بديع زمانه
وافى وما انصاح النهار بليله زمناً فحل الصدر من ايوانه
يلهو بأنواع الفنون ويحتسى من عصر من سلفوا سلافة حانه
وله الرقائق فى الكلام يجيدها نظماً يسلى المرء عن أشجانه
قد أبرزته قريحة سيالة تزرى بصوب المزن فى تهتانه
ياسامعاً عنه البدائع معجباً مهلا فليس سماعه كعيانه
ان سرت فى الوطن العزيز فاشملن وانزل بذاك السفح من لبنانه
فى معلم كالروض فى حسناته تجنى ثمار الخير من أفنانه

فانزل على سعة برحب فنائه   وانظر مآثر من عجبت لشانه

وقلت أرثى الطيب الذكر العزيز سليم افندى البستانى
صاحب جريدة الجنة ومجلة الجنان وكانت وفاته
سنة ١٨٨٥ وكنت ابن ١٥ سنة

الدهر أفتك فارس بطراده   أبداً وأكثر فتكه بجياده
يخنى فان قصد الفتى لم ينتفع   بمضاء صارمه وطول نجاده

ومنها

يسطو على المرء المنى بعد العنا   قسراً فماذا النفع من ايجاده
يرث الفناء وقد يرى من لم يرث   شيئاسوى ذا الموت عن أجداده
لا يشفعن بالمرء غض شبابه   عند الحمام ولا ذكاء فؤاده
البين يخترم الجميع وليتما   قد كان كل البين بين سعاده
بين كفى الدنيا نعاب غرابه   وبه كفى متشائما بسواده
يردى الحبيب وخله متقلب   فى مضجع أهناه شوك قتاده
متعرضا بالنائبات الغُبر فى   إصداره أبداً وفى ايراده
يا أيها البين المفرق بيننا   إذ فيه معنى الدهر فى استبداده
الدهر أنزق شيمة من أن يُرى   بالحزم ذا بَقيٍ على أفراده

ما زال يفجعنا بهم حتى غدا … شرف الفتى بين الورى بمعاده

فلبئس عيش بات مخترماً به … مثل السليم رزيئة لبلاده

ولبئس افضال ومجد بعده … ولبئست الأيام بعد بعاده

من هز هذا القطر فاجع فقده … حتى تفطر فيه قلب جماده

وسطا على الصبر التفجع بالغاً … سيل الاسى الطامى ذرى أطواده

وتوفيت آمالنا من بعده … ما الدهر يحييها الى آباده

الأروع الشهم الذى بعلومه … وجدائه كالبحر فى ازباده

الطائر الصيت الرفيع مقامه … والباهر الحسنات فى اسعاده

من كان باباً للرجاء مبلغاً … فى الخطب من يرجوه شأو مراده

وقف الحياة لخدمة العلم الذى … قد كان حقاً باسطاً لمهاده

فقضى بُعَيد أبيه (١) فى أجل أبى … الا اتصال حداده بحداده

أسفاً عليه وكان ركناً للعلى … وقوامها بطريفه وتلاده

أيام باهر مجده يذر السهى … وكواكب الافلاك من حساده

أيام لاتلقاه الا جاهداً … ومجاهداً فى العلم حق جهاده

أيام ان صعد المنابر خاطبا … تهتز من عجب ذرى أعواده

يا راحلا عنا رويدك انما … من سار لم يندم على ارواده

مهلا لتبصر حال من غادرتهم … وترى قضاء الله بين عباده

---

(١) أبوه العلامة بطرس البستانى صاحب محيط المحيط ودائرة المعارف

من كل من تخذ السهاد سميره ⁂ وأقام نواحا على تعداده
من كل من نظم المراثى جاعلا ⁂ من ذوب عينيه سواد مداده
غادرت ذكرك فى الورى لا نافداً ⁂ بل تنتهى الأيام قبل نفاده
فاذهب الى مولاك يامن قدقضى ⁂ والشكر للرحمن أكثر زاده

وقلت مجاوبا أحد الادباء

أخفّ ما نال منى الطرف ما أرقا ⁂ وخير ماسر منى القلب ماخفقا
ونزرما كادنى ذا الدهر جور نوى ⁂ أصابنى بسهام تخرق الدرقا
طمعت بالوصل مشتاقا فماطلنى ⁂ وجد ركب التنائى بى فما رفقا
ماان دنت من فؤادى منية قصدت ⁂ الا وسد لها من دونى الطرقا
كأنما حلف الدهر الخؤون بان ⁂ يحول بين فؤادى والذى علقا
ورابنى صرفه فيما يعنتنى ⁂ ان كيف خلف لى من بعده رمقا
لله أى نسيم ليس يُذكرنى ⁂ وأى ساجعة لم تجدنى قلقا
يميل قلبى وقد لجت نوازعه ⁂ ماميّلت نسمات الفجر غصنَ نقا
ياغائبا مخلصا لى فى مودته ⁂ ولست أعرف منه غير ما نطقا
فدر درك من خل سما خلقا ⁂ لأنت أفضل من فى وده صدقا
تفدى القلائد آثاراً له سبقت ⁂ الىّ والفضلُ لا يخفى لمن سبقا
لا غرو إن أرها من قبل صاحبها ⁂ انى أرى الصبح لكن قبله الشفقا

لله من صاحب صغرى محامده　　مودة محضت لاتعرف الملقا

مهذب ان بدا منه الثناء فنى　　شريف أخلاقه روض الثنا عبقا

أهدى الى قريضا من طرائفه　　يوما فقلد منى الصدر والعنقا

كالبدر متسقا والدر منتسقا　　والصبح منبثقا والغيث مندفقا

شعر لكل اختراع جاء مفتتحا　　من بعد ما كان هذا الباب منغلقا

سحر لقد لعبت بالقوم فتنته　　بلا طلاسم تخفى سره ورُقى

جازيك من شاعر ان تستجده الى　　نظم مضى فيه مثل السهم اذ مرقا

اذا انبرى فى مضامير البيان غدت　　جياده فى المعانى تركض الرهقى

يرق فى النظم حتى يسترق به　　ويسترق اذا ماجاء مسترقا

لبيك ياخاطبا منى الوداد ترى　　منى فتى مادرى نكثا وما مذقا

قد طالما سمعت اذنى وما نظرت　　بواصرى فليفاخر مسمعى الحدقا

فان عرفت فانى ناظر ثمراً　　لكننى لم أصب عوداً ولا ورقا

ياقاتل الله حظى والفراق هما　　على مناصبتى دهراً قد اتفقا

فهل ارجى من الدنيا الصلاح ولم　　تزل وفيها غراب البين قد نعقا

لكن على المرء عرك الدهر طاقته　　ولو تحمل ذو الهمات كل شقا

حب السلامة يثنى عزم صاحبه　　فان جنحت اليه فاتخذ نفقا (١)

---

(١) هذا بيت مضمن مأخوذ من شطرى بيتين للطغرائى :

حب السلامة يثنى عزم صاحبه　　عن المعالى ويغرى المرء بالكسل

فان جنحت اليه فاتخذ نفقا　　فى الارض أو سلما فى الجو فاعتزل

وقلت وأنا فى المدرسة وهى من أوائل نظمى فى العلامة الطيب الذكر المطران يوسف الدبس مؤسس مدرسة الحكمة التى درست بها

أبدر بدا أم سنا باهر ... وعطر سرى أم ثنى عاطر
أم انبلجت غرة العيد حتى ... تزاهى بها وجهه السافر
وفتق فيه نوافج مدح ... اريج العطايا به ذافر
فانعم به عيد يمن جلا ... هموم الورى بشره الظاهر
وأنساهم اليوم نعماه ما ... يعنته أمسه الدابر
فلا الخلق فى دهرهم ضاجرون ... ولا الدهر فى خلقه جائر
فهل غفل الدهر فى العيد أم ... تغافل عن انه به داهر
مآثر طابت بهن النفوس ... جميعا وقر بها الناظر
تبدد جيش الهموم بها ... لدى كسرة مالها جابر
أغار عليه سرور الورى ... وسعد السعود له ناصر
وليس سوى هزة عامل ... وليس سوى بهجة باتر
وليس سوى نعمة سابح ... وليس سوى منة ضامر
فأين النكال الاكول الذى ... توعدنا الزمن الفاجر
اذا كان يأتى على سالف ... بلاه ويسطو له غابر
فقد صار يأتى عليه الذى ... جناه ويعنو له حاضر

الا والمعالى وبيض العوالى لئن ناصب الحادث القاهر
فلسنا ولسنا بمن يحذرون اذا الذمر من حادث حاذر
وانا وانا لقوم اذا فخرنا فما فى الورى فاخر
نباهى الملاكل يوم بما حباه بنا السيد الطاهر
عوارف بحر لها نائل معارف عِض لها آثر
فضائل بر لها مادح فواضل حر لها شاكر
تظل البرايا تنوّل من نداه الذى ماله آخر
منائحه غبطة المعتفى مدائحه المثل السائر
فليس لافضاله جاحد وليس بنعمائه كافر
مديد النهى قوله كامل طويل اللهى طوله وافر
حقيق بتمديح كل الورى على ان كل ثنا قاصر
فكم بت انضى له خاطرى فما ظل أن خاننى الخاطر
وما زلت عن وصفه عاجزاً على أننى المدره الشاعر
الا دمت بالخير مستمسكا ينار بك الوطن العامر
سعيد الجدود جديد السعود يغار لك الفرقد الزاهر

———

وقلت فيه وأنا فى المدرسة

لمن يامىُّ هاتيك القبابُ ... على جبل تضلُّ به الشعابُ
اشيم خلالها يامىُّ برقاً ... فهل جادت بطلعتها الرباب
قباب تسطع الأنوار فيها ... ويسطع فى جوانبها الملاب
قد استنكهتها فنشيت عرفاً ... يضوّع كلما مرت كعاب
تقوم علا على سمر العوالى ... ويحرسها من البيض القُباب
وترمى للمطل على حماها ... سهاما فوق ماحوت الجعاب
غدت لظبائها وظبى ذويها ... قلوب القوم تخضع والرقاب
لعمرى نعم حى أبيك حيا ... كما وصفت بمنعتها العقاب
وأبناء لامك من نزار ... كأسد البر أحذرهن غاب
كماة تسبق الأرواح شداً ... سوابح تحتها الخيل العراب
لهم غرر مواطن . صادقات ... وغارات تميد بها الرحاب
يخوض فتاهم الغمرات حرباً ... ونيران القتال لها التهاب
ويرجع بالغنيمة بعد صدق ... وليس غنيمة البطل الأياب
يطول وليس يجهضه خطار ... فينكا أو يغيبه الغياب
يذوق عذاب بدء الأمر لكن ... عواقبه لمورده عذاب
تقابلت الامور فكل مر ... يعاقبه اللذيذ المستطاب
ولولا المر لم تشعر بعذب ... ولولا العذب لم يشعرك صاب

وكل صعوبة فلها سهول وكل سهولة فلها عِقاب
أما لو لم يكن طرفا نقيض لما قيل الخطاب له جواب
وأفضل ذى شروع من تراه يقارن غب مبدأه الصواب
ومن طلب الصواب ولم يقابل وجوه الامر أعجزه الطلاب
ومن عدم الصواب وقد نحاه بأحسن مايجدُّ فلا يعاب
ومن خاض العباب بقصد ربح فان الدر ماضم العباب
ومن حسب الحياة مدى طويلا يكذب ظنه الاجل القراب
اذا ولى شباب المرء يوماً فليس يعيد صبوته الخضاب
ألا ليت الشباب يعود يوماً تقولَ وانما ذهب الشباب
فلا يشغل فؤادك فى شباب عن العمل السماع أو الشراب
ولا يقعدك عن عمل فراغ ولو لم يعقب العمل اكتساب
فان السيف طبع الهند يصدا اذا ماطال يخبأه القراب
وان المرء ان يلزم سكونا تولى هيكل الجسد الخراب
سيعلم كل من عرف المعالى بأن الشغل للعليا نصاب
ومن فى طوقه أمر فعيب لدى اجرائه فيه ارتياب
ومن أضحى لامر غير كفؤ فأليق ماىليق به اجتناب
ألم تر ما أصاب السحب لما تبارى كف يوسف والسحاب
ولم تر ما أصاب الشهب لما تراءى وجه يوسف والشهاب

فلا عجب اذا مانال فوقاً ... ففضل الله ذاك ولا حساب

به راجت من العلياء سوق ... وعزّ به من الحسنى جناب

وقد زهرت زناد العلم لما ... به عن شبهةٍ رفع الحجاب

وقد نلنا رغائبنا وكانت ... أمانياً كما لمع السراب

غدا من عصبة الأفراد فضلا ... بما يغدو من السيف الذباب

يظلُّ اذا انتحى العلياءَ يوماً ... هو السبّاق ليس له صحاب

لقد جابت مدائحه البوادى ... على نكظٍ وغناها الركاب

فليس لبدر شهرته مغيبٌ ... وليس لشمس بهجته ضباب

كأن خلاله ان رمت مدحا ... لأنواع الثنا منها انتهاب

أروم به الوفاءَ فمن قصورى ... يقوم بكل بيت لى عتاب

تكل مناطق البلغاءِ فيه ... ولو كانت مناطقنا الحراب

ومنها

لقد شيّدت مدرسة تعالت ... على هام السماك لها كعاب

نظمت بها من الأصقاع ولداً ... يبلغهم لساحتك اجتياب

ومن يترك لعمرك والديه ... اليك فما يعنّفه اغتراب

ليهنك بالسلام مرور عيدٍ ... ولكن مالبهجته ذهاب

ولا زالت بك الأعياد تزهو ... وعيشك للسعود له اجتذاب

فدم للغوث غيثاً مستمراً ... وبدراً ليس يدركه غياب

وقلت وداعا لمدرسة الحكمة فى ختام سنة ١٨٨٦

وكنت ابن ١٦ سنة

مفارقةٌ والله عزّ نظيرها ... أسيرُ غداً عنها وقلبي أسيرها

تخلّيت عن قلبي لها غير مكرهٍ ... ولكنّ نفس الحرّ تغلو مهورها

رهنت فؤادى فى هواها لمدة ... فلم يغنِ عنه عند نفسى مرورها

فليست ترى للعلق عندى علاقة ... وعندى يد لم توفِ عنى نذورها

وان كان نفلا ماسمحت فانها ... صنائع فى رأيى تزاد أجورها

فانى رأيت الفضل فضل زيادة ... على حقه يمسى خطيراً نزيرها

وان المزايا من قليل وربما ... لعمرى قليل المكرمات كثيرها

فان كنت لم أوثر على النفس مجدها ... فلا أحمد الآثار عنى أثيرها

وما الفرق ما بين الكريم وضده ... اذا لم يحمِّل نفسه ما يضيرها

وما الحرّ من يلوى لضرّ يمسه ... اذا لفحته فى الليالى حرورها

ولكنّ من يقوى وللروع نصلة ... يُطير فؤاد الفحل إذ يستطيرها

ولكنّ من يطوى على المرِّ مرةً ... تظل عليه مستمرا مريرها

ولكنّ من يغدو وتغدو عزيمة ... له مثل حد السيف وهو شهيرها

ولكنّ من يفرى الستور اذاعدت ... عليه خطوب لا تزاح ستورها

ولكنّ من يغشى صدور مجالس ... وتغشاه من جرد المذاكى صدورها

ولكن فتىً عندالرزايا صبورها | وفى وسط أجوال المنايا ضبورها
ألا فى سبيل المجد أن شكيمة | أجيش بها لم يخب يوما سعيرها
وانى حلبت الدهر أشطره وقد | مضت لى كأعوام الرجال شهورها
اذا لم يكن ماء الشهامة منهلى | ولم يهدنى نحو الحفيظة نورها
فلا وافقت للمكرمات عقيلة | أخاها ولا صاغ القوافى أميرها
يفجِّر فيها للقريحة أنهراً | غزاراً فلا تخشى المغاض بحورها
وما ذاك الا أنه متخرّج | على ذات فضل لايخيب سميرها
ممنعة للفضل فيها معاقل | أقام بها الارشاد وهو خفيرها
مؤسسة أركانها فوق حكمة | مرفعة تعلو السماك قصورها
تميل بأعطاف النجاح خصورها | وتضحك عن مثل الاقاح ثغورها
وتزهو ولازهو الكواكب فى الدجى
اذا فى ليالى الجهل تمَّ سفورها
يقرُّ لها من كل بدر تمامه | ويحسدها من كل شمس ذرورها

ومنها

فقد خولتنى نعمة فوق نعمة | وكل اذا عدّت فانى شكورها
فألبسنى نسج الحبور حبيرها | وأوطأنى مهدَ السرور سريرها
لقدرشحت حامى نجاءت خلائقى | من الطبع أولاها ولا أستعيرها
ليالى هاتيك المهارق حولنا | يدور بنا دور الأساور دورها

لذاك غدت تحكى بياض طروسها وان أشبهتها بالظلام سطورها

مجرّ ومجرى سمر أقلامنا التى يهين صليل المشرفى صريرها

ألا حبذا تلك الليالى فانها هى الغر لكن ليس يدرى غرورها

قضيت بها أنساً كأن لم أفز به ورشف كؤوس لم تحرم خمورها

فما أنس لا أنس الرياض التى جرى وأوردنى ماء النعيم غديرها

ولا أنس أوقاتا قضيت بربعها ولا صحبة منى كريمٌ عشيرها

فان يقض بالبعد القضاء فانه عذيرىَ منها وهو منى عذيرها

مضت فأمضّت مهجتى وكأنما نظير كرى عينىّ كان كرورها

فلا تنكرن منى الذى قد شهدته وجومًا بنفس قد تسامى زفيرها

فبى من جوى الأحشاء مالو جعلته على قنن الأجبال دكت صخورها

تصعّد منى زفرة فتثيرنى وأجهد فى ارجاعها فأثيرها

فان كنت أظهرت الفتور بلوعتى فربّ عيونٍ شبّ ناراً فتورها

أودع مغنى قد قضيت به الصبا وأرضيت نفساً كالنهار ضميرها

ومارست أعلاما ودارست علْيَة وآنست أنواراً تماما بدورها

علىَّ لهم فضل بجيدى درُّهُ وكم فتية منهم تحلت نحورها

تحاشيت نفسى من سلو عهودهم فانَّ نجارى المنذرىَّ نذيرها

فما قصرت الاَّ وقامت مآثر من الأصل لا يُدْرى لعمرى قصورها

فذكرها عهد الخورنق شأنها   وان سدرت ماغاب عنهاسديرها

مآثر أجداد جديد فخارها   يذرّى وان طالت خلوّاً عصورها

على أنه ماتم فضل لأول   بعصبتهم حتى أجاد أخيرها

وقلت وهو من شعر المدرسة

أمعامها بين العذيب وبارق   تغزلت من غزلانه بالحقائق

فديتك ربعا قد ترحَّل آله   بكل إمام للمآثر سابق

عفا وخلت منه المنازل بعد ما   لقد كان زينا للنهى والمناطق

وأقوى وأقوى ماحوى من معاقل   أناخت عليه عاديات البوائق

وأجدب بعد الخصب إذ كان زاهراً   بكل كتاب للفوائد واسق

سلام على تلك الربوع فانها   رياض المعالى والمعانى الدقائق

لكم قد حوت تلك الخيام عقائلا   يضىء سناها من خلال السرادق

رواشق قلبى عن قسيِّ جفونها   ألا بارك البارى بتلك الرواشق

تبيح لنا ألحاظها حيثما رنت   بسحر بيان صادق كل صادق

وان خطرت سكرى فمن كل رائق   من اللفظ والمعنى ومن كل شائق

لقد أطلعت من تحت ليل فروعها   هلال محيَّاها بأسنى المشارق

فليلٌ وبدر عندها ماهما سوى   سواد مداد فى بياض مهارق

بروحى هاتيك الثنايا فانها   زهت فى رياض الفضل زهو الشقائق

أتلحونى يا أيها الناس ويحكم   على الحب ماأنتم له بالعوائق

ولى أيضا وهو من أوائل نظمى

عليك أقمت أسناء الثناءِ ‏ فأنت أقمت أثناء السناء

جعلت علىّ حق ثناك فرضا ‏ وقد أحييت لى ميت الرجاء

توقّدُ فطنة وتسيل لطفا ‏ كطبع السيف من نار وماء

وحلمك راجح برعان رضوى ‏ وعزمك كالمهند فى المضاء

ومجدك ظاهر فوق الدرارى ‏ وذكرك فائق عرف الكباء

بروحى أنت لا وحدى ولكن ‏ فداك القوم من دان وناء

اذا فتشت يوما فى عروقى ‏ ترى سريان حبك مع دمائى

فأين تكون ياموﻻى منى ‏ لأُسنى عند منزلك احتفائى

ففى قلبى أعيذك من غليلى ‏ وفى عينى أعيذك من بكائى

لقد أناك بالقدر التدانى ‏ وقد أدناك بالحب التنائى

أرى لك هزة للفضل حتى ‏ طباعك أصبحت مجرى الطلاء

أراك لطفت حتى كدت تخفى ‏ على أبصار مختبر وراء

فلابست الضمائر مثل سرٍّ ‏ ولامست الظواهر كالهواء

وكتبت تحت أول صورة فوتوغرافية استخرجت لى وكنت فى الرابعة عشرة

ونفسك فابدأ بتصويرها ‏ بما أنت من خالد فاعلُ

والآ مضى الجسم مع رسمه ‏ ولا يخلد الزائل الزائل

رثائى لحجة الاسلام

« وبينما كنا مباشرين طبع هـذا الديوان بمطبعة المنار تحت اشراف صاحبها العلامة الامام حجة الاسلام السيد محمد رشيد رضا اذ أصيب العالم الاسلامى كله بفقد هذا السيد الامام الذى تتعاقب القرون ولا ينسى الاسلام عظمة مصابه قدس الله روحه فانا ملحق بهـذه القصائد التى كانت تطبع تحت ملاحظته بقصيدة رثاء له واحسرتاه عليه والله يفرغ علينا الصبر الجميل من بعده ، وهى »

تحدرى يادموعى بالميـازيب — وعارضى السحب أسكو باباسكوب

وأدركى كبداً لج الأوار بهـا — عن مارج فى صميم القلب مشبوب

هيهات أى الرزايا بعد ترمضنى — وأى داهيـة دهياء تلوى بى

وأى خطب ملىّ أن أقول له — ياعمرى انفضّ أو يامهجتى ذوبى

مضى الذى كان فيه منتهى أملى — ومن نشدت لتعليمى وتهذيبى

ومن عن الأخذ عنه شدّ راحلتى — ومن للقياه إسآدى وتأويبى

شعرت ان خلت الدنيا بمصرعه — لم يكفنى طول تشريدى وتغريبى

فمن أناجيه بعـد اليوم فى حزنى — ومن أرى بثه بثى وتعـذيبى

واهاً على حجة الاسلام حين خبا — ذاك الشهاب بليلات غرابيب

واهاً على علم الأعلام حين هوى — فلا تصادف قلباً غـير منخوب

هوى وكل جبال العلم دانيـة ... عن شأوه فهى منه كالأهاضيب

أين الذى كان إن أجرى يراعته ... فى أى فن أتانا بالأعاجيب

هذا المصاب الذى كنا نحاذره ... نظل نلبس منه جلد مرعوب

من قبلُ رزناه فقداً غير ذى عوض ... وكم حسبناه صدعاً غير مرؤوب

حتى اذا حـل لم تعقد مناحته ... الا على حادث من قبل مرهوب

قضى الامام الذى كانت مكانته ... بين الأئمـة فى أعلى الشناخيب

لو كان أنصفه الاسلام يوم ثوى ... لبات يرفل فى سود الجلابيب

كان المقـدم فى علـم وفى عمل ... والجمع ما بين منسوب ومكسوب

له شمائل أمثال النسيم سرى ... تذكيـه نفحة نوار التعاشيب

سمح السجية لا يلوى على حسك ... ويكره العفو أن ينأى عن الحوب

لم تعرف الحقد فى يوم سريرته ... ولا وعى سره شيئاً سوى الطيب

كم قد تلقى أعاديه وقد كشحوا ... بفضل ذيل على الآثام مسحوب

يلقونه حملا حتى اذا عبثوا ... بالدين أصبح كالبزل المصاعيب

هناك لا هدنةً يدرى ولا خصِم ... الا سيأخـذ منه بالتلابيب

هناك أعظِم بفحل غير ذى نكل ... لدى اللقاء وسيف غير مقروب

يصول صول علىّ فى وقائعـه ... فليس يعرف قرنا غير مكبوب

عدا على عبقر من ليس ذا صلة ... معها على الرغم من نعت وتلقيب

فالعبقرية وصف فى رشيد رضا ... والعبقرية ليست بالأكاذيب

قس كل صاحب فضل مع رشيد رضا قيس الرُّهام الى الطير المناسيب
تسمو المنابر اعجابا بوطأته لها وتخضع أقواس المحاريب
سبحان من زاده علماً وألهمه تلك البراهين فى أحلى الاساليب
رب الوفاء الذى أربى بشهرته حقاً على مثل فى العهد مضروب
لم يدر بغياً على الاخوان فى زمن سادت على الجم فيه شيمة الذيب
له المنار الذى كانت تنار به سفائن القوم فى لج التجاريب
مقالة من أصول الشرع أشرعة تمشى مع العقل تسيار الاصاحيب
كان المنار لحزب الحق معتصَراً يهديهم بشعاع غير محجوب
غدت به ملة الاسلام حجتها شهباء فى حازب منها ومحزوب
جميع أجزائه تأتى على نسق مثل اطراد العوالى بالانابيب
فيه الفتاوى التى يرضى الجميع بها فلا ترى حاجة فى نفس يعقوب
تجرى بآذان من يصغى لقارئها لحن السريجى فى سمع المطاريب
ما بالمنار ضياء غير مقتبس وليس فيه هلال غير مرقوب
وكم كتاب له غير المنار غدا فوق الكتائب فى حشد وتكتيب
فى كل عام تآليف يجود بها كالغيث يرسل شؤبوباً بشؤبوب
مواقف لن ترى من يستقل بها ولن ترى طامعاً منها بتقريب

***

سر نحو ربك مبكياً بكل دم قان على صفحة الخدين مصبوب

وانعم لديه بمـا قدمت من عمل　　وفز بقسطك من بر وتثويب
واترك ثناء كنفح الطيب ليس يني　　يملا البلاد بتشريق وتغريب
قد يغلب الحزن أقوام بصبرهم　　لـكن حزنك عندى غير مغلوب
ابكيك مادمت فى الدنيا وما بقيت　　الا بقية عيش غير محبوب
لى معك عهد فآبى أن أخيس به　　حتى أصير الى لحد وتتريب

الاسيف

جنيف ٢٤ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٤　　　شكيب ارسلان

جدول اصلاح خطأ الديوان

خطأ	صواب	صفحة	سطر
ايساد	إسآ د	٨	٣
مر خفيفاً	مصع مرَّ خفيفاً	١٣	٤
أنْ	إنْ	١٤	١٠
ويغزّ	ويغرّ	١٥	١٩
يحذنه	يحدونه	١٦	١٥
العلا	العلى	١٩	٩
لعمر	لعمرو	١٩	١٤
شعو	شعر	٣٧	٤
دجى	دجا	٥٣	٢٠
يقِقاً	يَقَقَـاً	٦٠	١٧
سأل	سال	٦٧	١٩
سبان	سمان	٩١	١٨
الهند دان	الهندوانى	٩١	١٨
لها بعضاً يبعض	لها بعضٌ بعض	١٠٠	١٢
تشاجر	تشاجراً	١٠٠	١٢
ظن	ضن	١٠٢	١٦

خطأ	صواب	صفحة	سطر
عقبقباً	عصبصباً	١١١	١٠
العدا	العدى	١١٩	١٠
ويفترى	ويقترى	١٢٤	١٤
يبتاً	بيننا	١٢٩	٢٣
زافر	ذافر	١٣٢	١٣
البوارج	البوارح	١٣٣	١٣
الفجر	الفخر	١٣٤	٧
واوفاهم	ووافاهم	١٣٤	٢١
العرب	الغرب	١٣٥	١
مغرما	مُقرَما	١٣٥	٣
هبةً	حُبْسَةً	١٣٦	٨
ارحب	ارغب	١٤٢	٤
رمَّث	دمَّث	١٥٠	١٠
فوائف	فوائق	١٦٨	١١
كما دمت	كما دِمتَ	١٦٨	١٣
ظن	ضن	١٦٩	٢

انسكلوبيديا اسلاميه

في أربعة اجزاء

وهى تعاليق أمير البيان المجاهد الكبير صاحب العطوفة

الأمير شكيب ارسلان

على

حاضر العالم الإسلامي

تأليف العلامة الامريكى ستودارد

ترجمة الاستاذ الكبير

عجاج نويهض

يبحث عن كل مايتعلق بالاسلام والمسلمين وتعدادهم وأقطارهم وقضاياهم ونهضتهم واستبداد الغربيين وخصوصاً المستعمرين وهو الاحاطة الحقَّة بأحوال الاسلام والمسلمين فى جميع العصور ولاسيما بعد الحرب العظمى